

العدد 09

ماي

2018



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - الجزائر -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة البليدة 2 " علي لونيسي "

مجلة متيجة

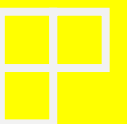
لدراسات الإنسانية

مجلة علمية محكمة متخصصة

تصدر عن قسم العلوم الإنسانية

Issn: 2602-5639

رقم الإيداع القانوني 2014/1597



مجلة متيجة للدراسات الإنسانية

مجلة دورية علمية محكمة يصدرها

قسم العلوم الإنسانية

العدد التاسع ماي 2018

منشورات جامعة البليدة 2 "علي لونيسي"

مجلة متيجة للدراسات الإنسانية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة البليدة 2



مجلة دورية علمية محكمة تصدر عن قسم العلوم الإنسانية

Issn: 2602-5639

رقم الإيداع القانوني 2014/1597

العدد التاسع ماي 2018

جميع حقوق الطبع محفوظة.

الرئيس الشرفي للمجلة:

أ.د. خالد رمول رئيس جامعة البليدة 2

مسؤول النشر

عميد الكلية د: محمد الشريف سيدي موسى

المدير:

د: نورالدين إيلاي رئيس قسم العلوم الإنسانية

رئيس التحرير:

د. عبد القادر بوعقادة

نائب رئيس التحرير

د: محمد الأمين لعليجي د: بن فاضل وعلي

هيئة التحرير:

د: عبد الرحمن بوسليماني

أ: عبد الكريم تفرقنت

أ: زموشي محمد أنور

أ . فضيلي عبد الرحمن

المدقق اللغوي بالعربية

أمانة التحرير:

د: الطيب بوسعد

أ: بوشيبة فائزة، أ جمال داود

التدقيق باللغة الفرنسية

د: مراد تحنانت

الهيئة العلمية

الجامعة	الأستاذ	الجامعة	الأستاذ
جامعة البليدة - 2	د: الصادق دهاش	جامعة البليدة - 2	د: محمد الشريف سيدي موسى
جامعة البليدة - 2	د: آيت بعزير عبد النور	جامعة البليدة - 2	أ.د. سيد أحمد نقاز
جامعة البليدة - 2	د: مراد تجنانت	جامعة البليدة - 2	د: عبدالقادر بوعقادة
جامعة البليدة - 2	د: حميدي مليكة	جامعة البليدة - 2	أ. د. رضوان زعموشي
جامعة البليدة - 2	دريدش حلمي	جامعة البليدة - 2	د. كلفاح أمينة
جامعة البليدة - 2	د: أحمد عصماني	المدرسة العليا للجزائر	د. مزيان السعيد
جامعة البليدة 2	د: محفوظ عاشور	جامعة المدية	د: مزاري عبدالصمد توفيق
جامعة البليدة 2	د: نظيرة شتوان	جامعة البليدة 2	د: بن يوسف تلمساني
جامعة تيبازة	د: دحمان تواتي	المدرسة العليا	د. أحمد بن جابو
جامعة المدية	د: موسى هيصام	جامعة البليدة 2	د: بن فاضل وعلي
جامعة الجلفة	د: مغدوري حسان	جامعة الجزائر 2	د. محمد لحسن الزغبيدي
جامعة البليدة - 2	أ.فراح فوزية	جامعة البليدة - 2	د: محمد الأمين لعليجي
جامعة البليدة 2	د: مصطفى بطراوي	جامعة البليدة 2	د: مراد بوشحيط
جامعة البليدة - 2	د. فضيل رتيمي	جامعة البليدة - 2	أ. كريم مناصر
جامعة البليدة - 2	أ: محمد أنور زموشي	جامعة خميس مليانة	د: عبدالقادر فكاير
جامعة البليدة - 2	أ: جمال داود	جامعة البليدة 2	د: إيلا نوالدين
جامعة البليدة - 2	أ. دليلة بوجناح	جامعة البليدة - 2	د: فؤاد زرف
جامعة البليدة - 2	أ: عبدالرحمن فضيلي	جامعة خميس مليانة	أ: حياة سيدي صالح
جامعة البليدة - 2	أ. إلهام بوثلجي	جامعة البليدة - 2	أ: بوسليماني عبدالرحمن
جامعة البليدة - 2	أ: لمجد شهرزاد	جامعة البليدة - 2	أ: وهاي نزيهة
جامعة البليدة - 2	أ: مدني إيمان	جامعة البليدة - 2	أ: يعيش فاطمة الزهراء
جامعة البليدة - 2	أ: شعوبي أمينة	جامعة البليدة - 2	أ: كحلان سليم
جامعة البليدة - 2	زغبيب حسينة	جامعة البليدة - 2	أ: مغاري نوال
جامعة البليدة - 2	سحنين نجية	جامعة البليدة - 2	أ: رزوق نعيمة
جامعة البليدة - 2	أ. رايح دايري	جامعة البليدة - 2	أ: معريش كريمة

قواعد مهمة للنشر في المجلة:

تَهتم مجلة متيجة للدراسات الإنسانية بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية لجامعة البليدة2 بنشر الأبحاث والدراسات العلمية والفكرية في تخصصات العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية مكتوبة باللغة العربية والفرنسية والانجليزية ، وتكون المقالات مصحوبة بملخصين، واحد باللغة العربية والآخر باللغة الفرنسية أو الانجليزية. كيف تقدم الدراسات: لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة، ولا تزيد الخرائط والأشكال التوضيحية واللوحات عن 30 % من حجم البحث، مطبوعة على ورقة (A4) وأن يكون خط الكتابة (taraditional arabic) بالعربية، وبالفرنسية (Time New romane) وحجم الخط (14) مرفق في قرص مضغوط يكون مرفقا لنظام الناشر المكتبي. (I.B.M) ، يكتب المقال بطريقة منظمة: المقدمة، العرض، والخاتمة، مع ذكر رتبة الباحث.

المراجع والهوامش

- يجب أن تكون قواعد إثبات مصادر البحث ومراجعته على النحو التالي:
- الكتب: إسم المؤلف، عنوان الكتاب، الجزء أو المجلد، المترجم أو المحقق، بلد أو مكان النشر، دار النشر، الصفحة).
- الدوريات: إسم الباحث، عنوان البحث أو الدراسة أو المقال تحته سطر، إسم الدورية، عددها، الجزء، السنة، الصفحة.
- يجب أن كون تكون الإحالات والهوامش مسلسلة بأرقام متتابة في نفس الصفحة "أسفلها"، أما في نهاية المقال يتم عرض قائمة المراجع والمصادر وفق الاستعمال المتبع داخل المقال.
- يجب أن ترسل البحوث والدراسات للمجلة، صحيحة علميا ومصححة لغويا.
- تعرض كل الدراسات والأبحاث على المحكمين لتقديم الخبرة حولها، وتعتبر هذه التقارير أساس القبول أو الرفض لأي بحث أو دراسة مع العلم أنه في حالة قبول لجنة التحكيم البحث للنشر يتم إخبار صاحبه بذلك.
- لا ترد أصول البحوث والدراسات التي تصل المجلة سواء كانت مقبولة للنشر أو مرفوضة.
- تمنح نسختين من المجلة للباحث بعد صدورها
- ملاحظة: يتم إدراج المراسلات إلى العنوان الإلكتروني الآتي: univ_blida2@yahoo.fr

محتوى المجلة

الرقم	الأستاذ	عنوان المقال	الصفحة
1	الكلمة الافتتاحية	نائب عميد الكلية د: سيد أحمد نقاز	08
2	أعيدوا الجماجم.... إكراما للشهداء	د: بوعقادة، رئيس التحرير	09
3	الإستحكامات العسكرية الرومانية في موريطانيا القيصرية.	د. كريم مناصر جامعة البليدة 2	10
4	صعوبات استخلاص مادة كتب النوازل وتوظيفها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.	د. موسى هوارى جامعة الجزائر 2	29
5	قضاء القضاة في الدولة العباسية تحقيق فيمن ولي المنصب من سنة 171هـ/ 787 م إلى سنة 350هـ/ 961م	د: مراد تجنانت جامعة البليدة 2	39
6	الممارسة الطبية الصوفية في المغرب الأقصى من خلال كتاب التشوف لابن الزيات	الباحث: خضور عبدالرزاق جامعة البليدة 02	52
7	السلطة الرمزية للولي في مخيال مجتمع المغرب الإسلامي	الباحثة: سميرة مقورة، جامعة البليدة 02	70
8	الدور البريطاني في تثبيت امتياز الحصانة الدبلوماسية بالمغرب الأقصى خلال مؤتمر طنجة (1879-1877)	د: : مصطفى بطراوي جامعة البليدة 2	81
9	تحديد الإشكالية في البحوث الإنسانية بين صعوبة التوقع الإبستمولوجي للباحث ومواجهة العقبات الإبستمولوجية	د. كلفاح أمينة جامعة البليدة 2.	98
10	التناول الاعلامي لقضايا التوعية الصحية من خلال البرامج الصحية لإذاعة بومرداس المحلية، دراسة مسحية تحليلية لبرامج صحية خلال الفترة (2017-2016)	أ : فتيحة أمرار جامعة البليدة 2	115

11	المقاربات البحثية في دراسات وضع الأجندة... من وسائل الإعلام التقليدية إلى الوسائط الجديدة	141	أستاذ: إلهام بوثلجي جامعة البليدة 2
12	دور التفاعل الاجتماعي في بناء الشخصية الاجتماعية ، دراسة نظرية توضح أهمية التفاعل الاجتماعي في الحفاظ على بناء التنظيمات الاجتماعية والمساهمة في استمراريتها	167	د: ريم نواري جامعة الجزائر -2-
13	آليات رقابة ومتابعة العمال في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية (المؤسسة الوطنية للمنظفات أمودجا)	177	د: مهدي تواتي جامعة البليدة 2
14	ضحايا الاجرام في المدن الجزائرية الجديدة	193	السعيد رضوان - أ.د. عمارة فاتح جامعة باجي مختار عنابة
15	الزوجة في فكر ليوبولد سيدار سنغور.	213	أ: سلاماني نادية. جامعة البليدة -2-

كلمة السيد نائب عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

أ.د. سيد أحمد نقاز

يأتي هذا العدد _ التاسع لشهر ماي 2018 لـ "مجلة متيجة للدراسات الإنسانية" _ كتجربة متجددة في ميدان البحث في العلوم الإنسانية، والذي دأب عليه قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة البليدة 2 "علي لونيبي".

فقد انطلقت المجلة منذ عددها الأول سنة 2014 تقدم إضافات نوعية لقسم العلوم الإنسانية وللكلية والجامعة عموماً، وهذا بفضل العناوين المميزة التي باتت تطرحها في مجال العلوم الإنسانية، والإشكالات التي ناقشها ويناقشها الباحثون من داخل الجامعة أو من خارجها، وهي إشكالات جديدة وعميقة يمكن البناء عليها لرؤية بحثية مستقبلية.

لقد سعى القائمون على المجلة في هذا العدد إلى تقديم عدة عناوين يمكن أن تثري النقاش العلمي، وتضيف لمكتبة العلوم الإنسانية رصيдаً جديداً يفتح آفاقاً لميدان البحث المتخصص من حيث الطرح للأفكار وتحليل المسائل وتقديم البدائل لوضعيات إنسانية واجتماعية وسياسية واقتصادية يمكن الاستئناس بها لحل العديد من المعضلات التي تواجه مجتمعنا.

كما أنّ المجلة تعد ساحة بحث مهمة بالنسبة للباحثين الجدد من حيث ضبط الإشكالات التي يمكن البحث من خلالها فيما بعد التدرج، بالإضافة إلى مساهمات طلبة الدكتوراه بمحاولاتهم وكتاباتهم، وبذلك أخذ تجربة مهمة لأجل مساهمهم العلمي القادم.

وإنّ إنفتاح مجلة "متيجة للعلوم الإنسانية" على تخصصات أخرى كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلوم التربية والشريعة وغيرها هي من الفتوحات الجديدة التي اقتحمتها هذه المجلة التي نرجوا لها الاستمرار في نشاطها، ومزيداً من الجدية في عملها، والعمق في طروحاتها وأفكارها، ولا شك أن المساعي العلمية إذا التقت مع النوايا الصافية فإنّ ثمار الجهود ستظهر ولو بعد حين.

افتتاحية العدد..... بقلم رئيس التحرير د: عبدالقادر بوعقادة

أعيدوا الجماجم.... إكراما للشهداء

حينما يطل علينا شهرا فيفري ثم ماي من كل سنة يعود بنا التاريخ إلى زمن ماض - ولكن ليس ببعيد - إنه زمن الحقبة الكولونيالية التي ابتليت بها بلادنا لمدة قرن من الاستعمار الفرنسي 1830-1962، حينها نسترجع آلام التفجيرات النووية في جنوبنا الكبيرة ونسترجع معها آهات الجماعات التي استعملت كفتران تجارب لا تزال آثارها باقية ومستمرة. ونسترجع مجازر ماي التي راح ضحيتها أزيد من 80 ألف شهيد - على رواية جمعية العلماء المسلمين، ومع اختلاف الرويات في إحصاء الأعداد- وحينها أيضا نتذكر مجازر غار الفراشيش والعوفية ومغيبو كاليديونيا الجديدة، ونتذكر المآسي الاجتماعية والاقتصادية وتبديد معالم الهوية الوطنية.

وكل ذلك يحتسبه الجزائريون عند الله - دفاعا عن وطن ودين وعرض - لكن المأساة الحقيقية في استمرارية الفعل الفرنسي دون عقاب، وفي تمادي الاستعمار في التكيل بالشهداء رغم أنهم قد أفضوا إلى ربهم، ولازلنا نشاهد جماجمهم وبقاياهم محجوزة ومعرضة في رفوف الأرشيف الفرنسي، تستظهرها كل حين لتذل كبرياء الشهداء ومن ورائهم أحفادهم، وهو شيء يبقى يحز في النفس دوما، على أننا لم نعتن بكرامة شهدائنا.

إن إكرام الشهيد دفنه، وليس من شيم الوطنية أن ندع رفاة آبائنا وأجدادنا حبيسة أرشيف عدو الماضي يستلذ بمعاناتهم وهم أموات ومعاناتنا ونحن أحياء، وليس من الحنكة أن رؤوس زعماء المقاومة الشهداء في يد أعدائهم يظهرونها في كل مناسبة لاستظهار القوة والنكاية بجيلنا وتاريخنا. ففي اعتقادنا - كجيل جديد قرأ عن ماضيه المشرف - أن من حقوق الشهداء تكريمهم بأحسن ما يحبون، وهو الدفن في أوطانهم، وتخصيص حيز في مقابر الشهداء لهم، وهذا اضعف الإيمان .

آن للشهيد أن يكرم في ظل وضع جديد تسير فيه بلادنا، وآن للأحفاد أن يلموا أشلاء ورفاة آبائهم، وآن للأجيال أن تكتب مآثر هؤلاء وهو بين أيديهم، وبعيدا عن التنديد والمطالبة يجب أن نعمل بجدية لاسترجاع الكرامة للشهيد وقبل ذلك لأحفادهم.... نقطة إلى التاريخ....

الإستحکامات العسكرية الرومانية في موريطانيا القيصرية.

د. كريم مناصر جامعة البليدة 2

ملخص بالعربية:

نتتبع من خلال تطرقنا لموضوع الإستحكامات العسكرية الرومانية في موريطانيا القيصرية، المتمثلة في الخطوط الدفاعية والأسوار الدفاعية والحصون العسكرية ناهيك عن الفرق العسكرية، استراتيجية السلطة الرومانية العسكرية في هذه المقاطعة من مقاطعاتها ببلاد المغرب القديم. ثم الإحاطة بمدى نجاعة تلك الإستحكامات العسكرية في تعميم الأمن بالمنطقة أمام مقاومة سكان المنطقة المستمرة.

باللغة الفرنسية:

Nous poursuivons, en étudiant les dispositions militaires romaines en Mauritanie Césarienne, qui se réfèrent sur les lignes de défense, les murs de défense, les forteresses militaires, sans oublier les divisions militaires, la stratégie de l'autorité militaire romaine dans cette province du Maghreb ancien. Et connaître à quel point ces renforts militaires ont eu effet à étendre la sécurité dans la région devant la résistance persistante de la population locale.

Abstract:

We continue, studying the Roman military reinforcements in Mauritania Caesarian, who refer to the defensive lines, defense walls, military fortresses, not to mention the military divisions, the strategy of the Roman military authority in this province of former Maghreb. And to know how much these military reinforcements have had the effect of extending security in the region in the face of the persistent resistance of the local population.

كلمات مفتاحية:

موريطانيا قيصرية، ترايانوس، الليمس الموريطاني، الفرقة الأغسطسية الثالثة، وادي ملوية، سور جواب (Rapidum).

مقدمة:

تجاوزت حدود السلطة الرومانية في بلاد المغرب القديم خلال القرن 1م جنوب الأوراس، ثم اتجهت نحو الشمال الغربي عبر سهول سطيف ومجانة لتصل إلى سور الغزلان ومنها نحو الغرب عبر البرواقية وهضبة الشلف، واخترقت غليزان وسبق عند مضيق ملوية. وظل الريف المغربي مستقلا إلى حد ما، وكان يتم الوصول إلى طنجة عبر البحر. ولم يعم الحزام الدفاعي كل التل¹.

واتضحت حدود الإمبراطورية الرومانية بالجزائر في بداية القرن 3م، حيث امتدت جنوب الأوراس والضفة الغربية لوادي جدي (جنوب غرب بسكرة)، ثم تقطع وادي غير، ومرت من غير شك ببوسعادة ومست بعض المواقع جنوب سور الغزلان، ومنها شملت التل الجزائري ووهران مروراً ببوغار وتيارت وفرندة وتلمسان ولالا مغنية. ومن خلال الدلائل الأثرية، يظهر أن الرومان أصروا على وضع حدود بواسطة الليمس².

وكانت موريطانيا (غرب وادي الكبير) مقسمة إلى مملكتين، طنجة على رأسها بوغود، وأخرى تابعة لشرشال (Iol/Caesarea) لأبول تولى حكمها بوخوس³.

وقد عين أغسطس (Caius Octavius Thurinus)، الذي تولى إدارة مقاطعة إفريقيا (32-36ق.م)، حاكماً رومانيا على موريطانيا فور وفاة بوخوس الثاني عام 33ق.م، ثم عين يوبا الثاني عليها عام 25ق.م. وأثناء ذلك أسس 9 مستعمرات في موريطانيا الشرقية، و6 على الساحل (من بينها جيغل وبجاية وأزفون وبرج البحري)، و3

¹Gsell(S), l'Algérie dans l'Antiquité, Alger, 1903, pp.46-48.

²Albertini(E), l'Afrique romaine, Leschi (L), Editeur scientifique, Imprimerie officielle, Alger, 1955, p.19.

³م.ب. شنيقي، الإحتلال الروماني لبلاد المغرب، سياسة الرومنة 146ق.م-40م، من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا، ط2، الجزائر، 1985، ص.65-66.

بالداخل (أهمها حمام مريغة ومليانة)، و6 في إقليم قرطاجنة (رادس/ Maxula، وأودنة/Uthina، وطبرية/Thburbo Minos، والكاف/ Sicca Venerria، وشمثو، وحيدرة التي رابطة بها الفرقة الأغسطسية الثالثة.

وتمثلت الإستحكامات العسكرية الرومانية في موريطانيا القيصرية في الخطوط الدفاعية والأسوار الدفاعية والحصون العسكرية ناهيك عن الفرق العسكرية، حيث شكلت قواعد استراتيجية السلطة الرومانية العسكرية في هذه المقاطعة من مقاطعاتها ببلاد المغرب القديم. وأهم أهداف هذه الإستراتيجية العسكرية تلخصها فيما يلي:

- ترسيخ الاحتلال لتجذير،
والتحكم في تحركات الأهالي لاسيما البدو وعزلة القبائل عن بعضها البعض بالضرب بها منفردة وتخطيط مقاربتها وتصفية معاقلة لثوار وبالتالى حماية المستوى طنائها الرومانية.

- انتزاع الأراضي القوية من المكيها الأصليين بعد طردهم نحو الجنوب والجزبال الداخلية، وتوزيعها
توزيعها على قدماء المحاربين وعلماؤا الذين الجدد من إيطاليا (جاء الأزمه الفلاحية، وإرضاء كبار المستثمرين الرومان في المجال الزراعي).
- توفير الأمن للطرق الرابطة بين مناطق الاستغلال الداخلية والمدن الساحلية (الموانئ) ضمانا لثمنها وأحسنلا لمبراطورية، خاصة روما¹.
ما مدى نجاعة تلك الإستحكامات العسكرية في تعميم الأمن بالمنطقة أمام مقاومة سكان المنطقة المستمرة؟

1- الظروف التاريخية وسياسة التدرج لاحتلال موريطاني القيصرية²:

- 80 ق.م: وفاة بوخوس، وتولى ابنه بوغود موريطانيا الغربية، وابنه الآخر بوخوس الثاني تولى موريطانيا الشرقية³.
- 46 ق.م: انهزام يوبا الأول في معركة ثابسوس (Thapsus)، وإنشاء مقاطعة إفريقيا الجديدة - Africa Nova
- (جزء من مملكة نوميديا) على يد يوليوس قيصر⁴.

¹ جوليان (ش. أ، تاريخ شمال إفريقيا، ص. 191.

² م. ب. شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمسا الموريطاني) ومقاومة المور، 2.

ج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص. 4.

³ Carcopino(J), le Maroc Antique, éd. Gallimard, Paris, 1948, p.29.

⁴ Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord(8 vol), éd. Hachette,(Paris,1913-1928),T.8, p.156.

- 38ق.م: بعد انتصار أكتافوس (أيده بوخوس الثاني) على أنطونيوس (ناصره بوغود)¹، اعترف بمملكة بوخوس الثاني التي امتدت من الوادي الكبير (بعد ضم ممتلكات بوغود) إلى المحيط الأطلسي². أما طنجة فقد تحصلت على حق المدينة الرومانية³.
- 33ق.م: وفاة بوخوس الثاني واستحوذ أغسطس على المملكة (بحجة عدم وجود وريث شرعي)، ونصب عليها واليين.
- 27ق.م: تتويج أغسطس إمبراطورا.
- 33-25ق.م: أغسطس يؤسس عدة مستعمرات في موريطانيا⁴ مكافأة لجنوده الذين ناصروه في حربه ضد أنطونيوس (33-30ق.م).
- 25ق.م: أغسطس ينصب يوبا الثاني على موريطانيا⁵. تفعيل نظام الحماية قبل الاحتلال الرسمي⁶.
- 6م: ثورة الجيتول ضد يوبا الثاني⁷ والتوسع الروماني في موريطانيا⁸.
- 17-24م: ثورة تاكفاريناس⁹.
- بداية 24م: وفاة يوبا الثاني، وخلفه ابنه بطليموس.

- 37م: دعوة الإمبراطور كاليغولا إلى بطليموس حضور احتفالاته في ليون (Lugdum)¹.

¹Gsell(S) , H.A.A.N, T.8, . p 214. ; Carcopino (J.), Op.cit., p 30.

²Ibid., p.200.

³ Dion Cassius, Histoire Romaine, (10 vol), trad. Gros (E.) et Boissée (V.), éd. Firmin Didot, Paris, 1845-1870 ; XLVIII, 45.

⁴ في موريطانيا الغربية: دشر جديد (Zilis)، و باب (Baba)، و بنازا (Basa). وعلى ساحل موريطانيا الشرقية: جبجل (Igilili)، و بجاية (Saldae)، و ميناء فيدون (Rususus) بأزفون، و دلس (Rusucuru)، و وقوراية (Gunugu)، و تنس (Cartennae). وفي داخل موريطانيا: تيكلات (Tubusuptu) غرب بجاية، حمام ريغة (Aqua calidae)، و مليانة (Zucchabar). (Gsell (S.), Op.cit., pp 201-204; Carcopino (J.), Op.cit., p 31.

⁵Dion cassius , I, 5,6, 15,6; III, 26. ; Gsell(S) , H.A.A.N, T.8, pp 206- 15.

⁶Benabou(M)« Juba II Ou l'africanité vassale de Rome», les Africains, (10 vol) , éd. J.A (Paris, 1978), Tome 9 , p.147.

⁷Dion Cassius, IV,28.

⁸م.ب. شنيقي، المرجع السابق، ص 47.

⁹Tacite, Les Annales, trad. Goelzer(H), éd. Les Belles Lettres, (Paris, 1938), IV, 23, 24, 25 ; XI, 52.

- 40م: سجن وقتل بطليموس². ؛ ثورة أيديمون(Aedemon)³، عمت مدن موريطانيا الغربية وبلغت جبال الأطلس.
- 24جانفي 40م: كلوديوس إمبراطور روما⁴، عمل على إخماد ثورة أيديمون (استدعاء فرق عسكرية من بيتيكا -جنوب إسبانيا-⁵، حيثحلت الفرقة الرابعة المقدونية (Cohors IV Macedonica)، والفيلق العاشر جيمينا (Legio X Gemina)⁶.
- 40-43م: حملات عسكرية رومانية على موريطانيا، الأولى بقيادة فروجي(Marcus Licinius CrassusFrug)⁷، والثانية تحت إمرة سيوتونيوس(Caius Suetonius Paulinus) الذي أمن الشمال الموريطاني ثم زحف جنوبا ملاحقا القبائل الثائرة إلى غاية جبال الأطلس الكبير ونهر غير (Ger) نهر كبير حاليا⁸، والثالثة على يد جيتا (Cnaeus Hosidius Géta)⁹ الذي لاحق سالابوس(Salabus) وهزمه.

¹ Suétone, Vies des douze Césars, (2 vol), trad. Rat (M.), éd. Garnier, (Paris, 1913), Caligula, XXXV.

²Cagnat(M), L'arméeRomaine D'Afrique et l'occupation Militaire de l'Afrique sous les empereurs, éd. Imp. nationale (Paris,1912), p.28.

³أشار بلينوس (Pline, N. H, 5.11) أنثورة أيديمونخدتتفيدياية حكم

كلوديوس: « القواتالرومانية، لأولمرة، واصلتفتحاحتاداخللموريتانيا، فيعيدالإمبراطوركموديوس، عندما حملالمعتقأيديمونالسلاحلالانتقاملمقتلالملكبطلميموسعل يدغايسقيصر"، بينماذكر كاسيوس(Dio. Cass. 59. 25.1) أنهاكانتفيعيدكاليجولا. لكننقش ويليلي (ILM(Inscriptions Antiquesdu Maroc), 2. 448")؛ IAM(Inscriptions Antiquesdu Maroc), 116"(1)؛ Latines du Maroc), يدعمما جاءعنبلينوس.

⁴Yves Burnand, Yann Le Bohec, Jean-Pierre Martin, *Claude de Lyon, empereur romain*, Paris, Presses universitaires de Paris-Sorbonne, 1998, pp. 242, 297 et suiv.

⁵Rachet (M.), Rome et les berbères un problème militaire d'Auguste à Dioclétien, éd,Latomus , Bruxelles, 1970, p.129.

⁶Covin(G), "Les relations de la France avec le Maroc",Hesperis, 1957, p 255.

⁷ Chatellin (L.), «Une inscription relative à la révolte d'Aedemon», CRAI, 1915, pp 394-395.

⁸ Cagnat, Op.cit., pp.30-31.

⁹De la chapelle, «l'Expédition de SuétiniusPaulinus Dans le sud-est du Maroc», Hesperis, 1934, p.110.

- 42 أو بداية 43م: كلوديوس (Claudius) يلغي الإدارة المؤقتة¹ في موريطانيا وقسمها إلى مقاطعة موريطاني قيصرية (عاصمتها شرشال)، ومقاطعة موريطانيا طنجية (مركزها طنجة).
- حوالي 253م: مقاومة منطقة سور الغزلان (Auzia) على يد البقوات (Bavares) وكونفدرالية القبائل الخمس (Quinquegentanei) من بجاية إلى دلس²، والفراكنش (Fraxinenses) التي هددت نوميديا. دامت إلى غاية نهاية القرن 3م، تخللتها فترات عنيفة.
- 297-298م: حملة ماكسيمينيانوس (Maximien)، أحد أباطرة الحكم الرباعي، وإخماد المقاومة في موريطاني القيصرية.
- 303م: إعادة تنظيم مقاطعة موريطانيا القيصرية حيث قسمت إلى قيصرية حول شرشال وسطيف (Sitifis).
- 429م: الغزو الوندالي لإفريقيا الشمالية.
- بعد سقوط الإحتلال الوندالي تولى ماستيغاس (Mastigas) جزء من موريطانيا القيصرية³.

2- إستراتيجية الرومان في تأمين مقاطعة موريطانيا القيصرية:

غدت شرشال (Caesarea)، عاصمة مقاطعة موريطانيا القيصرية، وغدت ثالث مدينة في المقاطعات الرومانية ببلاد المغرب القديم أهمية لدرجة أن رفعها الإمبراطور كلاوديوس (Claudius) إلى مرتبة مستوطنة رومانية. وقد وصلت إليها مقاومة تاكفاريناس (17-24م)، التي برزت في أواخر حكم يوبا الثاني وبداية حكم بطليموس (إبنه)، وعاصرت الإمبراطور تيبيريوس كلاوديوس نيرون (حكم ما بين 14 و 37م)، وقد شملت نطاقا واسعا، وأثارت مخاوف روما. واعتمد الرومان حرب الكمائن المفاجئة لكسر لهيبها إلى أن قتل تاكفاريناس عام 24م. وعرفت موريطانيا علما إثر مقتل بطليموس ثورة عنيفة بقيادة أيدمون (Aedemon) الذي ذكره بلينوس الأكبر (Gaius

¹ (Bunson(M., A), Dictionary of the Roman Empire, Oxford, 1991, p. 267; Goodman(M., the Roman World 44 B. C – A. D 180, 2nd ed. London & New York, 2012, p. 280; Fishwick(D), “the Annexation of Mauretania”, *Historia*: 20, pp. 467-487. (1971) p. 484; Roxan(M), “the Auxilia of Mauretania Tingitana”, *Latomus*, 32, pp. 838-855. (1973), p. 839.

² Casimir Creuly, «Les Quinquégentiens et les Babares: anciens peuples d'Afrique», *Revue Archéologique*, vol. 3, janvier-juin 1861, p. 51-58.

³ Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique de la province de Constantine, Volume 17 Par Société archéologique du département de Constantine, p. 309.

Secundus (Plinius) أنه من المعتقد أن وأراد الانتقام¹، وسعى إلى وضع حد للسيطرة الرومانية على موريطانيا لأن ذلك سوف يقلل من منزلته التي كانت تتمتع بها في عهد بطليموس بحيث كان الشخصانية الثانية في حكم البلاد. وتعرضت عدة مدن على إثر هذه الثورة للتخريب، من بينها تيطوان (Tamuda) وطنجة (Tingis) والأعراش (Lixus) وقصر الفرعون، وليلي (Volubilis) بشمال موريطانيا الغربية، ثم امتدت الثورة إلى غاية جبال الأطلس حيث عملاً يد موني بمساعدة القبائل للرحل ضد الفيالق الرومانية، وأرسل كلاوديوس، الذي خلف كاليجولا في 24 جانفي 41م، فرقة عسكرية من مختلف المقاطعات الرومانية المجاورة لموريطانيا، وبالأخص من مقاطعة بيتيكا (جنوب إسبانيا) التي زودت بالجيش الروماني بفرقتين عسكريتين: الفرقة الرابعة المقدونية (cohors IV Macedonica)، والفيلق العاشر جيمينيا (X légion Gemina)، أغلب جنودها من غالة²، ويشهد النقش الذي اكتشف بعين تيموشنت إضافة البقايا آثار لقبر رجل من بلاد غالة الذي عثر عليه بوليلي، علم مشاركتهم في العمليات الحربية لقمع الثورة المور³.

وأعاد الرومان الأمن بالمنطقة بعد الحملات العسكرية التي تمت بين عامي 40 و43م تحت قيادة على التوالي ماركوس لوكنيوس كراسوس وفروجي (Marcus Licinius Crassus Frug)⁴، ثم عين سويتونيوس بولينوس الذي

¹ Plinius l'ancien, Histoire Naturelle, Texte établi et traduit et commenté par Desanges(J), éd. les Belles lettres, Paris, 1980, V, 1, 11.

² Rachet (M), Rome et les berbères un problème militaire d'Auguste à Dioclétien, éd, Latomus, Bruxelles, 1970, p.129.

³ Covin (G), "Les relations de la France avec le Maroc", Hesperis, 1957, p.225.

⁴ Plinius L'ancien, V, 11. ; Chatellin (L), «Une inscription relative à la révolte d'Aedemon», CRAI, 1915, pp 394-395. ; Cagnat (M.), L'armée Romaine D'Afrique et l'occupation Militaire de l'Afrique sous les empereurs, éd. imp. nationale, Paris, 1912, pp 394-395.

استرجعاً لمنبالمناطق الشمالية للبلاد¹، ثم زحف عام 42م نحو الجنوب لمواجهة القبائل الثائرة²، ثم خلفه هيوزيد يوس جيتا الذي تمكن من إخماد ثورة المور بقيادة سالابوس³.

واتخذ كلاود يوس إجراءات تقسيم موريطانيا إلى مقاطعتين يفصل بينهما وادي ملوية (Mulucha) حيث برزت مقاطعتي مورطانيا قيصرية وطنجية، وذلك في نهاية عام 42م أو في بداية 43م. واتضحت نية السلطة الرومانية في بسط نفوذها على المناطق شبه المستقلة المتبقية ببلاد المغرب، فشرعت في تحقيق ذلك باغتيال بطليموس على يد الإمبراطور كاليغولا بليون (Lugudunum)، وتم إنشاء مقاطعتين تحت إدارة موظف برتبة فارس عرف بالبروكيراتور (Procurator) يعينه الإمبراطور مباشرة، وقد جمع هذا الحاكم بين السلطتين المدنية والعسكرية.



ترايانوس

كاليغولا

كلاود يوس

أكتاف يوس (أغسطس)

2- الجيش الروماني بالمنطقة:

إذا كانت مصر الرومانية وضعت بها فرقتين عسكريتين، فالمغرب الروماني عرف فرقة عسكرية واحدة (الأغسطسية منذ لبيد (Marcus Aemilius Lepidus)، أحد عناصر الحكم الثلاثي (Triumvirat) والذي أسندت شؤون إفريقيا، والتي أقرها بعده أغسطس، وراقبت منطقة امتدت من قرطاجة إلى الأطلسي، بحوالي 11 ألف جندي (قوات نظامية وعناصر موازية)، أي جندي واحد لكل 10 كلم².

¹ Pline l'Ancien , V, .14 – 16 , Dion , trad. E.Gros, Paris, 1856, LX , 9.

² Cagnat, Op.cit., pp.30-31

³ ثورة سالابوس: عاصرت ثورتى بطليموس وأيديمون والمزاملة في نومديا، انتشرت في الجنوب الشرقي المغربي (ما بين ملوية شرقا وصحراء تافيلات جنوبا وجبال الأطلس المتوسط)، دامت أربعة سنوات. وجهزت روما ضده حملة عسكرية بقيادة جيتا، الذي لاحقه إلى غاية الصحراء وانتصر عليه عام 44م. طالع:

De la chapelle, «l'Expédition de Suétinius Paulinus Dans le sud-est du Maroc», Hesperis, Paris, 1934, p. 110.

مقال جميل حمداوي (مقالات: adab@almothaqaf.com العدد: 3688 الإثنين 10-10-2016م).

كيف اكتفى الرومان بعدد قليل من الجنود؟ لقد تم تعويض ضعف قوة الدفاع والمسافات الكبيرة التي تفصل بين المواقع بينهما من خلال سرعة الانتقال من نقطة إلى أخرى من الليمس، وذلك بواسطة شبكة طرق معتبرة. ثم هناك بقاء الجنود المسرحين في مزارعهم وبالتالي شكلوا درعا آخر في مراقبة أقاليم السلطة الرومانية.

ورد في كتاب "De Munitionibus Castrorum" أي- "ما تعلق ببناء معسكر" - الذي ألف في فترة حكم ترايانوس- Marcus Ulpius Traianus - (98-117م)، أن أول زمرة المسماة "حارسه العقاب" - Cohorte de l'aigle- بلغ عدد جنودها 960 رجلا، وأن التسعة الزمر الأخرى، والتي عرفت بـ "الثانوية" - quincailles - ضمت 480 رجلا، وفي فترة سبتيموس سيفيروس (Septimus Severus) بلغ عددها 550 رجلا، وقد توسع هذا الأخير نحو الغرب، حيث تم بناء حصن مسعد (Castellum dimmidi) 300 كلم على يد الفرقة الأغسطسية وفرقة غالিকা "Gallica"، التي كانت في سوريا، تحت غطاء الجناح الأول للبانونيين، وتم الإستغناء عن الحصن عام 238م.

وسرعان ما تم الإلتفاف حول جبال الحضنة جنوبا بواسطة طريق من القنطرة (Calceus Herculis)، جنوب غرب تازولت، إلى مسعد، وغدت القنطرة موقعا حيويا لاستقبال فوج التدمريين بين 167-238م، وفصائل من الفرقة الأغسطسية، وفرق مساعدة. ومن شمال الحضنة عملت السلطة الرومانية على ربط الليمس النوميدي بموريطانيا القيصرية، وتم عام 128 بناء حصن زراي أو زرايا (Zaratha) ربطت به زمرة الفرسان فلافيا (Flavia equitata) إلى غاية 202م. وقد احتلت روما مليون كلم² مربع من بلاد المغرب في بداية القرن 2 ق.م. وبلغت قوات الفرقة الثالثة 5000 جندي+6000 من القوات الموازية. وكانت هناك وحدات جنود الحدود (limitanei). وكانت هذه تتجه نحو الشمال لمدايد العون للفرق العسكرية التي كانت تقوم بحماية موريطانيا¹.

لم تستقر فيالق بشكل دائم، وإنما كان يرسل إليها فصائل حسب ما تفرضه الظروف الأمنية. وقد تمثل خاصة في القوات الموازية، التي عرفت بشكل واضح في فترة السيفيريين بداية القرن 3م.

وأوضحت شهادة عسكرية (militum graduatio) لعام 107م عثر عليها بموريطانيا بالقيصرية²، عددت القوات المتواجدة بالمقاطعة، والتي تمثلت في ثلاثة أجنحة وعشرة زمر:

¹Richardot(Ph), La Fin De L'Armée Romaine (284-476), Edit.Economica, Paris, 2005.

¹ CIL, XVI, 9 = ILS 9056.

² CIL, XVI, 9 = ILS 9056.

*الأجنحة: النرفانية الأولى الوفية (Ire Nervienne Auguste Fidèle)، الثانية التراقية الأغسطسية (Ile des Thraces Auguste)، اللارثية (Parthes).

*الزمر: الفرقة الأغسطسية الأولى النرفانية السريعة، نسبة إلى نرفا، فرقة الكورسيين الأولى مواطنين رومان، فرقة البانونيين (من أوربا الوسطى) الأولى. فرقة النويريتيين (Nuiritains) من بروتانيا (Bretagne)، والفلافية الأولى للموسولام، والفلافية الإسبانية، الفرقة الثانية البروتونية (Bretons)، والثانية البروكية الكلتيية (Breuques)، والثانية الغالية (Gaulle)، والرابعة السيكاميرية الجرمانية (Sycambres).

وبرزت وحدات أخرى: جناح سياسي (Sébastien) بحرية أولاد هلال، زمرة الكالسيديين الرابعة (إغريقية) بتاتيلتي (Taraess) سوق الخميس، فوج السورين بمغنية، تراقيين وسارديين بأولاد ميمون (Altava)، مستكشفون (Exploratores Pomarienses) في تلمسان.

وكانت الفرقة الأغسطسية الثالثة¹ وبعض الفرق المساعدة تتجه نحو الشمال لمد يد العون للفرق العسكرية التي كانت تقوم بحماية موريطانيا¹. وأكثر المخاطر على الجيش الروماني كانت تأتي من غارات القبائل المتاخمة للصحراء (الجيتول)، وقبائل

¹الفرقة الأغسطسية الثالثة (legio III Augusta): برزت على أكثر احتمال عام 43 ق.م على يد القنصل بانسا (Gaius Vibius Pansa)، وهي الفرقة العسكرية الوحيدة في بلاد المغرب القديم. بعد أن كانت هناك فرقتان عسكريتان لمراقبة المنطقة ترك أغسطس فرقة واحدة مرابطة عام 6م، وذلك بعد تسريح الجيوش التي شاركت في الحرب الأهلية، وكان مقر قيادتها منطقة الكاف ثم نقل إلى حيدرة (Ammadara) عام 30م التي كانت معقل حرب تاكفاريناس، ثم إلى تبسة حوالي عام 75-76م في فترة حكم فيسباسيانوس إلى غاية 115-120م. وتم نقل مقر قيادتها إلى تازولت (Lambaseis) في عام 128م (أواخر سنوات حكم ترايانوس). وقد زارها هادريانوس في مقرها عام 128م. ظلت تحت قيادة بروقنصل إلى أن عين عليها كاليغولا عام 137م قائدا عسكريا. وكان غوردانوس الثالث قد قام بحلها عام 238م بسبب موقفها المعادي لغوردانوس الأول وغوردانوس الثاني، وأعادها فاليريانوس عام 253م، واستمر وجودها إلى غاية نهاية الحكم الرباعي (Tétrarchie) الذي أقامه دقلديانوس لمواجهة هجمات البرابرة. وقد ذكرتها المصادر القديمة بأسماء مختلفة: الفرقة الأغسطسية الثالثة (legio III Augusta) وجيش إفريقية (exercitus africae) وجيش مقاطعة إفريقية (exercitus provincial africae)، والجيش الإفريقي (exercitus africanis). تألفت من 1 كئائب، كل كئيبية على 6 مئينات (Centuries). واجهت ثورة تاكفاريناس (24-17م)، وثورة الغرامنت عم 71م، وقضت على حركات التمرد لحكام المقاطعات وقادة عسكريون، وشاركت في حملات عسكرية في الدانوب وضد البارثيين وفي بلاد الرافدين عام 190م. كما ساهمت في أوقات السلم في إنجاز 75 مشروعا مدنيا وعسكريا مثل شق الطرق وبناء جسور وقنوات نقل المياه وحمامات. وكانت لها قوات مساعدة مثل كئيبية نوميديا (Ala numidae). أنظر:

Lepelley(C), (dir.), *Rome et l'intégration de l'Empire, 44 av. J.-C.-260 ap.*, Tome 2, *Approches régionales du Haut-Empire romain*, Nouvelles Clio, 1998. ;Le Bohec(Y), *La Troisième Légion Auguste*, Préface de Marcel Le Glay, éd. CNRS,

المناطق الجبلية في كل من البيان و بابلور و جرجرة و الظهرة و الورنشريس و تسالا². و عليه أنشأ الرومان ثلاثة خطوط دفاعية (الليمس)، واحد بطول الساحل، وآخر بطول شمال الهضاب العليا، والثالث نحو الجنوب موازيا للخطين الأولين السابقين، ارتبطت فيما بينها بخطوط متعامدة مع الخطوط الأفقية وتتبع طرق اختراق المرتفعات. ويرجع تاريخ إنشائها حسب مراحل الإحتلال والظروف الأمنية داخل المقاطعة، وبالتالي لم تظهر في وقت واحد.



قطعة نقدية تبرز شعار القرقة الثالثة الأغسطسية

<http://hauburn.tripod.com/LegIII.html>

3- الليمس الروماني (الخطوط الدفاعية):

*الخط الدفاعي الأول: شكل الغرامنت خطرا مستمرا على الرومان منذ أغسطس، وكلفت الفرقة الأغسطسية بمواجهتهم جنوب الولاية الإفريقية. وبين الدليل الأنطوني (الذي وضع في فترة كراكلا (Caracalla) 211-217 معددا من المراكز المحصنة جنوب مقاطعة إفريقيا. وقد وصلت الحدود إلى شط الجريد مرورا بطريق تلمين، ثم وسع إلى غدامس منذ نهاية القرن 2م³. وأقيمليمس جنوب تونس من قابس (Tacapae) بشط جريد ثم يتجه غربا نحو نفطة (Nepete) وشط ملغيغ ليصل إلى بسكرة. وشمال القصبات (Gemellae) عند شط الحضنة يتسع الليمس أكثر.

Paris, 1989. (*Études d'antiquités africaines*) ; Christol(M), "Sur quelques centurions de la légion III Augusta", (dans) *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*, 103, 1994.

م.ح. بشاري، "الجيش الروماني من التطوع إلى الإحتراف والفرقة الأغسطسية الثالثة"، مجلة دراسات تراثية، جامعة الجزائر 2، العدد، 2010، 04، ص 41-17.

¹Richardot(Ph), La Fin De L'Armée Romaine (284-476), Edit.Economica, Paris, 2005.

²Cagnat, L'Armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs (2ème édition), Paris, Imp.Nat., Leroux, 1912, p.601.

³Ibid, pp.550-555.

وأجرى ليشي (L. Leschi)، مدير الآثار بالحزائر، عام 1935 بمساعدة جيش الطيران، أبحاثا أثرية حول بقايا الليمس، كما تم الإستكشاف عن طرق الجو على يد باراديز (J.Baradez) منذ نهاية الحرب العالمية الثانية 2 على امتداد حوالي 700 كلم.

* الخط الدفاعي الثاني: انطلق من زاريا شرقا (Zerai) لينتهي عند لالا مغنية غربا، وهو لاحق للخط السابق، ولا يستبعد أنه أنشئ منذ فترة حكم الإمبراطور هادريانوس (Hadrianus) بناء على نقيشة ذكرت إسمه متعلقا به¹، والتي أشارت إلى أنه كان يوجد بالقرب من برج مجانة، كما كان هناك طريق روماني بين سور الغزلان (Auzia) وشرشال (Caesarea)، وأيضا وجود مركز عين دفل (Oppidum novum) في وادي الشلف منذ حكم الإمبراطور كلاوديوس تحت حماية جنود متقاعدين².

* الخط الدفاعي الثالث: يرجع إلى فترة الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (Septimus Severus)، وتم تعزيزه على يد الأباطرة اللاحقون. وتجدر الإشارة إلى أن الإحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم ترسخ أكثر خلال القرن 3م³. وامتد هذا الخط الدفاعي على طول الطرف الجنوبي لجلال الأوراس، حيث تضمن منطقة الزيبان (جنوب غرب بسكرة)، ثم أخذ مساره نحو الشمال الغربي بهدف حماية غرب الحضنة، ليصل على بعد من 36 كلم من سور الغزلان لحماية منطقة التل الجزائري ومنطقة وهران، مارا ببوغار وتيارت وتلمسان ولالا مغنية⁴.



أغسطس

هادريانوس

(حكم من 27 ق.م إلى 14م) (حكم من 117 إلى 138م) (حكم من 98 إلى 117م)

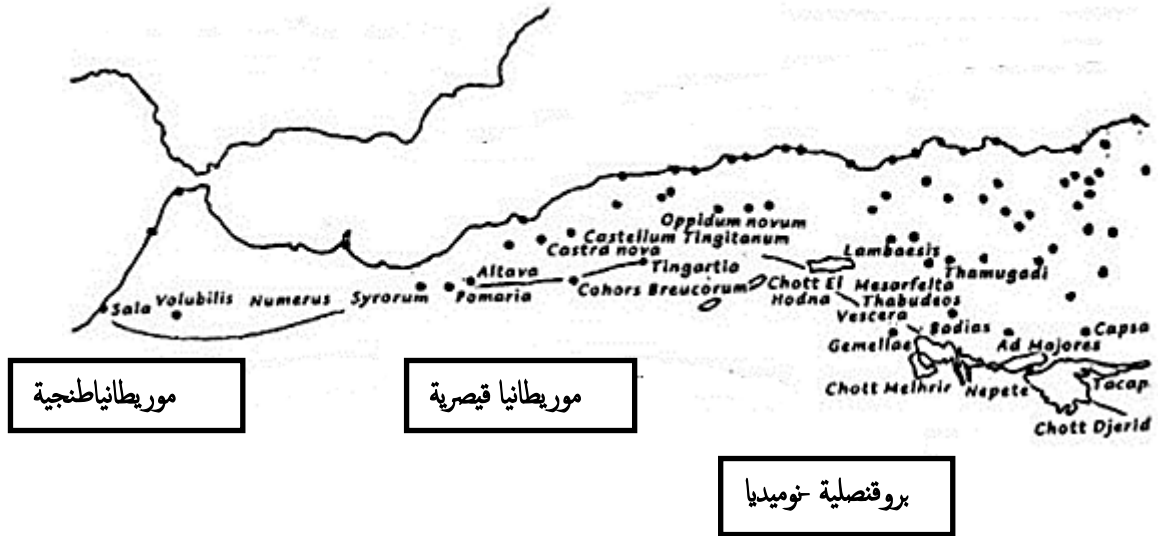
¹ C.I.L, VIII, 8813, 8814. ; Cagnat, op.cit, p.603.

² Pline, Histoire naturelle, V, 20. ; Cagnat, loc.cit.

³ Cagnat, op.cit, pp.601-605.

⁴ Gsell(S), op.cit, pp.75-76.

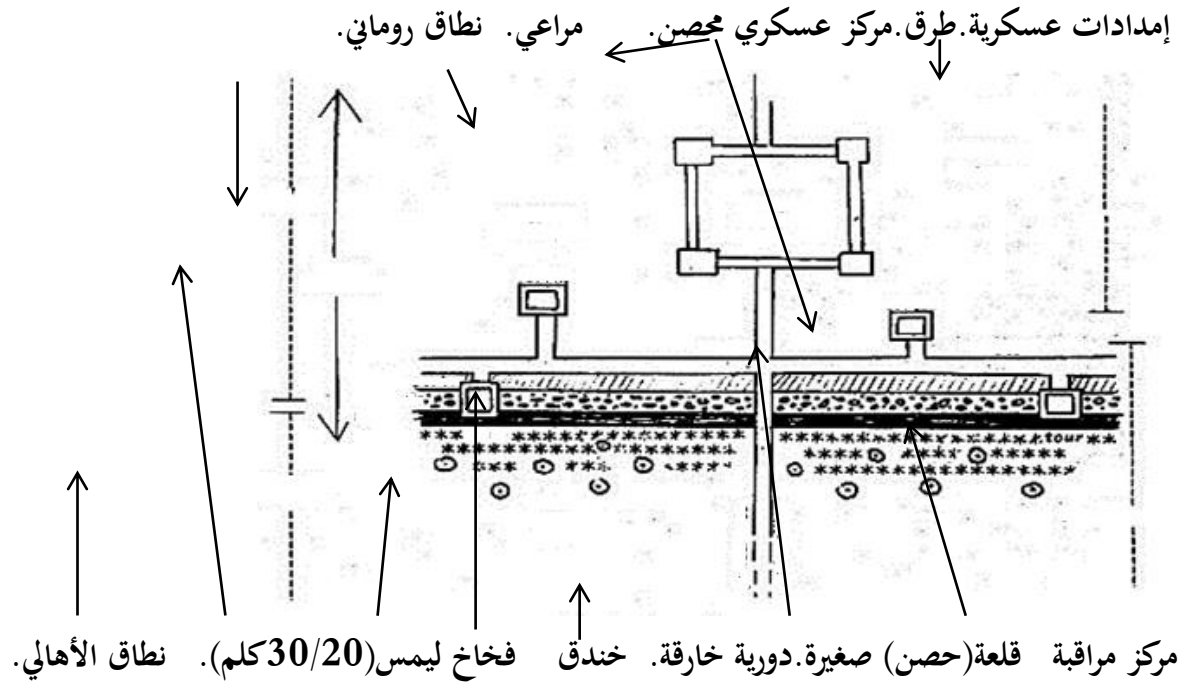
مسار الليمس من البروقنصلية إلى موريطانيا طنجية.



4- الليمس الموريطاني:

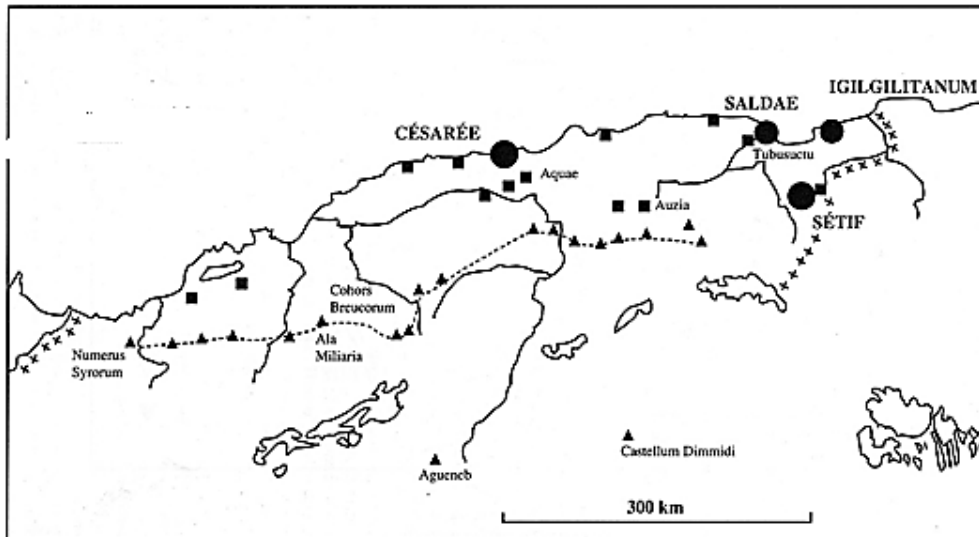
نجد بالداخل خطين يوضحان مدى التوسع الروماني نحو الجنوب، أحدهما ينطلق من سطيف ويمر بسور الغزلان ويتبع هضبة الشلف، وقد مثل حدود القرن 1م. الثاني عبارة عن مجموعة من حصون حملت أسماء عسكرية (Cohors Breucorum) و (Ala MiUiaria) و (Numerus Syrorum) أظهر قوة التصدي لهجمات الرحل. وكل مدن هاتين المقاطعتين (نوميديا وموريطانيا) كانت محصنة بأسوار، ولعبت دور المراقب في بلد لم تهدأ فيه المقاومة المحلية. ومنذ الإمبراطور تراجانوس (Trajanus) إلى غاية بناء مركز مسعد بجنوب الجلفة (Castellum Dimmidi) مرورا بمركز (Gemellae) هادريانوس، كل الجهود الرومانية خلال القرن 2م صبت نحو سد الطريق بين شط ملغيغ والحصنة ومراقبة المنافذ المحيطة بالمنطقة.

تخطيط أفقي لليمس.



In: l'Algérieniste (Perpignan, France), n° 86 de juin 1999.

مختلف مظاهر الإستحكامات العسكرية وشبكة الطرق في مقاطعة موريطانيا القيصرية.



مفتاح الخريطة: ● مدن. ■ مراكز مراقبة. ▲ حصون. ملتقى طرق استراتيجي. * حدود المقاطعة.

5- الأسوار:

*سور جواب(Rapidum):منذ فترة هادريانوس، على بعد حوالي 35 كلم غرب سور الغزلان¹.

وجدت بها حامية عسكرية في القرن 2م، تعززت بجنود الفرقة الثانية من السارديين وفرسان من التراقيين. وغدت إقليما ريفيا ابتداء من النصف الأول من القرن 3م حين تقدم الخط الدفاعي نحو الجنوب. ودمرت رايبوم أثناء الثورة الكبرى التي اكتسحت المنطقة ما بين 253 و260م².

شيدت الأسوار التي أحيطت بالمدينة في فترة حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius)، ورممت في فترتي دقلديانوس وماكسيميانوس (Maximianus) حيث أرجعت إلى حالتها الأولى (وقد دلت على ذلك النقوش التي عثر عليها في البوابتين الشرقية والغربية). أما الأسوار التي تقسم المدينة إلى ثلاثة أحياء فيرجع تاريخها إلى فترة دقلديانوس. وهو غير منتظم الشكل، يصل ارتفاعه في بعض أجزائه 4.5م، وبلغ سمكه بين 50 و70 سم. بني بحجارة مصقولة بطريقة أشلر (Aschlar). وزودت حواف المدينة خاصة في جهتها الشمالية، وكانت سهلة المنفذ، بأبراج كثيرة مستطيلة بارزة خارج السور. والطريق الدائري في المدن خلف السور فهو عبارة عن شرفة مراقبة (عرضها 3.5م). واحتوى على بوابتين واحدة في الغرب وأخرى في الشرق. وكانت بهما نقوش، فعلى البوابة الشرقية نقش معاصر لفترة هادريانوس³، ونقيشتين على البوابة الغربية⁴ يرجعان إلى فترة كل من أورليوس ماركوس ويوكيوس فيروس. ودلت هذه النقوش أن الجنود

¹ Gsell(S), A.A.A, 1911, Feuille 14(Médéa).N°90. ; Seston William, «Le secteur de Rapidum sur le limes de Mauritanie Césarienne après les fouilles de 1927»,In: Scripta varia. Mélanges d'histoire romaine, de droit, d'épigraphie et d'histoire du christianisme. Rome : École Française de Rome, 1980. pp. 333-366.

²Gsell(S), les monuments antiques de l'Algérie, pp.91-93.

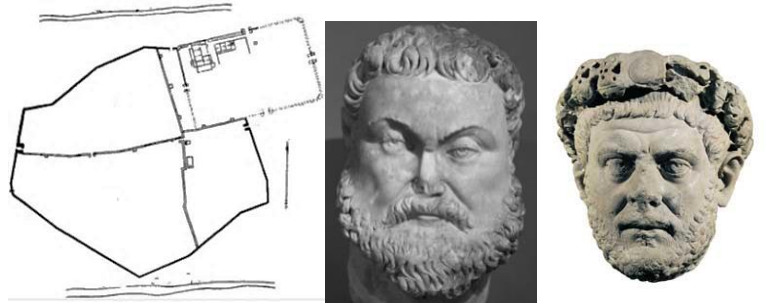
³“Imp Caesazi....Traganus Hadrianus trib pot, VI CosIII procos fecit”
Epi.epigr, V954; Cagnat, Armée Romaine d'Afrique,p.613.

⁴نقيشة البوابة الغربية:

“Imp. Cae (S.M)Aurelio A(ntonio) nino...(tribu-potes) tati (sxxic) os.III et lucio vero...t(ribu potestatisV II cos III veterani et pagani consistentes aput Rapidum mumrum afu (ndamentis ex lapi) de quad ‘rat) o extuveverunt pecunia et sumtu smni, id est veteranore (m er paganoruem) intra eund (em)m (u) zum.(i) nhabitantium adgvante et curante viro(egregio..pu) dente procurator(e) Augustorum

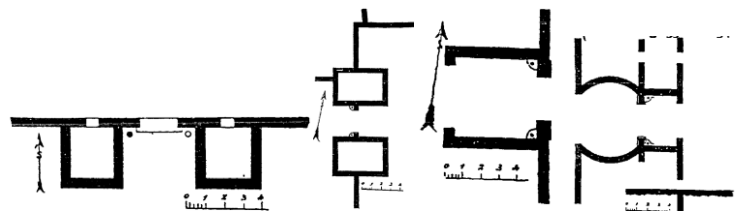
المسرحين والمواطنين الأفارقة أنجزوا بمساعدة الحكومة سورا من أحجار مصقولة لحماية مساكنهم وتم ذلك عام 167م. ومركز القيادة العسكرية بالمدينة كانت له مهمة مستقرة إذا اعتبرنا الإطار العمراني للمدينة، بحصونها الأربعة وثكنة وساحة كبيرة للأسلحة ومساكن في صف محكم، ودل ذلك على أن المدينة كانت كبيرة قطنها حوالي 8500 نسمة (أسر الجنود) على مساحة 375 هكتار. جيش من أربعة قادة المائة تحت قيادة (Præfectus castris) و (Præfectus statorum). حماية سور الغزلان من هجمات البوار (Bavars) الذين شكلوا تحالف القبائل الخمسة (Quinquagésimes) من جرجرة والبيان والبابور. وأجرى به بربوغر (Adrien Berbugger) أبحاثه الأثرية عام 1845-1846م، ونشر وصفا عن الآثار التي شاهدها في 1859-1860¹. واكتشف (Henri Choynet) أبواب المدينة عام 1882. كما وضع الرسام الأثري شلباسيير (Jules Chabassière) مخططا عن السور². سور جواب والأحياء الثلاثة بداخله.

وادي بغلة



ماكسيميانوس سوادى سور جواج

ديوقليديانوس



تخطيط البوابة الغربية. الشرقية. الحيا الشمالي عن الحي الغربي. الشمالي عن الحي الجنوبي. تخطيط الباب الذي يفصل الحي الغربي عن الحي الجنوبي. تخطيط الباب الذي يفصل الحي الشمالي عن الحي الجنوبي. تخطيط الباب الذي يفصل الحي الجنوبي عن الحي الجنوبي.

Epi.epigr, V955 et 1302; Cagnat, op.cit,p.613-614.

¹ Adrien Berbugger, Colonnes milliaires des environs de Cherchell, R.A, T. IV, 1859-1860, pp.49-49 ; 94-104.

² Jules Chabassière, R.A, T.XIII ; 1869, pp.315-318.

***سور زياما (Ziama):** بمدينة شوباي في الفترة الرومانية (Chobae) بجيجل، والتي عرفت باسم المنصورية في فترة الحماديين، يمكن مقارنته بسور تيبازة، حيث أن شيد بأحجار الدبش، وله واجهة خارجية من أحجار صغيرة، وزود بأبراج مستديرة. وعليه يرجع تاريخه إلى نهاية القرن 2 أو بداية القرن 3م.

***سور تيبازة:** غطت المدينة ربوة عالية امتدت مساحتها في سهل بين تلين شرق وغرب الربوة. وبلغ طول سورها 2300م، وعرضه 1.60م. نهايات السور في مستوى أعلى من سطح البحر. وقد بني من ججارة الدبش الملتصقة ببعضها بطبقة سميكة من المونة مع كسوة خارجية من أحجار صغيرة الحجم. وبلغ ارتفاعه بين 7 و9 أمتار. واحتوى على أبراج مراقبة مستطيلة الشكل على مسافات متباعدة وفي طول السور. وعند مداخل الأبواب أقيمت أبراج مستديرة الشكل لحمايتها.

وموقع بوابة الغرب لا يزال واضحا حيث أن خلف برجين معتبرين (المسافة بينهما 19م) نجد جانين ممتدين لهما سقف قبوي يزينهما أعمدة المناطق المعرضة للخطر أكثر متقاربة. وزود بدرج للصعود إلى الأجزاء العلوية، يواجه الأبراج على أبراج صغيرة جدا يمر بينهما طريق يؤدي إلى شرشال¹.

ولم يتمكن فيرموس من اختراق سورها أثناء ثورته (372-371م) بينما تمكن من الإستيلاء على مدن مجاورة. وهدمه الوندال ومعه معظم أسوار المدن الرومانية تحسبا لقيام ثورات محلية ضدهم².

ومقارنة بين أبراج سور تيبازة المستطيلة ومثيلتها في سور جواب والسور الأول في القلعة، يمكن تأريخ سور تيبازة بالقرن 2م. أما تاريخ الأبراج المستديرة فهي إضافة متأخرة خلال القرن 3م أو بداية القرن 4م، مقارنة مع حصن ناضور.

***سور مدينة القلعة (Kalaa Timici):** تقع اليوم ببلدية تاوغريت بالظهرة. وموقع السور الروماني كان على قمة يصعب الوصول إليها غربا. ويلاحظ من ناحية الشرق وجود بقايا سورين متوازيين إلى حد ما، سمك الأول 3.5م وقد احتوى على أبراج مراقبة مستطيلة الشكل، وتبدو بقايا باب جنوب السور. أما الثاني فهو ينفصل عن الأول بـ 100 إلى 200م، وعرضه 2م، وكان يحمي الواجهة الغربية سور مماثل للسور الأول في الواجهة الشرقية، وقد احتوى على أبراج مربعة الشكل. وفي الطرف الجنوبي باب. وعلى مسافة قريبة كان هناك من جهتي الجنوب والشمال برج مراقبة منحوت في الصخر. ويرجع تاريخ بناء السور الأول إلى القرن 2م، أما الثاني بني في القرن 3م.

6- الحصون والتحصينات الدفاعية:

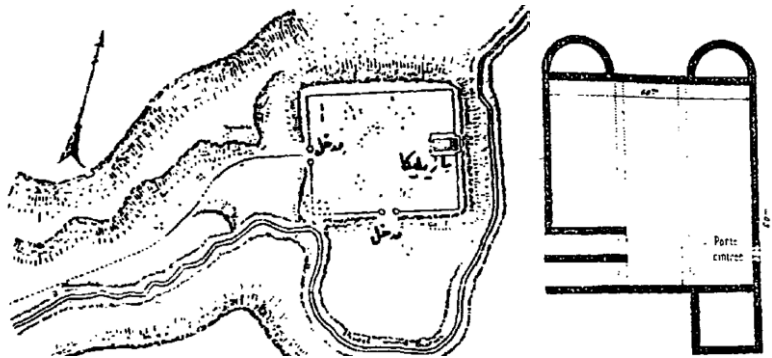
¹ Gsell(S), op.cit, p.98. Fig32, PLXIV.

² Gsell(S), Ibid, pp.98-99.

في إطار تعزيز الخطوط الدفاعية أقيمت حصون الدعم (castella)، رابط بمحا 100 جندي، يصل سمك أسوارها 5 أمتار، واحتوت معظمها على بئر وخزان مياه، وجهزت بمطاحن حبوب، وأفران، ومعاصر زيتون، ومستودعات ومختلف الورشات، وحتى حمامات، ومعابد، وعيادات. ومراكز مراقبة محصنة (burgi) كل 20 كلم عموما، انتشرت ما وراء الليمس، ضمت أقل من 100 جندي.

***حصن قصر عين كبوش:** شيد في القرن 3م، واحتل موقعه في ملتقى الطرق التي تحمي المواصلات من ناحيتي بجاية وتيكالات، وأيضا سور سيدي خليفة من ناحية والساحل من ناحية أخرى. لم يبق له إلا تراكمت من الحجارة المصقولة، والتي في أسفلها نلاحظ آثار الأسوار على ارتفاع متر من الأرض. ويلاحظ أنه بني بطريقة أشلر. اتخذ شكلا مستطيلا (40x50م)، وتضمن برجين ركن مستديرين في جهته الشمالية، وبوابته في جنوبه الغربي، وامتد الركن الجنوبي الشرقي للحصن على هيئة برج خارجي مربع بلغ ضلعه 10 أمتار.

***حصن البنيان:** بني خلال القرن 3م، موقعه على بعد 25 كلم جنوب شرق معسكر، قرب الخط الدفاعي الذي أقامه سبتيموس سيفيروس جنوب مقاطعة موريطانيا القيصرية. عرف باسم فرقة الفرسان (Ala miliaria) التي عسكرت به¹. وأقيم الحصن على ارتفاع بين 30 و 40 متر عن سطح الوادي². مربع الشكل (ضلعه 240م) يحمي من واجهاته مجري نهر، وتميز من جميع جهاته بانحدار شديد، واحتوى على بوابتين (غرب وجنوب السور) تحميها أبراج مستديرة بلغ قطرها 5 أمتار.



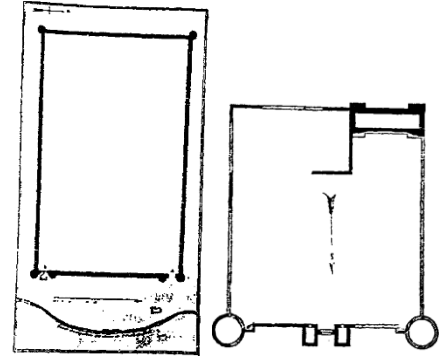
تخطيط قصر عين كبوش وتخطيط حصن بنيان

¹Gsell(S), op.cit, p.87, Fig 26.

² Cagnat, op.cit, p.640.

***حصن ناضور:** بني في بداية القرن 4م، موقعه بين تيبازة وعلى بعد حوالي 10 كلم من شرشال. يغلب عليه الشكل المستطيل. طوله 50م وعرضه 43م، وعرض الحائط 70سم. بين من أحجار الدبش مع كسوة خارجية من أحجار صغيرة الحجم. واحته تنتهي ببرجين كبيرين اتخذا شكلا مستديرا، وله باب في وسط الواجهة ارتفاعه 6 أمتار محاط ببرجين مربعين. منظره العام يوحي إلى شكل حصن رغم أن النقش في أعلى المدخل أنه منزل خاص مالكة يدعى (M.Cincius Hilarianus) الذي عاش في القرن الثالث الميلادي أو بداية القرن 4م¹.

***حصن هنشير سويك:** موقعه على مرتفع بسيط، على الجانب الآخر من مرتفعات سعيدة بواد العبد قرب تاقرمريت. مستطيل الشكل (90x145م)، واحتوى على برج مراقبة في كل ركن منه، وبابين في الجانب المطل على القناة، بعرض كل واحد منها 6 أمتار. وعثر به على نقوش ذكرت الحامية التي كانت مرابطة في القرن 3م (الفيلق الثاني الغالين "Breuques")²، ودل هذا على أنه من أهم حصون المنطقة.



تخطيط حصن ناضور. تخطيط حصن هنشير سويك

خاتمة:

- اتضح، من خلال تتبعنا لاستراتيجية الرومان في مقاطعة موريطانيا القيصرية، مجموعة من الملاحظات:
- تفتن الرومان لأهمية المنطقة حيث توسطت مقاطعات إفريقية الرومانية، وطول ساحلها، وأهمية مدنها، وعلى رأسها "القيصرية".
 - نظرا لاستمرار المقاومة العسكرية بالمنطقة منذ بداية القرن 1م إلى غاية نهاية القرن 4م، اعتمدت السلطة الرومانية في كل مرة تعزيز وسائل دفاعية لحماية مستوطناتها وتأمين استغلال خيرات المنطقة، خاصة المنتجات الزراعية، وشحنها عبر موانئ المقاطعة.

¹Gsell(S), op.cit, pp.100-101, Fig.33-34.

² Eph. epigh, V, 1047, 1049 ; Cagnat, op.cit, p.650.

- أكثر مواقع الخطوط الدفاعية والتحصينات كانت عند تخوم الصحراء حيث هجمات قبائل الجيتول كانت ترهب الجيوش الرومانية.
- إحاطة مدن ساحلية بأسوار يجعلنا نستنتج مخاوف الرومان من ثورات الأهالي حتى داخل النطاق "المؤمن" ما بعد الخطوط الدفاعية باتجاه الشمال.

صعوبات استخلاص مادة كتب النوازل وتوظيفها

في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

د.موسى هواري جامعة الجزائر 2

مقدمة:

يحتاج البحث في التاريخ الاقتصادي لبلاد المغرب - كغيره من مجالات البحث - إلى مصادر متنوعة في موضوعاتها، مختلفة الفترات الزمنية التي كُتبت فيها، وهي في الغالب نفس المصادر التي يعتمد عليها الباحث في مجالات التاريخ الأخرى (السياسي أو الثقافي أو غيرها)، لكن درجة الاستفادة من هذه المصادر تختلف من مجال إلى آخر، مما يؤدي إلى تغير ترتيب المصادر من حيث الأهمية، لتصبح المصادر التي كانت ثانوية في التاريخ السياسي مثلاً، أساسية في البحث الاقتصادي أو الاجتماعي، بينما تنسحب المصادر الأساسية إلى مراتب متأخرة، وتحتل كتب النوازل والأحكام دائماً المراتب الأولى في دراسة التاريخ الاقتصادي أو الاجتماعي لبلاد المغرب في العصر الوسيط، وهذا لتوفرها على مادة تاريخية يندر توفرها في غيرها، لكن استخلاص المادة التاريخية من المصادر الفقهية أمرٌ غير هين خاصة على الباحث المبتدئ، كما أن توظيفها بعد استخراجها أمرٌ صعبٌ أيضاً، وسيحاول هذا البحث عرض بعض الصعوبات التي يواجهها الباحث مع كتب النوازل والأحكام، وتقديم بعض الحلول لتجاوزها.

أ/ أشهر كتب النوازل المالكية في المغرب والأندلس:

تعددت أسماء هذا النوع من المؤلفات الفقهية، حيث اشتهرت بكتب النوازل، لكنها عرفت أيضاً بكتب الفتاوى، وكتب الأجوبة وكتب الأحكام، وذكرت أحياناً باسم كتب المسائل⁽¹⁾، وهي جميعها مسميات لنوع واحد، وعُرف المغاربة بكثرة التأليف في هذا الباب، أكثر من نظرائهم المشاركة، فاشتهرت عندهم مصنفات كثيرة منها: كتاب "فتاوى ابن رشد"، والذي ضم أجوبة الفقيه الأندلسي ابن رشد أبي الوليد محمد بن أحمد القرطبي، المعروف بـ ابن رشد الجد، والمتوفى سنة (520هـ/1126م)، جمع هذه الفتاوى وحققها المختار بن الطاهر التليلي، ونشرتها دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1407-1987، ومنها أيضاً فتاوى الشيخ أبي الحسن اللخمي القيرواني المتوفى سنة (478هـ/1086م)، وقد جمع هذه الفتاوى وحققها: حميد بن محمد لحر، ونشرتها دار المعرفة، بالدار البيضاء،

(1) إبراهيم القادري بوتشيش: النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب

الإسلامي (ق. 5-12/6-13)، مجلة التاريخ العربي، العدد 22، سنة 2003، ص. 247.

المغرب، ويعتبر كتاب: "فتاوى المازري"، للشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، (ت. 536هـ/ 1141م)، من المؤلفات المهمة، حيث جمع هذه الفتاوى وحققها الطاهر المعموري، ونشرتها الدار التونسية للنشر، سنة 1994م، ومنها أيضاً: فتاوى الفقيه أبي عمران موسى المالكي الفاسي (ت. 430هـ/ 1039م)، والتي جمعها وحققها "محمد البركة" في كتاب سماه: "فقه النوازل على المذهب المالكي فتاوى أبي عمران الفاسي"، ونشرتها دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، سنة 2010م.

ولكتاب "نوازل ابن الحاج"، أهمية كبرى، حيث جمع أحمد شعيب اليوسفي فتاوى الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج التجيبي (ت. 529هـ)؛ وحققها ونشرتها مطبعة تطوان سنة 2018م في ثلاثة أجزاء، أما كتاب: "فتاوى البرزلي"، المسمى: "جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام"، لأبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي (ت. 841هـ/ 1438م)، والذي حققه محمد الحبيب الهيلة، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002م)، فهو لا يقل أهمية عن سابقه، لأن صاحبه جمع فيه الكثير من أجوبة العلماء الذين سبقوه، ويعدُّ كتاب "المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب"، لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت. 914هـ/ 1508م)، والذي حققه محمد حجي وآخرون، ونشرته دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، سنة 1401هـ/ 1981م، من أهم المصادر في هذا الباب، وترجع أهميته رغم أنه متأخر، إلى أنَّ صاحبه جمع مادته من مصادر كثيرة أصبح معظمها مفقوداً، فجاءت معلوماته قيمةً يندُر توفرها في غيره، وهناك مؤلفات أخرى كثيرة، منها ما لا يزال مخطوطاً، ومنها ما ضاع وفُقد، وهي شاهدة على غزارة الكتابة في هذا الفن بالمنطقة.

ب/ طبيعة المادة التاريخية في المصادر النوازلية:

تتميز النوازل الفقهية بواقعتها، وبعد مسائلها عن الافتراضات النظرية التي طالما شغبت الفقه وعقيدته⁽¹⁾، وهي مخصصة في الغالب لأحكام القضاة التي فضت النزاع بين المتخاصمين، أو للفتاوى التي بينت الحلال والحرام للسائلين، لكنها تضمنت دون قصدٍ من مؤلفيها معلومات كثيرة عن المجتمع، (الأسرة والمرأة والزواج والطلاق والجنائز وغيرها...)، وعن الصناعة والزراعة والتجارة والأسواق والعمل والمعادن، فكشفت النقاب عن جزئيات مهمة تخص الحياة اليومية للإنسان المغربي، وذكرت تفاصيل نادرة عن بعض النشاطات التي مارسها، ولهذا الأمر قيمة عظيمة، لا من الناحية الشرعية فقط؛ بل من الناحية التاريخية أيضاً، فهي تُمكن الباحث من تسليط الضوء على كثير من جزئيات الحياة

(1) الصمدي مصطفى: فقه النوازل عند المالكية تاريخاً ومنهجاً، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة 2007،

الاجتماعية والاقتصادية⁽¹⁾، خاصة وأن كتب النوازل تتميز بالواقعية والتجديد والتنوع في المواضيع، مما جعلها منجماً غنياً بمعلوماتٍ يستفيد منها المؤرخ والقانوني وحتى المهتم بعلم الاجتماع⁽²⁾، ذلك أننا نجد فيها من دقائق المسائل ما لا نجده في كتب الفقه الأخرى، نظراً لارتباط تلك المسائل بوقائع الحياة وبالمشكلات المستجدة⁽³⁾.

وكتب الفتاوى والنوازل تطلعتنا على مدى الأصالة في التشريع المغربي والأندلسي، ومدى آثار البيئات الإقليمية في هذا التشريع، كما تساعد في التعرف على النظم القضائية، ودور المفتين والمشاورين في إرشاد المتقاضين ومناصرة المظلومين وتنوير رأي الحاكمين، والتعرف على منشآت المجتمع الوقفية، وما قدمت من دعم دائم للمؤسسات الدينية والتعليمية والجهادية⁽⁴⁾.

ج/ صعوبات التعامل مع مادة كتب النوازل:

ولكن استنباط المؤرخ للمعلومات المفيدة ليس بالأمر الهين، لأن مادتها - كما سبق وأشرنا - غير مباشرة، وأصحابها لم يذكروها بغرض التفصيل في مسائل الاقتصاد، أو دراسة أحوال المجتمع، ولم يدونوها من أجل توثيق الأحداث وتسجيلها للأجيال اللاحقة، بل لغرض تبيان الحلال من الحرام، فهي في الأصل كتب فقهية لا تبالي بالتأريخ للصناعة أو الزراعة أو التجارة، بقدر ما تهتم بإصدار الأحكام الفقهية والشرعية ومطابقتها لمذهب الإمام مالك، وفض النزاعات، وإحقاق الحق وإبطال الباطل، ومن بين أهم الصعوبات التي تعرض للباحث:

1. صعوبة اللغة والمصطلحات:

تتميز لغة المصادر الفقهية عموماً وكتب النوازل خصوصاً بلغة مُحْكَمَةٍ ورصينة، لكن الباحث يصطدم في غالب الأحيان بمصطلحات فقهية متداولة عند الفقهاء دون غيرهم، وهذا ما يجعلها تبدو لغير المتخصص صعبة أو غامضة، خاصة وأن قراءة النص الفقهي تختلف تماماً عن قراءة النصوص التراثية الأخرى (التاريخية أو الأدبية)، وهي ليست

(1) حول أهمية كتب النوازل في الدراسات التاريخية أنظر: بولحية نور الدين: النوازل الفقهية ومناهج الفقهاء في التعامل معها، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2015، ص. 11 وما بعدها.

(2) زناقي أنور محمود: كتب النوازل مصدراً للدراسات التاريخية والفقهية في المغرب والأندلس، مجلة الفقه والقانون، العدد 24، أكتوبر 2014، ص. 29.

(3) إسماعيل الخطيب: أهمية النوازل في الدراسات الفقهية والاجتماعية والتاريخية، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، العدد 316 رمضان 1416 / يناير-فبراير 1996، ص. 123.

(4) زناقي أنور: المرجع السابق، ص. 29.

بالأمر الهين حتى بالنسبة للباحث المتخصص في الفقه الاسلامي⁽¹⁾، فكيف بالباحث في التاريخ؟، وتزداد هذه الصعوبة كلما كان المؤرخ مبتدئاً أو غير متعودٍ على قراءة النصوص الفقهية، مما يجعله بحاجة إلفهم الصحيح للنص المراد توظيفه أو الاقتباس منه، عن طريق ضبط المفاهيم الفقهية، وتحديد دلالاتها بدقة، لذلك يلجأ أكثرهم إلى المعاجم اللغوية المعروفة، لكن هذه الأخيرة لا تفيد دائماً، بل على العكس، ربما تخرج الباحث عن المعنى الحقيقي المراد بها، فالمصطلح الفقهي عند الفقهاء له مدلولٌ يختلف عن المعنى اللغوي المعروف⁽²⁾، وهو يملك معنىً شرعياً محدداً، وخصوصيةً في الاستعمال، والحل الأمثل لتجاوز هذه العقبة هو أن يعتمد الباحث على كتب شرح المصطلحات الفقهية، وهي مصنفاً تهتمت بلغة الفقهاء، وشرحت مصطلحاتهم، وتبين ما استعمل منها على وجه مخصوص عند البعض، وما استعمل على وجه عام، ومن أهم هذه الكتب نذكر كتاب: "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، (المتوفى نحو 770هـ/1368م)، ومنها أيضاً "كتاب التعريفات"، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ/1413م)، وكتاب "لغة الفقهاء"، للدكتور محمد رواس قلعجي، وكتاب "المعجم الفقهي" لسعدي أبو جيب، وكتاب: "معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية"، للدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم.

لكن الأفضل للباحث أن يتقيد بكتب مصطلحات المذهب المالكي، لأنّ المصطلح الفقهي لا يكون دائماً مشتركاً بين جميع المذاهب، فقد نشأت فوارق في بعض العبارات الاصطلاحية بين مذهب وآخر نتيجة اختلاف البيئات والمناهج⁽³⁾، ومن أجل الفهم الدقيق، والتوظيف الجيد للنصوص، يُستحسن أن يعتمد الباحث على الكتب القريبة من الفترة المدروسة، فالفقهاء استعملوا في كتبهم كثيراً من المصطلحات التي تتفق مع عصورهم وكانت وقتها شائعةً ومألوفةً⁽⁴⁾، وهي اليوم غامضةٌ أو نادرة الاستعمال، لهذا يعتبر كتاب "شرح حدود ابن عرفة"، لأبي عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري الرصاصي التونسي المالكي (توفي سنة 894هـ/1489م)، والذي شرح فيه "كتاب الحدود"، لابن عرفة

¹ القحطاني مسفر بن علي بن محمد: منهج استنباط الأحكام الفقهية المعاصرة دراسة تطبيقية تأصيلية، دار الأندلس الخضراء جدة ودار ابن حزم بيروت، طبعة 1424-2003، ص. 145 وما بعدها.

⁽²⁾ عبد العزيز عزت عبد الجليل حسن: تعريفات ومصطلحات فقهية في لغة معاصرة، دار النشر للجامعات، القاهرة، طبعة 1999، ص. 4.

⁽³⁾ الرصاص محمد الأنصاري: شرح حدود ابن عرفة، الموسوم ب: الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تحقيق محمد أبو الأجفان و الطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، طبعة 1993، القسم الأول، ص. 37.

⁽⁴⁾ عبد العزيز عزت: المرجع السابق، ص. 4.

الورغمي التونسي (المتوفى سنة 803هـ/1400م) والذي سماه: "الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية"، من أهم المؤلفات في هذا الباب، لأنّ كلا من كاتبه وشارحه مغربيان مالكيان، عاشا في بيئة وفترة قريبتين من تلك التي عاش فيها معظم أصحاب الفتاوى والنوازل⁽¹⁾.

ومن المراجع المفيدة أيضاً، كتاب: "تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي" لمؤلفه الدكتور: "عبد الله معصر"، والذي حاول فيه صاحبه تقريب مصطلحات الفقه المالكي، انطلاقاً من نصوص ومتون هذا المذهب بدءاً بالنصوص التأسيسية الأولى كالموطأ والمدونة، وانتهاءً بكتب المتأخرين، منتقلاً بين أمهات المصادر والمدارس المالكية، وضمنها بعض الاصطلاحات الفقهية التي انفرد باستعمالها فقهاء المغرب دون غيرهم⁽²⁾. وتجدر الإشارة أن هذه الصعوبة تتناقص، كلما أوغل الباحث في النصوص، وأكثر من قراءة المصادر النوازلية، لأنه سرعان ما يتعود على بعض المصطلحات، ويتمكن من فهم سياقات النص الفقهي.

2. تداخل المعلومة التاريخية مع الأحكام الفقهية:

يطغى على المعلومة التاريخية في المصادر الفقهية الحكم الشرعي، من وجوب، أو نذوب، أو حرمة، أو كراهة، أو إباحة، أو تحييز، حيث يكون المفتي منشغلاً بالاستدلال من الكتاب والسنة، أو من أقوال من سبقه من العلماء، لدرجة أن القارئ المستعجل لا يكاد يلاحظ الإشارة التاريخية، لتداخلها مع الحكم الفقهي، وهذا ما جعل من النص النوازلي أداة غير طيبة تقتضي القيام بجملة من الإجراءات القبلية التي تهدف إلى إعداد النص كمادة إخبارية، وتجرده من الصبغة الفقهية التي تطبعه⁽³⁾، وأحسن طريقة للتخلص من هذه المشكلة هي القراءة المتأنية للنصوص، من أجل العثور على ما يهم من معلومات تاريخية؛ اقتصادية كانت أو اجتماعية، وعلى الباحث عدم الاكتفاء بنص السؤال الذي يكون في الغالب قصيراً جداً، بل عليه قراءة الجواب مهما كان طويلاً، لأن الجواب كثيراً ما يُفسر ما جاء في السؤال ويشرحه، وهو يحوي أحياناً معلومات أكثر فائدة للمؤرخ من السؤال.

لكن حتى بعد العثور على المادة التاريخية واستخراجها، يصعب القول أن هذه المادة قد أصبحت صافية للاستعمال⁽⁴⁾، حيث يواجه الباحث مشكلة توظيفها أثناء التحرير لتداخلها مع غيرها، فإذا اكتفى بذكر المعلومة دون الفتوى، فستصبح هذه المعلومة ناقصة أو دون معنى، أما إذا أراد ذكرها معاً، فسيخرج عن الموضوع حتماً، وقد يتحول

(1) الرصاع: المصدر السابق، ص. 11 وما بعدها.

(2) عبد الله معصر: تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، طبعة 2007، ص. 3-4.

(3) الصمدي: المرجع السابق، ص. 24.

(4) نفسه.

من مؤرخ إلى باحث عن الحكم الشرعي للنازلة، لذلك على الباحث أن يقتطع قدر المستطاع الجمل التي تخدمه دون غيرها، ثم يحيل إلى بقية الفتوى في الهامش لكل راغب في الاستزادة حول الموضوع، مع إمكانية ذكر الحكم الفقهي إذا كان ذلك يخدم موضوعه.

3. صعوبة معرفة المفتين في كتب النوازل:

يكتفي أصحاب كتب النوازل في الغالب بذكر جزء من اسم الفقيه أو العالم الذي سُئل عن النازلة أو أجاب عنها، فتأتي الكنية أحياناً دون اسمها ودون لقبه، وقد يوجد أكثر من فقيه يحمل نفس الكنية، والمؤرخ بحاجة لمعرفة الفقيه المسؤول، من أجل وضع المعلومة في إطارها الزمني والمكاني الصحيح، ودون معرفة المجيب عن النازلة تصبح المعلومة مطلقة، يصعب توظيفها، خاصة إذا كان البحث مقيداً بمنطقة معينة في فترة محددة، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في فتاوى البرزلي: "وسئل أبو الحسن عمن قال لرجل: قلب ضيعتي واشترها مني، فأخذ منك ما حضر وأتبعك بالبقية. فقلبيها ثم قال للرسول: ارجع إليه واشتر منه بالنقد، فأنا أشتريها منه على كل حال..."⁽¹⁾، فأبو الحسن هنا غير معروف، ومن الممكن أن يكون تونسياً مثل البرزلي، كما يمكن أن يكون أندلسياً، فقد اشترك في هذه الكنية عدد من الفقهاء الذين عاشوا في فترات مختلفة، حيث ذكرت نفس الكنية في كتاب: "فتاوى ابن رشد" أيضاً، حيث جاء فيه: "قال الفقيه أبو الحسن: ووجدت له -رضي الله عنه- جواباً على سؤال من كراء الأرضين ذهب السؤال ولم أقدر عليه. وهذا نص الجواب: ..." ⁽²⁾.

ويتكرر نفس المشكل عندما لا يُذكر اسم المفتي مطلقاً، مثل ما جاء في إحدى نوازل المعيار المغرب: "وسئل بعضهم عن شريكين في زراعة؛ لم تنبت زريعة أحدهما، هل الزرع النابت بينهما أم لا؟، دلس أم لم يدلس. فأجاب: ..." ⁽³⁾، وجاء في نفس المصدر أيضاً: "وسئل بعض الشيوخ عن أرض كانت مقسومة بين رجلين قد علمت حدودها ثم خفيت تلك الحدود ..." ⁽⁴⁾، وهناك حالات مشابهة كثيرة أخرى.

(1) البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي: فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، طبعة 2002، ج.3، ص.167.

(2) ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي المعروف بـ ابن رشد الجد: فتاوى ابن رشد، تحقيق وجمع المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1407-1987، ص.1413-1414.

(3) الونشريسي أحمد بن يحيى: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي

وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، طبعة 1401هـ/1981م، ج.6، ص.62.

(4) نفس المصدر، ج.6، ص.226.

وللتخلص من هذه المشكلة على الباحث أن يتحرى أسماء الفقهاء، عن طريق الاطلاع على كتب طبقات المالكية، كما أن عليه معرفة شيوخ ومعلمي صاحب النوازل، لأنه يُكثر في العادة النقل عنهم، بالإضافة إلى ضرورة حصر مصادره التي أخذ منها، كما أنّ النظر في كتب النوازل الأخرى قد يُسهل الأمر، لأن بعض الفتاوى مكررة، وربما يُذكر في إحداها الاسم الكامل لصاحب النازلة.

4. تكرر الفتاوى في مختلف المصادر:

ومن الصعوبات التي يواجهها المؤرخ عندما يعتمد على كتب الفقه والنوازل تكرر الفتوى في مصادر متباعدة زمنياً ومكانياً، فيأتي في بعض المواضع جوابٌ عن نازلةٍ نزلت بالأندلس من مفتٍ أو فقيهٍ أندلسي، لكنها وردت في مصنفٍ مغربي، أو العكس، وهذا يُسبب مشكلة الاستشهاد بها والاشتغال على معلومتها، لأن إسقاطها على منطقة محدّدة صعبٌ، كما أن تعميمها على منطقة المغرب والأندلس غير دقيق، ويمكن أن يُعدّ خلافاً كبيراً وخروجاً عن الإطار المكاني للبحث، ومن أمثلة هذه النوازل ما جاء في كتاب: "نوازل البرزلي" التونسي حين قال: "وسئل ابن رشد عمن ابتاع كرمًا فظهر له بعد ابتياعه أنه شارفٌ هل يُردُّ به؟..."⁽¹⁾، ومنها أيضاً نازلةٌ سُئل عنها ابن الحاج التجيبي الأندلسي، لكنها ذكرت في معيار للونشريسي، وجاء فيها: "وسئل ابن الحاج عن امرأةٍ وهبت زوجها رباعاً بمجشر فعقد فيه الزوج مساقاةً ببينة، ولم تشهد المرأة بالمساقاة، (الفتوى)..."⁽²⁾، ولتجاوز هذه العقبة على الباحث أن يستعمل الاسقاط والاستنتاج، بدل التوظيف المباشر لما جاء في مثل هذه النوازل، كأن يشير مثلاً إلى تشابه الكبير بين مختلف مناطق المغرب والأندلس، أو يُلجّح إلى أن ذكرها في نوازل المغرب دليل على وجود حالاتٍ مشابهاتٍ لها.

5. التمييز بين الحالات النادرة الحدوث وعامة الانتشار:

ومن المحاذير التي وجب التنبيه إليها في التعامل مع المصادر النوازلية، هي خطأ تعميم الأحكام أو الاستنتاجات انطلاقاً من نازلةٍ واحدةٍ أو أكثر، لأنّ معظم المسائل التي كانت تُطرح على المفتين وسجلتها كتب الفقه، هي نادرة الحدوث، أو طارئة على المجتمع، ولو كانت متكررة لأشار الفقهاء إلى أنّ حكمها معروفٌ على الأقل عند الخاصة، لكن بعض الباحثين ينطلق من النازلة الوحيدة، لإصدار أحكامٍ عامةٍ على منطقةٍ واسعةٍ مثل المغرب والأندلس، وربما زاد وألصقها بالعصر الوسيط ككل، والحقيقة أنّ وجود نازلةٍ حول مسألةٍ ما، ليس دائماً دليلاً على انتشارها، بقدر ما هو دليلٌ على ندرة حدوثها وقلة تكرارها، وكمثال على ذلك، نذكر النازلة التي أجاب عنها الإمام أبو الحسن اللّخمي

(1) البرزلي: المصدر السابق، ج.3، ص.259.

(2) الونشريسي: المصدر السابق، ج.9، ص.125.

القيرواني، حين سُئل عن مرحاضٍ عموميٍّ مَحْبَسٍ على مسجدٍ، كان يُسْتَعْلَجُ بجمع الرّجيع منه، ثمّ بيعه بغرض استعماله في إصلاح الزرع⁽¹⁾، حيث أفتى رحمه الله بمنع مثل هذا التحبّيس تنزيهاً للمسجد عن مثل هذا الكسب⁽²⁾، فإذا خرج المؤرخ بحكمٍ يؤكّد فيه انتشار المراحيض العمومية التي تُسْتَعْلَجُ لجمع الفضلات منها وبيعها لخدمة المساجد، فهو قد وقع في خطأ جسيم، وحمل النازلة أكثر مما تستطيع، لأنّ هذا الفتوى دليلٌ على قلة انتشار هذه الممارسة ببلاد المغرب، وليست دليلاً على انتشارها، وحتى المسؤول عنها أمر بمنعها ولم يُقرّها، كما أنّ حكم بيع العذرة عند أكثر علماء المذهب المالكي بالمغرب والأندلس، كان يتراوح بين التحريم والكراهة، حيث كرّه شيخ المذهب، مالك، بيعها وكان يقول: "لا يُعْجِبُنِي ذَلِكَ..."⁽³⁾، وكان تلميذه الإمام أشهب بن عبد العزيز (ت. 204هـ/819م) يقول: "...وأما بيع الرّجيع فلا خير فيه"⁽⁴⁾، وكذلك أفتى الفقيه القيرواني أبو القاسم السيوري (ت. 460هـ/1068م)، بعدم جواز شرط تزبيل الأرض في عقد الكراء إذا كان هذا الزبل عَذَرَةً، لأنّه كان يقول بحرمة بيع هذه الأخيرة⁽⁵⁾.

6. الفراغات الكثيرة التي تتركها كتب النوازل:

يصادف المتعامل مع كتب النوازل مشكلة تركيز مادتها على جوانب معينة من الموضوع المدروس أكثر من غيرها، وهذا الأمر بقدر ما يفيد الباحث وربما يُسعده، بقدر ما يدخله في خللٍ منهجيٍّ ينعكس على خطة عمله، بحيث يصبح ملزماً بالتركيز على نقاطٍ في موضوع البحث أكثر من أخرى، وهو التركيز الذي يبدو لقارئ العمل بعد نهايته غير مبررٍ، وكمثال على ذلك نشير إلى عملية الحصاد ببلاد المغرب، إذ تعدّدت النوازل التي تتحدّث عن أجرة الحصادين وطعامهم⁽⁶⁾، بينما تكاد تلك التي تتحدث عن كيفية الحصاد ووسائله، أو تقنياته ووقته منعدمة، وفي مسألة تخزين

(1) اللخمي أبو الحسن القيرواني: فتاوى الشيخ أبي الحسن اللخمي القيرواني، جمع وتحقيق حميد بن محمد لحر، دار المعرفة، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.ط، ص. 123-124 ؛ البرزلي: المصدر السابق، ج. 3، ص. 179 ؛ الونشريسي: المصدر السابق، ج. 7، ص. 343.

(2) اللخمي: المصدر السابق، ص. 123-124 ؛ الونشريسي: المصدر السابق، ج. 7، ص. 343.

(3) التلوخي، سحنون بن سعيد: المدوّنة الكبرى، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.ط، ج. 3، ص. 199.

(4) نفس المصدر، ج. 3، ص. 198.

(5) البرزلي: المصدر السابق، ج. 3، ص. 622-623.

(6) المازري أبو عبد الله محمد التميمي: فتاوى المازري، جمع وتحقيق الطاهر المعموري، الدار التونسية للنشر، تونس، طبعة 1994م،

ص. 109-110 ؛ ص. 361) ؛ البرزلي: المصدر السابق، ج. 1، ص. 595-596 ؛ الونشريسي: المصدر السابق، ج. 1، ص. 374-375.

الحبوب مثلاً؛ لا تشير كتب النوازل أبداً إلى آليات التخزين ولا إلى أماكنه، ولا إلى وقته ومُدَّته، لكنها استفاضت في الحديث عن بعض مشاكله مثل النزاعات بين صاحب المطمورة وصاحب الدار أو صاحب الأرض التي وُجدت فيها، ومسألة طهارة المخزون للاستهلاك بسبب بعض ما يقع فيه، وغيرها⁽¹⁾.

ولتجاوز هذه العقبة على المؤرخ الجاد أن ينوع مصادره، ليكمل الفراغ الذي تركته كتب النوازل من المصادر الأخرى، ككتب الجغرافية، أو كتب الطبقات، أو كتب التاريخ العام وغيرها.

في الأخير تبقى كتب النوازل من أهم المصادر لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد المغرب، لكن التعامل معها لا يخلو من صعوباتٍ، تعيق استخراج المادة التاريخية من صفحاتها، كما يمكن لهذه الصعوبات أن تُعطل استغلال هذه المادة وتوظيفها التوظيف الأمثل، الذي يحقق الموضوعية العلمية المطلوبة، ولا يجيد به عن الحقيقة المنشودة، وقد تناول هذا المقال بعض هذه الصعوبات، وحاول أن يُقدم لها حلولاً، ربما تساعد الباحثين الذين يخضون غمار هذا النوع من البحث لأول مرة.

(1) البرزلي: المصدر السابق، ج.1، ص.150 ؛ الونشريسي: المصدر السابق، ج.1، ص.7-8.

قضاء القضاة في الدولة العباسية

تحقيق فيمن ولي المنصب من سنة 171هـ / 787 م إلى سنة 350هـ / 961م

د: مراد تجنانت _ جامعة البليدة 2 _

المقدمة

جاء في مقال سابق تناولنا فيه تاريخ نشأة منصب قاضي القضاة والعوامل المؤثرة في ظهوره واشكاله تضارب المصادر فيمن تولاه منذ نشأته في عهد الخليفة هارون الرشيد الى سنة 350هـ / م . وقد لاحظنا فيه أن المؤرخين و أصحاب التراجم لم يعطوا حدث نشأة منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية مكانته رغم أهميته في تاريخ النظم الإسلامية ، مثلما فعلت مع قرار الخليفة العباسي هارون الرشيد انشاء ما عرف بمنصب وزير التفويض، جعل إدارة الحكم كلها ليحيى بن خالد بن برمك (ت 195هـ / 810 م)¹ . فقد أرخ الطبري هذا الحدث في سنة 170 هـ / 786 و نقل خطاب الخليفة هارون الرشيد ليحيى الذي جاء فيه " قد قلدتك أمر الرعية و أخرجته من عنقي إليك فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب و استعمل من رأيت و اعزل من رأيت وامضي الأمور على ما ترى . " ثم دفع الرشيد إليه خاتمه².

أما هذا العمل فسيتم فيه تحليل و تفصيل عنصر ورد في البحث يتعلق بالتضارب الذي لوحظ في المصادر الحولية و كتب التراجم حول من ولي قضاء القضاة منذ نشأة المنصب أو الوظيفة.

سيتم في هذا العمل التحقيق الدقيق في كل من ولي هذا المنصب منذ ظهوره الى سنة 350هـ / 961م³ مع تحديد تاريخ توليتهم وإنهاء مهامهم القضائية و عدد المرات التي تولوا فيه المنصب ومذهبهم الفقهي و مكان إقامتهم لما كانوا يقومون بمهامهم على رأس إدارة شؤون القضاء.

¹ - انظر مقال مراد تجنانت: وظيفة قاضي القضاة في الدولة العباسية : النشأة والعوامل المؤثرة فيها وإشكالية من ولي المنصب من 171هـ / 787م إلى 350هـ / 961م، مجلة الحكمة ، عدد 28 السداسي 2 سنة 2014 ، ص 251-270.

² - قلّد الخليفة هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكي بعد ولادة ابنه في شهر شوال ، أنظر الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ / 922 م) : تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية، مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر بيروت لبنان ، 1407 هـ / 1987م . ج 8 ص 443 .

³ - و هو التاريخ الذي يؤشر الى تدهور مكانة المنصب في هذا تاريخ أقدم الفقيه الحنفي ابن أبي الشوارب لأول مرة سنة 350 هـ / 961م على ضمان منصب قضاء القضاة مقابل مائتي ألف درهم يؤديها إلى خزانة معز الدولة أحمد بن بويه (ت 356 هـ / 967 م) الذي قلده أقضاء القضاة متجاوزا الخليفة العباسي المطيع (363-334/945-973) . و كان خروجه في الموكب الاحتفالي من

1. ملاحظات حول بعض القوائم التي جمعت من تولى منصب قضاء القضاة.

يلاحظ أن القوائم المعروفة لحد الآن التي جمعت و رتبت من وُلي قضاء القضاة بقيت تتأثر بهذا التضارب و نقص المعلومات ، خاصة في بعض الفترات التي لا يُعرف فيها من كان فيها على رئاسة القضاء ، لأسباب ارتبطت الظروف السياسية و الأمنية التي شهدتها الخلافة العباسية في عصرها الأول . مما يستدعي التحقيق للوصول إلى خبر إلى مقارنة تكمل ما أنجزه من سبق من الباحثين .

أقدم قائمة لمن ولي قضاء القضاة تلك التي أوردها القاضي وكيع (ت 306هـ / 918 م) في كتابه أخبار القضاة¹ . و حديثاً قائمة قضاة بغداد من 132هـ / 749 م إلى سنة 656هـ / 1258 للشيخ لؤي ماسنيون الصادرة سنة 1948م اعتمد فيها لتحديد قائمة أصحاب هذه الوظيفة المستحدثة بالدرجة الأولى على كتاب تاريخ بغداد لشمس الدين الذهبي و كتاب المنتظم لعبد الرحمن بن الجوزي. هذه القائمة لقضاة بغداد من 132هـ / 749 م إلى سنة 656هـ / 1258م مقسمة عموماً بين قضاء القضاة و قضاة مدينة المنصور و قضاة الشرقية و قضاة الجانب الشرقي².

قصر معز الدولة البويهية سنة 350هـ / 961م. ويعبر هذا الحدث عن الوضع المتدهور الذي صارت عليه الخلافة و وظيفة قضاء القضاء. الذهبي (ت 748هـ / 1347 م) العبر في أخبار من عبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، مطبعة الحكومة الكويت 1404هـ / 1984م . ج 2 ص 290. و ج 2: ص 290 و الخطيب البغدادي أحمد بن علي أبو بكر (463هـ / 1070 م) : تاريخ مدينة دار السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي بيروت 1422هـ / 2002 م. ج 13 ص 108. و إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ابن كثير (ت 774هـ / 1372م) : البداية و النهاية ، دار الفكر بيروت لبنان 1398هـ / 1978م . ج 11 ص 237.

¹ - أنظر القاضي وكيع محمد بن خلف بن حيان (ت 306هـ / 918 م) : كتاب أخبار القضاة ، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، عدد الأجزاء 3 : مطبعة الاستقامة القاهرة 1366 / 1947 . ج 3 ص 324 .

² - Massignon Louis : Cadis et Naquibs bagdadiens . operam minora 1958 . tome:

1 page 258.259.260.

و وضع الباحث صالح عبد العلي سنة 1969م جدولاً تتناول نفس الفترة بنفس التقسيم ، ما يميزها عن قائمة لويس ماسينيون أن صاحبها وضع هامشاً مفصلاً أضاف فيه بعض المصادر أهمها أخبار القضاة للقاضي وكيع وطبقات بن سعد و كتب المسعودي و الصولي¹ .

2. قضاة القضاة من سنة 171هـ / 787 م إلى سنة 350هـ / 961م

تتفق المصادر على أبا يوسف يعقوب كان أول قاضي قضاة في الخلافة العباسية ، قال الخطيب البغدادي " هو أول من حُوِّطَ بقاضي القضاة . " وسجل الذهبي " هو أول من لُقِّب قاضي القضاة . " ² . وبعد وفاته سنة 182 هـ / 798 م اختلفت المصادر في تحديد أسماء من تولى الوظيفة، كما اختلفت في ترتيبها بين ابنه يوسف بن يعقوب (ت 192 هـ / 807 م) وأبي البختری وهب بن وهب القرشي (ت 200 هـ / 815 م) ومحمد بن الحسن الشيباني (ت 189 هـ / 805 م) وعلي بن حرمة التيمي (ت 198 هـ / 813 م) وعلي بن ظبيان العبسي (ت 192 هـ / 807 م) . ففي قائمة من ولي قضاء القضاة بسر من رأي (سامراء) للقاضي وكيع لم يأت ذكر محمد بن الحسن و يوسف بن أبي يوسف و أبي البختری وهب بن وهب وجاء فيها بعد أبي يوسف علي بن حرمة التيمي ثم علي بن ظبيان ³ . وفي كتاب المنتظم للمحدث والمؤرخ ابن جوزي (ت 597 هـ / 1200م) أن يوسف بن أبي يوسف ولي قضاء القضاة بعد أبيه ⁴ .

ولم يُذكر أبو البختری وهب بن وهب قاضياً للقضاة ⁵ إلا في كتاب تاريخ بغداد¹، غير أنه ثبت قيامه بتنصيب القضاة و صرفهم عن الوظيفة ، وهذا العمل هو من الصلاحيات المخوَّلة لقاضي القضاة ، ففي سنة 184هـ / 800م

¹ - صالح أحمد العلي: قضاة بغداد في العصر العباسي، مجلة المجتمع العلمي العراقي 1969 ، مج 18 : رقم 18 ، ص 192 وما بعدها

و الجدول رقم : 01

² - القاضي وكيع ، المصدر السابق ، ج 3 ص 324 . و الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج 16 ص 361 والذهبي تاريخ الإسلام و وفیات المشاهير و الأعلام، حققه د.بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1424هـ / 2003م . ج 4 ص 1023.

³ - أنظر قائمة الجدول رقم 01 القاضي وكيع ، نفس المصدر ، ج 3 ص 324 و الجدول رقم : 01 .

⁴ - ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597 هـ / 1200 م) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العربية بيروت، الطبعة الثانية ، 1415/1995 . ج 9 ص 72 .

⁵ - عدده المسعودي ضمن قضاة الأمين فيكون الوحيد من بين قضاة الذين عزل من رئاسة القضاء ثم عاد الى مرتبة أقل. كما عزله الخليفة الرشيد من قبل و ولاه صلاة و قضاء المدينة . أنظر المسعودي : التنبيه و الإشراف ، تصحيح و مراجعة عبد الله إسماعيل

صرف قاضي مصر محمد بن مسروق الكندي (ت 185 هـ / 801 م) ونَصَّب القاضي إسحاق ابن الفرات (ت 204 هـ / 820 م) مكانه². وهذه إشارة واضحة تدل على اشتغاله قاضيا للقضاة في هذه السنة ، وإن لم يجعله القاضي وكيع و ابن سعد ضمن من ولي وظيفة قضاء القضاة³. وصُرف القاضي أبو البخترى قبل سنة 189 هـ / 805 م⁴ ، وعَوَّضه محمد بن الحسن الشيباني الذي لم يذكره القاضي وكيع كذلك ضمن قائمته⁵ ، أما الخطيب البغدادي فذكر أنه كان قاضيا على الرقة من قبل هارون الرشيد، ثم أنهى عمله ، فقدم بغداد . وقد خرج معه إلى الري بفارس وتوفي فيها عام 189 هـ / 805 م⁶.

و في فقرة أخرى يقول الخطيب البغدادي عن القاضي علي بن حرملة التيمي "ولي قضاء القضاة ببغداد في أيام هارون الرشيد بعد موت محمد بن الحسن".⁷ . يُفْهَم من هذا النص أن محمد بن الحسن كان على قضاء القضاة قبل علي بن حرملة. و معلوم أن الخليفة هارون الرشيد صار مستقرا في الرقة منذ سنة 180 هـ / 796 م⁸ ، فمن الطبيعي أن يكون أكبر قضاة الدولة قريبا من مقر الخلافة . أما الذهبي في كتاب العبر فقد سَمَّاه قاضيا للقضاة وفقهه العصر⁹. و انْهَيْت مهام محمد بن الحسن قبل شهر جمادي الأولى من سنة 189 هـ / 805 م تاريخ خروج الخليفة هارون الرشيد إلى الري . وبعد وفاته هو وعالم اللغة والنحو إمام في اللغة والنحو والقراءة (ت 189 هـ / 805 م) علي بن حمزة

الصاوف مكتبة الشرق الإسلامية 1357 هـ / 1938 م. ص 302 و القاضي وكيع ، المصدر السابق ، ج 1 ص 253 و القاضي وكيع ، المصدر السابق ، ج 1 ص 253 .

¹ - الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج 9 ص 69 .

² - أنظر محمد بن يوسف الكندي بن يعقوب التجيبي أبو عمر المصري (ت 350 هـ / 961 م): تاريخ ولاية مصر و يليه كتاب تسمية قضائها ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، الطبعة الأولى القاهرة مصر 1407 / 1987 ، ص : 295 .

³ - ابن سعد أبو عبد الله محمد بن منيع البصري الزهري: (ت 230 هـ / 854 م) : الطبقات الكبرى ، دار الفكر دار صادر ، بيروت . ج 7 ص 332 . و القاضي وكيع ، المصدر السابق ، ج 1 ص 243 وما بعدها ، ج 3 ص 269 ، 326 .

⁴ - سجل لويس ماسينيون تاريخ صرفه عن المنصب سنة 184 هـ / 800 م. أنظر ماسينيون ، المرجع السابق ، ص 258 .

⁵ - القاضي وكيع ، نفس المصدر ، ج 3 ص 324 .

⁶ - الخطيب البغدادي، المصدر السابق ، ج 2 ص 562 .

⁷ - الخطيب البغدادي، المصدر السابق ، ج 2 ص 562 . و ج 13 ص 359 .

⁸ - الطبري، المصدر السابق ، ج 8 ص 460 .

⁹ - الذهبي ، العبر ، ج 1 ص 302 .

الكسائي رثاهما يحيى بن المبارك اليزيدي مؤدب إبن الخليفة هارون الرشيد الأمين والمأمون (ت 202هـ/817 م) . ومما قاله :

أُسِّيتُ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ مُحَمَّدٍ فَأُذَوِّتُ دَمْعِي وَالْعُيُونُ هُجُودُ
وَقُلْتُ إِذَا مَا الْخَطْبُ أَشْكَلَ مَنْ لَنَا؟ بِإِضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ فَقِيدُ
وَأَقْلَقْنِي مَوْتُ الْكَسَائِيِّ بَعْدَهُ وَكَادَتْ بِي الْأَرْضُ الْقَضَاءَ تَمِيدُ¹

وتدعم هذه الأبيات ما سبق قوله من أن محمد بن الحسن ولي قضاء القضاة في عهد الخليفة هارون الرشيد. أما علي بن ظبيان فمن المنطقي أن يكون قد تولى المنصب بعد صرف محمد بن الحسن، وهذا إلى 192هـ/807 م تاريخ وفاته حين خرج مع الخليفة هارون الرشيد إلى خراسان وهو على قضاء القضاة². ثم عيّن بعده علي بن حرملة التيمي³. الذي ترأس القضاء من سنة 192 هـ / 807 م إلى قيام الفتنة بين الأخوين الأمين والمأمون و عموم الفوضى في العراق و اندلاع حرب الخلافة بين الأخوين. و في خضم أحداث مقتل الخليفة الأمين سنة 198هـ/813 م ثم تأخر دخول الخليفة المأمون بغداد سنة 204هـ/819 م لا تذكر المصادر تاريخ نهاية توليه منصب قضاء القضاة⁴.

لما استتبت الأوضاع للخليفة للمأمون في بغداد سنة 204 هـ /819 م ولّى يحيى بن أكثم (ت 242هـ/856 م) قضاء القضاة⁵ استمر في عمله الى مطلع سنة 217 هـ / 832 م ، ويبدو أن المنصب بقي شاغرا مدة ستة أشهر إلى وفاة الخليفة المأمون في شهر رجب سنة 218 هـ/833 م⁶.

¹ - الطبري، المصدر السابق ، ج 8 ص 474. الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج: 2 ص 573.

² - الخطيب البغدادي ، نفس المصدر ، ج 13 ص 404 ، 407 .

³ - نفس المصدر ، ج 13 ص 359 . و القاضي وكيع ، المصدر السابق، ج 3 ص 286، 287 ، 324 .

⁴ - أنظر د. صالح أحمد العلي. المرجع السابق ، ص 193 ، 194 .

⁵ - كان ابن أكثم سنة 205هـ/820 م يتولى قضاء البصرة وقد تولى قضاء القضاة بعد ذلك . أنظر القاضي وكيع ، المصدر السابق ، ج : 2 ص 163 . و ج 3 ص 273 .

⁶ - الطبري ، المصدر السابق ، ج 8 ص 639 ، 251 . و يعقوبي ، المصدر السابق ، ج 3 ص 70.

قلَّد الخليفة المعتصم بعد أن وتولى الخلافة سنة 218 هـ / 833 م أحمد بن أبي دؤاد (ت 240 هـ / 854 م)¹ ، الذي بقي في منصبه في عهد الخليفة الواثق (232-227 هـ / 842-847 م)، لكن بعد إصابته بالفالج سنة 233 هـ / 847 م ناب عنه ابنه أبو الوليد محمد بن أحمد (ت 239 هـ / 853 م)².

أعاد الخليفة المتوكل (232 - 247 هـ / 847-861 م) يحيى بن أكثم ثانية من 237 هـ / 851 م إلى سنة 240 هـ / 854 م ، ثم قلَّد جعفر بن عبد الواحد العباسي (ت 258 هـ / 871 م) الذي استمر على رأس إدارة القضاء إلى عام 250 هـ / 864 م³. و بعد تصريفه عن قضاء القضاة عوضه جعفر بن محمد بن عمار البرجمي إلى أن توفي سنة 252 هـ / 866 م⁴. ثم ولي محمد بن رزين البصري الذي لم يُرَسَّم في المنصب . ورد ذكر هذا القاضي في قائمة مختصرة للقاضي وكيع ضمن من ولي قضاء القضاة في مدينتي سري من رأى (سمراء) و بغداد ، و المعلومات عنه نادرة ربما بسبب قصر الفترة التي تولاها و عدم ترسيمه من طرف الخليفة⁵. و جاء بعده في نفس السنة الحسن بن محمد بن أبي الشوارب (ت 261 هـ / 874 م) ، ثم عبد الرحمان بن نائل بن نجيح سنة 255 هـ / 859 م دون أن يرَسَّم في منصبه كذلك⁶.

عاد الحسن بن محمد بن أبي الشوارب ثانية إلى وظيفته واستمر فيها إلى وفاته سنة 261 هـ / 874 م، فأرسل الخليفة المعتمد (256-279 هـ / 870-892 م) وزيره عبَّيد الله بن يحيى بن خاقان (ت 263 هـ / 876 م) إلى أخيه علي بن محمد (ت 283 هـ / 896 م) يعزِّيه و يوَلِّيه قضاء القضاة في نفس العام⁷. و لم يستقر علي بن أبي الشوارب في رئاسة القضاء عامة أيام الخليفة المعتمد إلى أن عُيِّن قاضي مدينة المنصور زمن الخليفة المعتضد في ربيع الأول سنة 283 هـ / 896 م ، فجمع بين قضاء القضاة وقضاء مدينة المنصور إلى أن توفي في شوال من نفس السنة⁸.

¹ - الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج 5 ص 234. و القاضي وكيع ، ج 3 ص 294 وما بعدها.

² - القاضي وكيع ، نفس المصدر ، ج 3 ص 300 .

³ - الخطيب البغدادي، المصدر السابق ، ج 8 ص 55 . والقاضي وكيع ، نفس المصدر ، ج 3 ص 324 .

⁴ - القاضي وكيع ، نفس المصدر، ج 3 ص 194 و البغدادي ، نفس المصدر، ج 8 ص 43 ، 44 .

⁵ - أنظر القاضي وكيع ، ج 3 ص 303 ، 324 .

⁶ - نفس المصدر ، ج 3 ص 303 .

⁷ - نفس المصدر، ج 3 ص 303 والخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج 8 ص 426 و ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 12 ص 164 ، 363 .

⁸ - القاضي وكيع ، نفس المصدر ، ج 3 ص 285 و الخطيب البغدادي ، نفس المصدر ، ج 13 ص 524.

يظهر أن القاضي المالكي إسماعيل بن إسحاق (ت 282هـ/895 م) كان يقوم مهام قاضي القضاة في الحالات التي كان يُعزَّل فيها أبو الحسن علي بن أبي الشوارب، ويبدو أنه حال هذا الأخير لم يكن مستقراً على إدارة شؤون القضاء، قال وكيع القاضي "... ثم اضطرب أمر علي بن محمد بن أبي الشوارب في قضاء القضاة عامة أيام المعتمد إلى أن توفي إسماعيل بن إسحاق...."¹. وقد عرّف الخطيب البغدادي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد البصري بالمقدم على سائر القضاة ربما لمنزلته عند الأمير الموفق (ت 278 هـ / 891 م) أخو الخليفة المعتمد بن المتوكل (256-279 هـ / 870-892 م)، ويظهر أنه كان يشرف على أمور القضاء دون تقليد من الخليفة².

في سنة 284 هـ / 897 م عين الخليفة المعتضد (279-289 هـ/892-902 م) الفقيه المالكي محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل قاضياً لمدينة المنصور وبعض مناطق العراق³، بينما ضمت قائمة القاضي وكيع في من ولي قضاء القضاة بمدينة سر من رأى (سامراء) اسم محمد بن إسماعيل ولعله أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد الأزدي، ويكون اسم الأب و الجد قد سقطا فمحتمل جداً أنه كلّف بأعمال قضاء القضاة منذ سنة 284هـ/897م وقد رتبته بعد محمد بن أبي الشوارب⁴. كما تولى مهام قاضي القضاة في نفس الفترة القاضي أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز (ت 292هـ/904 م)⁵، ويبدو أنه كان يقلّد قضاة الأقاليم فيسرد ابن الجوزي أن القاضي أبا خازم كان في طريق فَمَرَّ عليه رجل وقال "أحسن الله جزاءك أيها القاضي في تقليدك فلاناً القضاء ببلدنا، فإنه عفيف". فصاح عليه أبو خازم وقال "اسكت عافاك الله تقول في قاض أنه عفيف؟! هذا من صفات أصحاب الشرطة، والقضاة فوقها"⁶. ثم صُرفَ محمد بن يوسف وابنه عن جميع المهام القضائية سنة 296هـ/908 م لمشاركته في محاولة عزل الخليفة المقتدر (295-320 هـ / 908-932 م).

ولا توضح المصادر من كان على قضاء القضاة في الفترة ما بين 296 هـ / 908 م و 317 هـ / 929 م، بينما نجد في قائمة المستشرق لويس ماسينيون ذكر قاض اسمه أبو المثنى أحمد بن يعقوب بقي على المنصب يومان، ثم عبد الله

¹ - القاضي وكيع، نفس المصدر، ج 3 ص 303.

² - الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج 7 ص 278.

³ - الطبري، المصدر السابق، ج 10 ص 358. و الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج 4 ص 635.

⁴ - توقف القاضي وكيع في كتابه أخبار القضاة نهاية القرن الثالث هجري بينما كانت وفاته سنة 306هـ/918. أنظر القاضي وكيع، المصدر السابق، ج 3 ص 324. و القائمة رقم: 01.

⁵ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 13 ص 539. و الذهبي، العبر، ج 1 ص 104.

⁶ - أنظر ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13 ص 42، 43.

بن أبي شوارب وكان قاضيا على الشرقية ثم الجانب الشرقي. ثم جاءت فترة فراغ من 301هـ/913 م الى 316هـ/928 م حيث ولي لبضع أسابيع الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب . و يبدو أن القاضي أحمد بن إسحاق بن البهلول كان الأقرب للإشراف على شؤون القضاء و إن لم يقلد ، فقد بقي في دائرة القضاء و شؤونه حوالي عشرين سنة¹. ومحمّل أن يكون القاضي أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن البهلول(ت 318هـ/930 م) هو من كان على شؤون قضاء القضاة ، فقد قلّده الخليفة المقتدر في سنة 296 هـ / 909 م القضاء بمدينة المنصور وعدة مناطق بالعراق، ثم أضاف إليه بعد بضع سنين قضاء الأهواز لما مات قاضيها وكيع محمد بن خلف بن حيان صاحب كتاب أخبار القضاة ، وما زال على هذه الأعمال حتى صُرف عنها في سنة 317 هـ / 929 م لكبر سنه ، وقد ولي القضاء عشرين سنة².

وعاد القاضي أبو عمر محمد بن يوسف إلى تقلّد وظيفة قضاء القضاة سنة 317 هـ / 929 م ، وبقي في منصبه حتى وفاته سنة 320 هـ / 932 م³ ، فخلفه ابنه أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف في سائر أعماله سوى قضاء القضاة ، و لم يُقلّد إلا سنة 325 هـ / 936 م في عهد الخليفة الراضي (322 – 329 هـ / 934 – 941م)، وبقي على قضاء القضاة إلى وفاته سنة 328 هـ / 939 م⁴.

يكتنف الفترة التي تمتد من وفاة أبي عمر محمد بن يوسف إلى سنة 338هـ/949م شيء من الغموض، و الظاهر أن الضعف الذي كانت عليه الدولة و الأحداث التي كانت تعرفها قد أثرت على القضاء، أهمها استيلاء معز الدولة البويهري على بغداد سنة 334 هـ/946 م وعزله الخليفة المستكفي(333-334هـ/345-946 م)⁵.

¹ - أنظر ماسينيون ، المرجع السابق ، ص 258 .

² - الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج 5 ص 54 .

³ - في سنة 301هـ/913م تقلد الجانب الشرقي و الشرقية من بغداد وعدة نواحي من السواد و الشام و الحرمين و اليمن وغير ذلك وكان سنة 310هـ/922م قاضيا للقضاة . أنظر ابن الجوزي ، المصدر السابق : 13 ج ص 313. و الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج 4 ص 636 ، 637 .

⁴ - أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الكتاب (ت 335هـ/946 م): أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من 322هـ الى 333هـ ، عني بطبعه ج. هيورث. (د . ن)، مطبعة الصاوي القاهرة مصر 1354هـ/1935م . ص 86 ، 87 والخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج 13 ص 82 ، 85 . و ابن الجوزي ، المصدر السابق، ج 13 ص 389 ، 390 .

⁵ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6 ص 315.

في هذا الأوضاع المضطربة لا نجد المؤرخين يذكرون قاضيا للقضاة بعد وفاة أبي الحسن عمر بن محمد رغم أن ابنه أبا النصر يوسف بن عمر كان مؤهلا لتولي المنصب لمكانته هو وأبيه عند الخليفة الراضي (322 – 329 هـ / 934-941 م)، فلم يُقلد إلا قضاء بغداد بأسرها سنة 329 هـ / 940 م .

ويبدو أن القاضي في فترة شغور المنصب إذا جُمعت له بغداد بأسرها كان يتولى في نفس الوقت أعمال قضاء القضاة دون تقليد. وقد جمعت بغداد لأربعة قضاة فكانت سنة 328 هـ / 939 م لأبي النصر يوسف بن عمر (ت 356 هـ / 966 م)¹ ثم سنة 330 هـ / 941 م لأحمد بن عبد الله بن إسحاق الخرقى (ت نحو 330 هـ / 941 م)² ثم سنة 335 هـ / 946 م لمحمد بن صالح بن أم شيبان (ت 369 هـ / 979 م)³ . ثم تقلد القاضي أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمداني قضاء بغداد بأسرها سنة 336 هـ / 947 م . ثم تقلد قضاء القضاة سنة 338 هـ / 949 م إلى وفاته سنة 350 هـ / 961 م⁴.

يتبين في آخر هذا البحث أن ستة قضاة تراوحت مدة اشتغالهم بالوظيفة بين اثني عشرة سنة و اثنين و عشرين سنة وهم أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم⁵، ويحيى بن أكثم على فترتين ، الفترة الأولى أربع عشرة سنة و الثانية ثلاث سنوات⁶ ، وأحمد بن أبي دؤاد خمس عشرة سنة⁷ وعلي بن محمد بن عبد الملك بن أبي شوارب مدة اثنين وعشرين سنة على فترات⁸، و القاضي أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن البهلول تولى وظائف القضاء مدة عشرين سنة⁹.

¹ - الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج 16 ص 473 .

² - نفس المصدر ، ج 5 ص 372 .

³ - نفس المصدر ، ج 3 ص 340 .

⁴ - نفس المصدر ، ج 14 ص 272 ، 273 .

⁵ - القاضي وكيع ، المصدر السابق ، ج 3 ص 324 و الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج 16 ص 361 و الذهبي تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام ، ج 4 ص 1023 .

⁶ - كان ابن أكثم سنة 205 هـ / 820 م يتولى قضاء البصرة وقد تولى قضاء القضاة بعد ذلك . أنظر القاضي وكيع ، المصدر السابق ، ج 2 ص 163 و ج 3 ص 273 .

⁷ - الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج 5 ص 234 . و القاضي وكيع ، ج 3 ص 294 و ما بعدها .

⁸ - القاضي وكيع ، نفس المصدر ، ج 3 ص 285 . و الخطيب البغدادي ، نفس المصدر ، ج 13 ص 524 .

⁹ - محتمل أن يكون القاضي أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن البهلول (ت 318 هـ / 930 م) هو من كان على شؤون قضاء القضاة ، فقد قلده المقتدر في سنة 296 هـ / 909 م القضاء بمدينة المنصور وعدة مناطق بالعراق ، ثم أضاف إليه بعد مدة قضاء الأهواز لما مات قاضيه وكيع محمد بن خلف بن حيان صاحب كتاب أخبار القضاة ، وما زال على هذه الأعمال حتى صُرف عنها في سنة 317

⁹ أبو السائب عتبة بن عبيد الله اثنا عشرة سنة¹، والحسن بن محمد بن أبي شوارب تسع سنوات على فترتين ، وجعفر بن عبد الواحد بن جعفر العباسي بنفس المدة . ثم نجد ثلاثة قضاة كانت مدة ولايتهم حوالي ثلاث سنوات وهم علي بن ظبيان، وجعفر بن محمد بن عمار البرجمي، و عمر بن محمد بن يوسف. وهناك قاضيان اثنان لم يتجاوزا مدة سنة هما عبد الرحمان بن نائل ابن نجيح و محمد بن رزين . أما بقية القضاة فتُجهل مدة توظيفهم في المنصب لسكوت المصادر عن ذلك . لعل السبب قصر الفترة زمنية التي اشتغلوا فيها .

يلاحظ أن بعض القضاة الذين استمروا في عملهم إلى وفاتهم ، و بعضهم صرف ثم أعيدوا إلى منصبه منهم الحسن بن محمد ابن أبي شوارب، وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ، و يحيى بن أكثم .

و هناك فترات يظهر فيها أن المنصب كان في حالة شغور ، فلما توفي القاضي عمر بن محمد بن يوسف سنة 328هـ / 939 م لم يُعيّن القاضي أبو السائب عتبة خليفة له إلا سنة 338هـ / 949 م . وبعد وفاة القاضي علي بن محمد سنة 283هـ / 896 م لم يتولى محمد بن يوسف وظيفته إلا أشهراً بعد ذلك سنة 284هـ / 897 م.

و ظهر أنه في وضعيات متميزة كان القاضي يقوم بمهام قاضي القضاة ولا يرسم إلا بعد مدة مثل القاضي عمر بن محمد الذي عوّض أباه محمد بن يوسف سنة 320هـ / 932، ولم يُرسم إلا سنة 325هـ / 936 م . كما نجد قضاة اشتغلا في المنصب دون تنصيب وهما محمد بن رزين و عبد الرحمان بن نائل.

إذا صنفنا قضاة القضاة حسب المذهب فإن أغلبهم كانوا من الأحناف فمن بين أربعة و عشرين قاضيا نجد خمسة عشر قاضيا حنفيا منهما قاضيان كانا على مذهب الاعتزال هما أحمد بن أبي دؤاد و ابنه محمد ، أما المالكية فعددهم خمسة قضاة و الشافعية اثنان و قاضيان لم يتضح مذهبهما . أما أشهر البيوتات التي تولى أفرادها المنصب نجد بيت أبي يوسف أول قضاة القضاة جاء بعده أبوه يوسف بعد مدة و بيت ابن أبي الشوارب الأموية.

وهكذا يلاحظ أن عملية تحديد قائمة قضاة القضاة لخضع لمعطيات تاريخية بعضها معلومات قطعية وردت في المصادر و أخرى ظنية غير قطعية لكن بعد جمع شتاتها المتناثر و تحليلها و مقارنة بعضها ببعض مكننا من وضع صورة قريبة من الحقيقة التاريخية حول من ولي وظيفة قضاء القضاة في العصر العباسي الأول من سنة 171هـ / 787 م إلى سنة 350هـ / 961 م .

هـ / 929 م لكبر سنه ، وقد ولي القضاء عشرين سنة الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج 5 ص 54 و القاضي وكيع ، نفس المصدر ، ج 3 ص 303 .

1 - الخطيب البغدادي نفس المصدر ، ج 14 ص 272 ، 273 .

في الأخير نظيف الى البحث جدولاً تفصيلياً تظهر فيه قائمة قضاة القضاة مع تحديد فترة حكمهم و سنهم عند تولي و أصولهم منشأهم و مذهبهم الفقهي.

الجدول رقم: 01

قائمة قضاة القضاة بسر من رأى وبغداد¹

للقاضي وكيع

أبو يوسف ، علي بن ظبيان ، علي بن حرمله ، يحيى بن أكثم ، أحمد ابن أبي دواد ، أبو الوليد بن أحمد بن أبي دواد ، جعفر بن عبد الواحد ، جعفر بن محمد بن عمار ، محمد بن رزين البصري ، الحسين بن محمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب ، عبد الرحمن بن وائل ، الحسن بن محمد بن أبي الشوارب أيضاً ، محمد بن هاشم ، محمد بن إسماعيل ، أبو زرعة بن عثمان ، أبو حفص عمر الحلبي، أحمد بن العباس أبو زرعة ثانية .

جدول رقم: 02

من ولي قضاء القضاة من 171هـ/787م الى 350هـ/961م

	قائمة قضاة القضاة	فترة الحكم	الصفة	المدة	المذهب
1	أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت182هـ / 798م)	(171-182هـ/787-798م)	مرسم	12 سنة توفي قاضيا	حنفي
2	يوسف بن أبي يوسف(ت) (192هـ/808م)	قبل 184هـ / 800م	غيرمرسم	صرف	حنفي
3	أبو البختری وهب(ت 200هـ / 815م)	قبل 189هـ / 805م	مرسم	صرف	حنفي
4	محمد بن الحسن(132- 189هـ/749-805م)	قبل 189هـ/805م		صرف	حنفي
5	علي بن ظبيان(ت 192هـ/808م)	(189-192هـ/805-م)	مرسم	03 سنوات توفي قاضيا	حنفي

- هذه القائمة تتوقف بالتقريب في نهاية القرن الثالث الهجري. أنظر القاضي وكيع ، أخبار القضاة ، ج 3 ص 324 .¹

6	علي بن حرملة (ت 198هـ/813 م)	(192-198هـ/808-813 م)	مرسم	06 صرف	حنفي
7	يحيى بن أكثم (159-242هـ/775-856م)	(204-217هـ/819-832م) (237-240هـ/851-854م)	مرسم	14 سنة 03 سنة صرف	شافعي
8	أحمد بن أبي دؤاد (160-240هـ/776-854م)	(218-233هـ/833-847م)	مرسم	15 سنة صرف	حنفي
9	محمد بن أحمد بن أبي دؤاد (ت 239هـ/853م)	(233-237هـ/847-851م)	مستخلف	04 سنوات صرف	حنفي
10	جعفر بن عبد الواحد (ت 258هـ/871م)	(240-250هـ/854-864م)	مرسم	0 سنوات صرف	حنفي
11	جعفر بن عمار البرجمي (ت 252هـ/856م)	(250-252هـ/864-856م)	مرسم	02 إلى وفاته	حنفي
12	محمد بن رازين	سنة 252هـ/864م	غير مرسم	أقل من سنة	
13	الحسن بن أبي الشوارب (207-261هـ/822-874م)	نحو (252-255هـ/864-868م) (255-261هـ/868-874م)	مرسم		حنفي
14	عبد الرحمان بن نائل	255هـ/868م	غير مرسم	أقل من سنة	
15	علي بن أبي الشوارب (ت 283هـ/896م)	(261-283هـ/868-896م) على فترات		22 سنة	حنفي

16	اسماعيل بن اسحاق (ت 895/هـ 282 م)	قبل 895/هـ 282 م على فترات	غير مرسم	على فترات	مالكي
17	أبو عمر محمد بن يوسف (320-243/هـ 932-857 م)	نحو (284-296/هـ 897-908 م) و (317-320/هـ 932-929 م)	مرسم	13 سنة 03 سنة الى وفاته	مالكي
18	أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز (ت 292/هـ 904 م)	حتى 292/هـ 904 م	غير مرسم		حنفي
19	أحمد بن إسحاق التنوخي (231-318/هـ 930-855 م)	(296-317/هـ 909-929 م)	غير مرسم	20 سنة	حنفي
20	عمر بن محمد (290-328/هـ 902-939 م)	(320-328/هـ 932-939 م) قلد سنة 325/هـ 936 م	مرسم	03 سنوات الى وفاته	مالكي
21	أبو نصر يوسف بن عمر (325-356/هـ 966-936 م)	(328-329/هـ 939-940 م)	غير مرسم		مالكي
22	أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخزقي (ت نحو 330/هـ 941 م)	330/هـ 941 م	غير مرسم		حنفي
23	ومحمد بن صالح بن أم شيبان (ت 369/هـ 979 م)	335/هـ 946 م	غير مرسم		مالكي
24	أبو السائب عتبة بن عبيد الله (264 - 350/هـ 877-961 م)	338-350/هـ 949-961/هـ	مرسم	12 سنة توفي قاضيا	شافعي

الممارسة الطبية الصوفية في المغرب الأقصى من خلال كتاب التشوف لابن الزيات

الباحث: خضور عبدالرزاق جامعة البليدة 02 المشرف د: عبدالقادر بوعقادة

مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور _ جامعة يحيى فارس بالمدينة _

الملخص:

نتطرق في هذه الورقة البحثية إلى الوظيفة الاجتماعية لأولياء المغرب الأقصى والتي تمثلت بالدرجة الأولى في شفاء المرضى وإبراء العلل التي تفشت في أوساط مجتمع المغرب الأقصى، وذلك من خلال كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي، بحيث تضمن هذا المقال جملة من النقاط كان أولها البحث في الأسباب والعوامل التي وجهت الساكنة صوب العلاج الكرامي، لنعرج بعدها على أهم الأمراض التي عالجها هؤلاء الأولياء ضمن نسق تساؤولي عن أهم الوسائل والأساليب المستعملة في التداوي من داء المرض في بلاد المغرب الأقصى.

الكلمات المفتاحية: الطب، الأمراض، الأولياء، أساليب العلاج، المغرب الأقصى، كتاب التشوف، ابن الزيات.

Abstract:

In this research paper, we address the social function of the guardians of the Far Maghreb, which was represented primarily in the healing of the sick and the healing of the ailments that spread in the circles of the Far Maghreb society, through the book of Chouf to the men of Sufism by Ibn Al-Zayat Al-Tadly, so this article included a number of points, the first of which was the research In the causes and factors that have directed the population towards karmic treatment, let us review afterwards the most important diseases that these parents dealt with within a question format about the most important means and methods used in the treatment of disease in the Far Maghreb.

Keywords: Medicine, diseases, saints, methods of treatment, Al-Aqsa Maghrib, Chouf Book, Ibn Zayat.

مقدمة:

أفرزت مدرسة الحوليات في الآونة الأخيرة بما يسمى بالحقل الاجتماعي، هذا الحقل الذي يضم في طياته العديد من المواضيع لعل أبرزها وأهمها موضوع الممارسة الطبية الصوفية في المغرب الأقصى، إذ يعتبر هذا الأخير من المواضيع المهمشة والمغيبة في الكتابة التاريخية، فكل ماورد بصدد هذا الموضوع لا يتجاوز سوى إشارات شاحبة وشوارد محتشمة تفرض على الباحث الغوص في عمق المصادر لجعل هذا النوع من المعرفة الطبية في منطقة الضوء¹.

فلقد تصدر لممارسة هذا النوع من المعرفة الطبية التي تسمى بالطب الروحاني طبقة الأولياء، هذه الطبقة التي لم تكن تعيش بمنأى عما كان يصيب ساكنة المغرب الأقصى من أمراض، لاسيما وأنها كانت تشكل شريحة اجتماعية رئيسية لا سبيل للاستغناء عنها، فهذا الوضع الصحي المتأزم شكل أحد الأسباب الرئيسة في استقطاب لفئة الأولياء خاصة وأنها ادعت أن لها من الآليات والميكانيزمات ما يمكنها من شفاء الأمراض وإبراء العلل، هذا الأمر أدى بالساكنة إلى الاعتقاد المطلق والتشبث بكرامات الأولياء وقدرتهم الشفائية.

ولمعرفة مدى فاعلية العلاج الكرامي الذي تبنته ساكنة المغرب الأقصى للخروج من هذا الوضع الصحي المتأزم، تطلب منا الأمر الغوص في ثنايا الكتب المنقوبة باعتبارها أحد الروافد الرئيسية التي ترجمت لسير ومناقب الأولياء وأرخت لمثل هكذا مواضيع، وقد وقف اختيارنا على كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي كأ نموذج للبحث في هذا الموضوع على اعتبار أنه من المؤلفات الأولى في ميدان الكرامات والمناقب، كما أنه يحتوي على العديد من المعلومات والإشارات المتعلقة بموضوع بحثنا، لذلك سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية رصد للأسباب والعوامل التي وجهت الساكنة صوب العلاج الكرامي، لنعرج بعدها على مجمل الأمراض التي عالجها الأولياء ضمن نسق تساؤولي عن الآليات والميكانيزمات المستعملة في التداوي من الأمراض.

1/ التوجه العلاجي الولائي لدى ساكنة المغرب الأقصى - بحث في الأسباب والعوامل -

عرف مجتمع المغرب الأقصى كغيره من المجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط مجموعة من الأمراض كانت متفاوتة الخطورة فيما بينها، فلا ريب أن هذه الأمراض كانت تؤرق معيشتهم نظير ما خلفته من عاهات عضوية

* المؤلف المرسل: عبدالرزاق خضور، طالب دكتوراه، ea.khoudour@univ-blida2.dz، جامعة لونيبي علي البلدة 02

¹ - إبراهيم القادري بوتشيش، العلاج الطبيعي والروحاني بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين (منتصف القرن الخامس هـ - منتصف القرن السادس هـ)، مقال منشور ضمن أعمال مؤتمر الطب والصيدلة عند العرب، إصدار مركز التراث القومي والمخطوطات، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998م، ص 206.

ونفسية¹، هذا الوضع الصحي المتأزم الذي كانت تمر به الساكنة لا سيما الشرائح الضعيفة كانت له تأثيرات عميقة مما دفع بها إلى البحث عن البدائل التي تخلصها من قهر هذا الواقع، فكان الملجأ الوحيد التوجه نحو العلاج الكرامي إيماناً واعتقاداً بنجاعته، خاصة وأن فئة الأولياء التي كانت تمارس مهنة التطبيب قد ادعت لها من الوسائل والأساليب التي تمكنها من شفاء هذه الأمراض أو التقليل من حدتها.

وبما أن موضوع بحثنا يتركز بالأساس على كتاب " التشوف لابن الزيات"، فمن خلال عمليتي التتبع والاستقراء التي قمنا بها وقفنا على جملة من العوامل والأسباب كانت وراء استعانة الساكنة بهذه الفئة التي استجابت للأصوات التي استغاثت بها، فشكلت بذلك عنصراً فعالاً في المجتمع لا سبيل للاستغناء عنه في جميع الأصعدة خاصة فيما يتعلق بالجانب الصحي الذي تمكنت فيه من إعطاء طرق للتداوي والتطبيب كانت أكثر فاعلية في أوساط المجتمع.

ولعل من بين العوامل والروافد الأساسية التي وجهت الساكنة صوب الطقوس الاستشفائية التي امتنعتها الأولياء في تسكين الألم، عجز الطب العلمي عن تطبيب العديد من الأمراض، وهذا ما وقفنا عليه في كتاب التشوف، فكان الولي الملاذ الأخير في ظل تفاقم وتأزم الوضع الصحي ببلاد المغرب الأقصى، لاسيما وأن الصناعة الطبية في تلك الفترة قد عرفت ضياعاً لأنه يتعرضها الغث والسمين²، وهذا ما نلمسه في قول ابن الزيات³: " يا أبا لقمان هذا الولد يعتريه الصرع. فقال لها لست بطبيب فاحمله إلى الأطباء. فقلت له أنا: أما الأطباء فقد عجزوا ولم يبق إلا طب الله تعالى"، فمن خلال هذا النص أدركنا حقيقة محدودية الطب العلمي، هذا الأخير ساهم في خلق المجال الخصب لظهور الطب الصوفي الذي جاء لملازمة هذه الحقيقة، وهذا ما دفع بأحد الباحثين⁴ إلى القول أن: " دور الولي يبدأ عندما ينتهي دور الطبيب".

إلى جانب ذلك التكاليف الطبية الباهضة التي كان يدفعها المريض سواء للطبيب أو لشراء الأدوية والتي أثبت عدم فاعليتها ونجاعتها، بخلاف الطب الصوفي الذي كان لا يتقاضى الأجر في تطيبه للمريض، فكان يستعمل أساليب مختلفة تنوعت بين المسح والبصق والدعاء، كل هذا وفر على الفئات الهشة تكاليف الطبيب و الدواء التي لا يطيقون

¹ - عبدالهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب و الأندلس (ق6-8هـ/12-14م)، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2008م، ص 299.

² - أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة ببجاية، تح: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص 76.

³ - التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997م، ص 233.

⁴ - عبد اللطيف الشاذلي، التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر هجري، ط1، مطبعة سلا، سلا، 1989م، ص 116.

دفعها¹، ومن الإشارات الدالة على صحة قولنا، ما نقله لنا ابن الزيات² حول أخت علي بن عبد الكريم التي دفع من أجل مداواتها من لمعة البرص مئة دينار إلى ابن أفلاطون، دون أن ينجح دواءه في شفائها، فكان الملاذ الأخير أبو تميم عبد الواحد الأسود الذي عالجها بريقه على موضع البرص، فما بقي منه شيئاً.

وبما أن العوامل والأسباب قد تعددت وراء لجوء الساكنة إلى الطب الصوفي، فلا غرابة أن نجد أن الدعاء هو الآخر كانت له مساهمة في ذلك الذي رافقته " سرعة الاستجابة"³، فقد استعان الأولياء في شفاء مرضاهم بأسلوب الدعاء الذي أثبت فعاليته في إبراء المرضى، على اعتبار أن دعوة الأولياء كانت مستجابة من الله لتقواهم وورعهم⁴، ولا تنقصنا من القرائن الدالة لإثبات هذا الطرح ومن ذلك أن الولي ابن تاحميس (ت 608هـ/1211م) استعان بآلية الدعاء في شفائه لأحد المرضى، فكان يقول: " سألت رب العرش العظيم أن يشفيك، فما أكملها في المرة الثالثة حتى برء من مرضه"⁵.

كما أمدنا المصنف المنقبي بأسلوب آخر استعمله الولي في تسكين الألم، غير أنه كان في نفس الوقت شكل أحد الأسباب الرئيسية في الإصابة بالمرض، ونلاحظ أن هذا النوع من الأساليب كان يتم تفعيله أثناء الاعتداء على حرمة الولي، بحيث يتم تفعيل ذلك ضد كل شخص أساء الأدب معهم بالتلفظ بأقوال تسيء إليهم، مثل التلفظ بكلمة - جاهل - مثلما حدث مع مؤذن ابن يعزى الذي نعته بكلمة - جاهل -، فأصابه وجع من حينها منعه من القدرة على الكلام، فكان علاجه بيد شيخه الذي مسح على حلقه ليتكلم بعدها⁶، وفي نفس السياق لاحظنا أن كل شخص سولت له نفسه الاعتداء على ممتلكات الولي كان جزاءه الإصابة بالمرض الذي يستمر مفعوله إلى حين الذهاب إلى الولي الذي يستعمل آليته لتسكين الوجع، ففي هذا الصدد نجد أن أحد أطراف بلاد دكالة دخل جنة أبي حفص فأخذ منها، فأصابه وجع، فما كان عليه إلا الاستغاثة بالولي أبي حفص (ت 595هـ/1198م) الذي عالج

¹ - الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين (نشأته - تيارته - دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى، عين مليلة، 2004م، ص 181.

² - المصدر السابق، ص 269.

³ - البشير غانية، والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين (635-479هـ / 1086-1238م)، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2015-2016م، ص 241.

⁴ - سمية مزدور، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط (مابين القرنين 6-10هـ/12-16م)، مقال منشور ضمن كتاب جماعي مغرب أوسطيات دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف: علاوة عمارة، ط1، منشورات مكتبة اقرأ، الجزائر، 2013م، ص 168.

⁵ - ابن الزيات، المصدر السابق، ص 391.

⁶ - ابن الزيات، المصدر السابق، ص 215.

بآلية المسح على حلقة، فزال عنه ما أصابه¹، فمن خلال هذين النموذجين لاحظنا أن جل المصنفات المنقبية قد عمدت إلى استعمال أسلوب التخويف والترهيب لكل من سولت له نفسه المساس بحزمة الولي وممتلكاته وإنكار صحة ولايته.

وكنتيجة حتمية لهذا الوضع، الذي اختلفت فيه الأسباب والروافد الموجهة للعلاج الكرامي، غير أنها ساهمت بشكل كبير في تهيئة البيئة الخصبة لظهور الطب الصوفي في بلاد المغرب الأقصى.

2/ الأمراض التي عالجها أولياء المغرب الأقصى

من خلال عملية القراءة التي قمنا بها لكتاب التشوف لابن الزيات لاحظنا أن هذا المصنف المنقبي يحتوي في ثناياه على العديد من الإشارات والنصوص المتعلقة بالأمراض، هذه الأخيرة مست مختلف الفئات البشرية بما فيها فئة الأولياء التي امتهنت مهنة الطب الصوفي في المغرب الأقصى، وبما أن موضوع البحث كان منطلقه بالأساس معرفة مدى فاعلية العلاج الروحاني، لذلك سنقتصر في بحثنا هذا على عينة الأمراض التي عالجتها هذه الفئة دون التطرق للأمراض الأخرى التي لم تتم معالجتها لاسيما فيما يتعلق بالأمراض التي أصابت الأولياء، والتي غالبا ما كان يتم التستر عليها، فلا شك أن الإحصاء العددي² لهذه الأمراض سيمكننا من معرفة نوعية الأمراض التي عالجوها وعدد الحالات المعالجة، بحيث يمكن توضيح ذلك من خلال الجدول والتمثيل البياني التاليين:

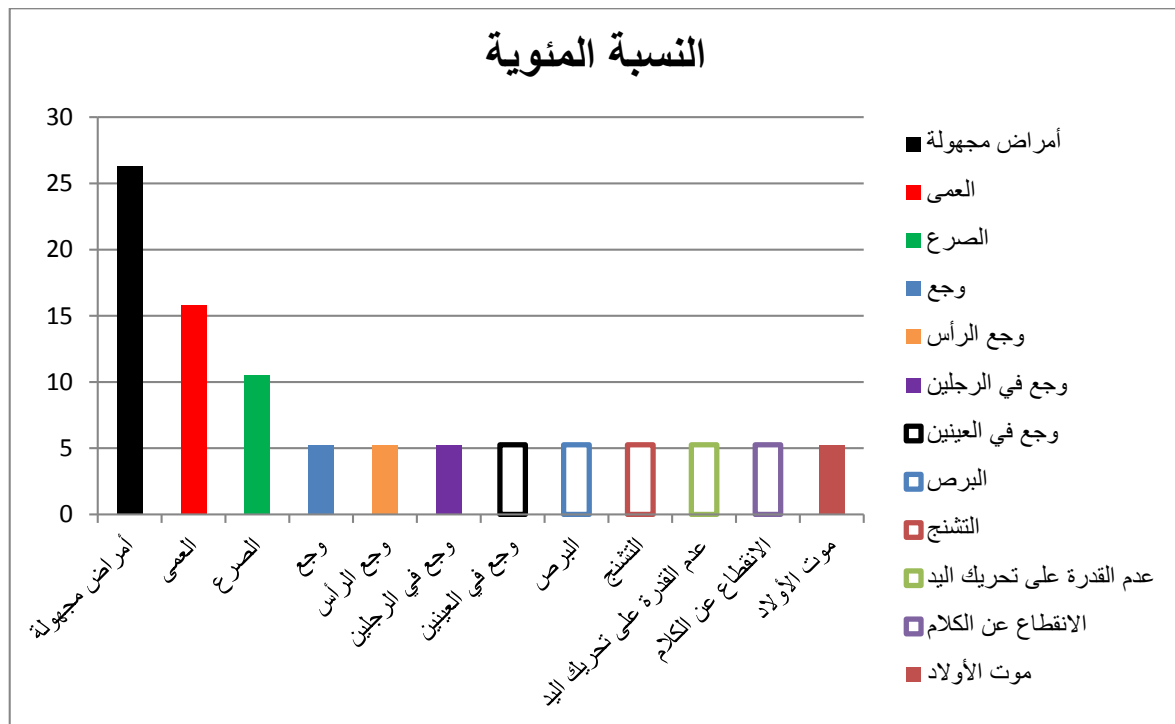
الشكل (01): إحصاء للأمراض التي عالجها الأولياء في بلاد المغرب الأقصى من خلال كتاب التشوف			
الرقم	أنواع الأمراض	العدد	النسبة المئوية
1	أمراض مجهولة	5	26.31%
2	العمى	3	15.78%
3	الصرع	2	10.52%
4	وجع	1	5.26%
5	وجع الرأس	1	5.26%

¹ - المصدر نفسه، ص 309.

² - ينظر: الملحق 01

6	وجع في الرجلين	1	5.26%
7	وجع في العينين	1	5.26%
8	البرص	1	5.26%
9	التشنج	1	5.26%
10	عدم القدرة على تحريك اليد	1	5.26%
11	الانقطاع عن الكلام	1	5.26%
12	موت الأولاد	1	5.26%
المجموع		19	100%

الشكل 02: أعمدة بيانية تمثل إحصاء للأمراض التي عالجها الأولياء في بلاد المغرب الأقصى من خلال كتاب التشوف



التعليق والتحليل:

نقف من خلال الجدول الإحصائي والتمثيل البياني الذي بين أيدينا على جملة من المعطيات نوجزها فيما يلي:

* قدرت عدد الحالات المرضية التي تمت معالجتها بمجموع 19 حالة مرضية جمعت بين 15 رجل و4 نساء.

* الملاحظ أن هناك تنوع في الأمراض التي تم تطبيقها من طرف الأولياء، بدليل مدواة 12 صنف مرضي بحيث يمكن تقسيمها على ثلاثة أقسام، القسم الأول يتضمن الحالات الأكثر معالجة، بحيث احتلت الأمراض المجهولة المرتبة الأولى بمجموع 5 حالات مرضية أي بما يعادل نسبة 26.31%، هذا التغيب والتهميش في ذكر اسم المرض يدفعنا إلى القول بأن هذه الإشارات قد وردت ربما بطريقة عفوية في المصنفات المنقوبة، بدليل تقديم ترجمة مطولة لسيرة ومناقب الولي، وإهمال ذكر نوع المرض المعالج والاكتفاء بذكر اسم الولي الطبيب مع الإشارة إلى جنس المريض، ولا تعوزنا من القرائن ما يؤكد على صحة كلامنا ما احتواه هذا النص المنقوب من إشارات وعبارات دالة على ذلك، وهذا ما يتضح من خلال قوله: "وقد أتته صبية (المقصود أبي بعزى) بها علة لتستشفى بمسه فأدخل يده إلى جسدها ليمسح عليها¹".

* مدواة مرض العمى والصرع: لقد احتل هذا الصنف المرضي المرتبة الثانية من حيث عدد الحالات المعالجة، فقد كان حضورها متوسط بمجموع 3 حالات من مرض العمى وحالتين من مرض الصرع أي بما يساوي 15.78% و 10.52% على التوالي، أما فيما يتعلق بمرض العمى الذي كان مرتبط بسن الشيخوخة مثلما أشار إليه ابن زهر² في قوله: "وإنما يعرض ذلك للشيخوخة كثيرا بسبب ضعف حرارتهم"، فقد بقي الولي أبو علي ابن عبدالله البردعي الأسود (ت 586هـ/ 1190م) مدة عامين لا يبصر شيئا، هذا لا يمنع أن يشكل النظر إلى عين الشمس وإلى الأنوار الساطعة³ أو الاختلال في النظام الغذائي⁴، أحد العوامل الأساسية في انتشار مرض العمى، غير أن مرض العمى الذي أصاب أبو مدين شعيب كان نتيجة ذهابه إلى المكان الذي كان يقيم فيه أبا يعزى وقيامه بمرغ وجه هناك، فلم يعد يبصر شيئا⁵، في حين أن مرض الصرع الذي أصيب به عبدالله بن عيسى في صغر سنه⁶، هذا المرض كان ينجم عن مشاركة بعض

¹ - ابن الزيات، المصدر السابق، ص 220.

² - التيسير في المداواة والتدبير، تح: محمد بن عبدالله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية، (د.ط)، 1991م، ص 71.

³ - المصدر نفسه، ص 67.

⁴ - نور الدين زرهوني، الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري - الثاني عشر ميلادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ط)، 2006م، ص 113.

⁵ - ابن الزيات، المصدر السابق، ص 320، 321.

⁶ - المصدر نفسه، ص 233.

الأعضاء المؤوفة للرأس، أي عضو كان بما يصعد منه من أبحرة الخلط السوء إلى الرأس، مما يغير مزاج الروح النفساني، فيعرض التشنج الذي يؤدي إلى حدوث الصرع¹.

* احتلت كل من الصنوف المرضية التالية: (وجع، وجع الرأس، وجع في الرجلين، وجع في العينين، التشنج، البرص، عدم القدرة على تحريك اليد، الانقطاع عن الكلام، موت الأولاد) المرتبة الأخيرة بمجموع حالة مرضية واحدة لكن صنف أي بما يعادل أو يساوي 5.26%، وتصدر الإشارة إلى أن هناك بعض الأمراض قد تم الخوض في مسبباتها فيما سبق على غرار مرض عدم القدرة على تحريك اليد والانقطاع عن الكلام والإصابة بالوجع.

نحن لا نغالي إذا قلنا أن الأولياء قد تمكنوا من شفاء بعض الأمراض وليس كلها، والتي عجز الأطباء عن تطبيقها مثل داء البرص، غير أنه لفت انتبهنا خلو المصنف المنقبي من معالجة الأولياء لداء الوباء لا سيما وأن بلاد المغرب الأقصى عرفت وباءين عظيمين الأول كان سنة 571هـ والثاني في سنة 635هـ/1237م.

3/ أساليب الولي في العلاج - رصد للآليات والطرق-

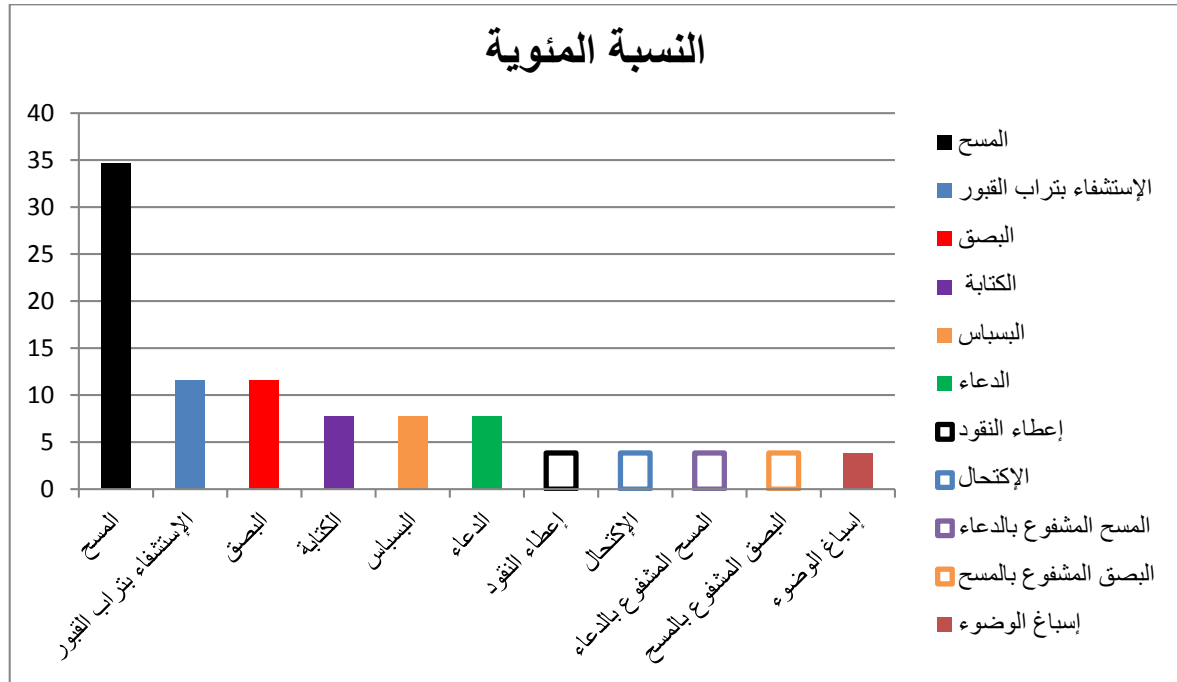
مما لاشك فيه أن الأمراض التي تفشت في أوساط مجتمع المغرب الأقصى كان لها تأثيرات عميقة وأكثر خطورة لما ينجر عليها من أزمة ديمغرافية، هذه المشاكل الصحية شكلت البيئة الخصبة لظهور الفعل الخوارقي المتمثل في العلاجات الكرامية الذي كانت بداياته الأولى في القرن السادس هجري، فلا مراء أن هذه العلاجات قد استهوت الفئات الضعيفة، وذلك راجع لعدة عوامل قد سبق وأشرنا إليها، لا سيما وأن فئة الأولياء أبدت كل الاستعداد لتطبيق المرضى وشفاء الحالات الميؤوس منها، فهذا النوع من الممارسة الطبية مكن من مداواة المرضى باستخدام آليات بسيطة أثبتت نجاعتها وفعاليتها في علاج مختلف الأمراض التي عجز الأطباء عن مداواتها، وعليه قد قمنا بعملية المسح الإحصائي للمصنف المنقبي الموسوم: "كتاب التشوف إلى رجال التصوف"، لتبيان الوسائل والأساليب المستعملة في إبراء المرضى وتطبيق أصحاب العاهات المستعصية، وهذا ما يوضحه كل من الجدول والتمثيل البياني التالي:

الشكل (03): إحصاء لأنواع الطقوس الاستشفائية المستعملة في علاج المرضى من خلال كتاب التشوف			
الرقم	أنواع المعالجة الطبية الصوفية	العدد	النسبة المئوية
1	المسح	9	34.61%
2	الاستشفاء بتراب القبور	3	11.53%

¹ - ابن زهر، المصدر السابق، ص 121.

3	البصق	3	11.53%
4	الكتابة	2	7.69%
5	البسباس	2	7.69%
6	الدعاء	2	7.69%
7	إعطاء النقود	1	3.84%
8	الاكتحال	1	3.84%
9	المسح المشفوع بالدعاء	1	3.84%
10	المسح المشفوع بالبصق	1	3.84%
11	إسباغ الوضوء	1	3.84%
المجموع		26	100%

الشكل (04): أعمدة بيانية تمثل الطقوس الاستشفائية المستعملة في تطبيب المرضى في بلاد المغرب الأقصى من خلال كتاب التشوف



التعليق و التحليل:

نلاحظ من خلال المعطيات السابقة أن هناك تعدد وتنوع في أنماط التطبيب الصوفي، بحيث قدرت عدد الممارسات الطبية بمجموع 11 نوع، فلقد تصدر أسلوب المسح المرتبة الأولى بمجموع 9 حالات معالجة أي بما يعادل نسبة 34.61%، وتصدر الإشارة إلى أن كل من آلية الكتابة وإعطاء البسباس من بين الأساليب المستعملة في إبراء المرضى، والتي تطرق لها المصنف المنقبي، غير أنها تبقى مجرد لتبيان أنها كانت تستعمل في المداواة دون تقديم حالات تمت معالجتها بهذا النوع من الأساليب بل يكتفي المصنف فقط بذكر عبارة - أنه ينفع كل داء - فعلى سبيل المثال اختص كل من أبو ابراهيم اسماعيل ابن وجماتن الجراجي (ت 595هـ/1198م) و أبو عبدالله يلا سيف ابن يغدون الجراجي، بإعطاء البسباس لكل شخص يشتكي من وجع¹، أما فيما يتعلق بالكتابة فقد أشار ابن الزيات² بأنها كانت تستعمل في تطبيب مرض الصرع، وهذا مايتضح من خلال قوله: "يكتب مكتوبه لمصروع إلا برئ"، المقصود هنا هو - أبو علي عمر بن علي ابن عبد العزيز الهزرجي -، بخلاف ذلك ذكر ابن الزيات³ أثناء تناوله لأخبار أبي العباس السبتي حالة واحدة تمكن فيها هذا الأخير من شفاء ابن مساعد من مرض التشنج.

¹ - ابن الزيات، المصدر السابق، ص 353 - 357.

² - المصدر نفسه، ص 304.

³ - المصدر السابق، ص 476.

كما يتضح لنا من خلال الجدول والتمثيل البياني أن هذه الأساليب يمكن أن نقسمها إلى صنفين، الصنف الأول: يتمحور حول أساليب العلاج الكرامي قبل الموت، والذي يضم كل من (المسح، المسح المشفوع بالدعاء، المسح المشفوع بالبصق، البصق، الدعاء، الاكتحال، إسباغ الوضوء، البسباس، الكتابة، إعطاء النقود)، هذا الصنف من الممارسة يكون عبر طريقتين مباشرة وغير مباشرة، فالمباشرة تتطلب حضور المريض عند الولي بحيث تتم عملية التطبيب عن طريق المسح الذي كانت وظيفته مقترنة بشفاء الأمراض المادية¹، وقد سجلنا فيه تسع حالات كانت عن طريق وضع اليد والمسح على موضع الداء، وبالتالي أثبت هذا الأسلوب نجاعته وفعالته في تسكين الألم وإبراء العلل، ولا تعوزنا من القرائن ما يثبت هذا الطرح، ومن ذلك أن الولي أبو بعزى قد قدرت عدد الحالات المرضية التي عالجها بواسطة المسح بيده بمجموع 4 حالات، ومثال ذلك أنه قد مسح بيديه على عيني أبو مدين شعيب فأبصر²، يضاف إلى ذلك تلك الصبية التي أتته لتستشفى من علة أصابتها فأدخل يده إلى جسدها ليمسح عليها³.

فلا شك أن قضية تطبيب أبي يعزى لشريحة النساء قد خلقت جدلا واسعا بين فقهاء فاس في المغرب الأقصى وهذا مانستشفه من خلال قول ابن الزيات: "إن فقهاء فاس أنكروا لمس صدور النساء والنظر إليهن، فقال: أليس يجوز عندهم أن يلمس الطبيب تلك المواضع ويرأها للضرورة؟ فهلا عدوني واحدا من أطبائهم؟ وأنا إنما ألمس ذوات العاهات للتداوي بذلك"⁴، لكن هذا لا يمنع أن نجد أولياء آخرين قد اضطلعوا بممارسة هذا الأسلوب في مداواة المرضى، على غرار أبو لقمان يرزجان ابن يعقوب الأسود (ت570هـ/1174م) الذي عالج داء الصرع بالمسح على الرأس فما أصاب صاحبه بعدها⁵.

كما طرح المصنف المنقبي نوعين آخرين من المسح⁶، والذي إما يكون مشفوعا بالبصق أو مشفوعا بالدعاء، فالنوع الأول ينسب إلى أبو تميم عبدالواحد الأسود الذي مسح بريقه على موضع البرص الذي أصيبت به أخت علي بن عبدالكريم، فلم يبقى للبرص أثر في وجهها⁷، في حين اختص بالنوع الآخر الولي أبو محمد عبدالله ابن حريز ابن

¹ - نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لأفريقية في العهد الحفصي، ط1، منشورات كلية الآداب، تونس، 2001م، ص 340.

- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 320، 321.

- المصدر نفسه، ص 220.

- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 215.

- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 233.

⁶ - العامري، المرجع السابق، ص 341-343.

- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 269.

تاخيسيت(ت608هـ) الذي استعمله في شفاء أبي عبدالله محمد بن علي الأنصاري السقطي الذي قال: "مرضت، فدخل علي أبو محمد ابن تاخيسيت يعودني، فمسح بيديه علي ثلاث مرات، وهو يقول: سألت رب العرش العظيم أن يشفيك، فما أكملها حتى برئت من مرضي¹".

كما وقفنا على أسلوب آخر يندرج ضمن الطقوس الاستشفائية في إبراء المرضى ألا وهو البصق أو التفل، هذا الأخير يعتبر من بين الوسائل المحبذة لدى الأولياء في تطبيب العاهات المستعصية وقبلهم الشيوخ والأجداد²، فقد بصقت فلانة الأندلسية في عيني أبو محمد عبدالله ابن عبد الملك البياني فعاد له بصره³، فالريق تظهر بركته المقدسة وقيمته الاجتماعية إبان أزمة المرض⁴، وهذه هي الإشارة الوحيدة التي وقفنا عليها في كتاب التشوف فيما يتعلق بمداواة المرأة الصوفية للمرضى في المغرب الأقصى.

فضلا عن الطقوس الاستشفائية الأخرى التي اتبعها الأولياء في تسكين الألم، والتي أثبت فعاليتها في ذلك هناك نوع آخر من الطقوس ألا وهو الدعاء من أكثر الطقوس التي ارتبطت بظاهرة الولاية، فقد كان هذا الأخير من أهم الطقوس المستعملة على اعتبار أن دعوة الأولياء كانت مستجابة من الله لتقواهم وورعهم⁵، وفي هذا الصدد دعى أبو زيد عبدالرحمن ابن هبة الله المزياقي لصبية مريضة حملوها له - مرض مجهول - فشفيت⁶، فبخلاف ذلك نجد حالات لم تكن تقتضي قدوم المريض إلى الولي مثلما حدث مع موسى بن سدرماح الجرجاني الذي طلب من أبا ابراهيم أن يزرقه الله ثلاثة أولاد ذلك أن زوجته كان لا يعيش لها أولاد فكان له ما طلب⁷، كما ينطبق نفس الحال مع أبو علي ابن عبدالله البردي الأسود(ت586هـ/1190م) الذي أصيب بمرض العمى فأرسل له أبو يعزى قطعة من برنوسه فأمره أن يحرقها ويكتحل برمادها فشفي بعدها⁸.

1 - المصدر نفسه، ص 391.

2 - محمد حقي، الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانبال، بني ملال، 2007م، ص 72.

3 - ابن الزيات، المصدر السابق، ص 237.

4 - عبدالمهدي البياض، تحليلات المقاربة الوسطية في منهج التكافل الاجتماعي لمتصوفة المغرب في العصر الوسيط، مقال ضمن كتاب التصوف السني في تاريخ المغرب نموذج للوسطية والاعتدال، منشورات الزمن، المغرب، 2010، ص 231.

5 - مزدور، المرجع السابق، ص 168.

6 - ابن الزيات، المصدر السابق، ص 400.

7 - ابن الزيات، المصدر السابق، ص 357.

8 - المصدر نفسه، ص 283.

أما فيما يتعلق بالصنف الثاني من الممارسات العلاجية هو الذي كان يحدث بعد موت الولي، بما يسمى بالتبرك الاستشفائي، هذا النوع من الطقوس كان يحدث لاعتقاد الساكنة بأن كرامات الأولياء لا تنقطع بمجرد وفاتهم بل تظهر حتى بعد وفاتهم¹، ولعل هذا ما أكدته السنوسي² في قوله: "إن الولي المقدر عند الله تعالى لا تظهر له كرامة في حياته وإنما تظهر له بعد مماته"، فمن خلال قراءتنا لكتاب التشوف قدرنا عدد الحالات التي شكل فيها تراب القبور أحد الطقوس الاستشفائية من الأمراض بمجموع ثلاث حالات أي بما يعادل 11.53%، والملاحظ على أن ابن الزيات اكتفى بذكر عبارة - يستشفى الناس بتراب قبره - دون تحديد أن تراب هذه القبور قد اختص بمداواة مرض ما، وهذا ما يتضح من خلال قوله: "وقبره بنظيره يستشفى الناس بترابه"³ المقصود - أبو محمد مع الله ابن يحيى بن يجاتن الزياتي (ت536هـ/1141م).

خاتمة:

عند الحد من هذه الدراسة يمكن القول أنه من خلال التطرق لموضوع الممارسة الطبية الصوفية في المغرب الأقصى من خلال كتاب التشوف لابن الزيات، تم التوصل إلى جملة من النقاط:

* لقد هناك جملة من العوامل والأسباب ساهمت في خلق المجال الخصب لظهور الطب الصوفي الذي استجاب للأصوات التي استغاثت به لا سيما الفئات الضعيفة.

* يمكن القول أن الأولياء قد تمكنوا من شفاء بعض الأمراض وليس كلها، والتي عجز الأطباء عن تطبيقها مثل داء البرص، غير أنه لفت انتبهنا خلو المصنف المنقبي من معالجة الأولياء لداء الوباء لا سيما وأن بلاد المغرب الأقصى عرفت وباءين عظيمين الأول كان سنة 571هـ والثاني في سنة 635هـ/1237م.

* اتبع الأولياء في تسكين الألم مجموعة من الطقوس الاستشفائية، والتي أثبت نجاعتها وفعاليتها في شفاء الأمراض وإبراء العلل، هذا الأمر أدى بالساكنة إلى الاعتقاد المطلق والتشبث بكرامات الأولياء وقدرتهم الشفائية.

الملحق 01

اسم الولي	الشخص	نوع المرض	نوعية العلاج	ص
-----------	-------	-----------	--------------	---

¹ - أحمد بن حسن ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقر وعز الحقيير، تح: محمد الفاسي وأودلف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص 7.

² - المواهب القدسية في المناقب السنوسية، تح: عادل بوريق، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م، ص 115.

³ - ابن الزيات، المصدر السابق، ص 132.

			المصاب	
84	الاستشفاء بتراب قبره	/	/	أبو عبدالله بن محمد بن سعدون ابن علي بن بلال القيرواني (ت 485هـ/1092م)
13 2	الاستشفاء بتراب قبره	/	/	أبو محمد مع الله ابن يحيى بن يجاتن الزناقي (ت 536هـ/1141م)
14 1	الاستشفاء بتراب قبره	/	/	أبو حفص عمر بن ميكسوط الدغوشي (ت 546هـ/1151م)
21 5	المسح	* الانقطاع عن الكلام	* مؤذن الشيخ	أبو يعزى يلنور بن ميمون (ت 572هـ/1176م)
21 7	المسح	* وجع في العينين	* جارية	
22 0	المسح	* مرض مجهول	* صبية	
32 1	المسح	* عمى	* أبو مدين شعيب ابن حسين الأنصاري	
23 2	التقل	مرض مجهول	رجل	أبو علي يعزى ابن الشيخ أبي يعزى بلنور بن ميمون
23 3	* المسح	* الصرع	ولد	أبو لقمان يرزجان ابن يعقوب الأسود (ت 570هـ/1174م)

23 3	* المسح	* الصرع	- عبدالله بن عيسى	
23 7	البصق	العمى	أبو محمد عبدالله ابن عبد الملك البياني	فلانة الأندلسية
26 9	المسح المشفوع بالبصق	البرص	أخت علي بن عبد الكريم	أبو تميم عبد الواحد الأسود
28 3 28 3	* إسباغ الوضوء * الاكتحال	* وجع في الرجلين * عمى	أبو علي ابن عبد الله البردي الأسود	أبو علي ابن عبد الله البردي الأسود (ت 586هـ / 1190م)
29 2	المسح	عدم القدرة على تحريك اليد	يلول بن يحيى	أبو مهدي ابن علي الهسكوري
30 4	الكتابة	/	/	أبو علي عمر بن علي بن عبدالعزيز الهزرجي (ت 592هـ / 1195م)
30 9	المسح	وجع	رجل	أبو حفص عمر بن أبي يعقوب تصولي بن وايسكوط (ت 595هـ / 1198م)

35 2	* المسح	* العلل السبع	أبا محمد عبدالله بن عثمان	أبو ابراهيم اسماعيل ابن وجماتن الرجراجي (ت 595هـ/1198م)
35 3	* البسباس	* مرض مجهول		
35 7 35 7	* البسباس * الدعاء	* وجع * موت الأولاد	/ * موسى بن سدرماح	أبو عبدالله يلا سيف ابن يغديون الرجراجي
39 1	المسح المشفوع بالدعاء.	مرض مجهول	أبي عبدالله محمد بن علي الأنصاري	أبو محمد عبدالله ابن حريز ابن تاخيسست (ت608هـ/1211م)
40 0	الدعاء	مرض مجهول	صبية	أبو زيد عبدالرحمن ابن هبة الله المزياقي (ت 607هـ/1210م)
41 4	التفل	العلل	/	أبو زكرياء يحيى ابن ميمون الصنهاجي الأسود (ت 601هـ/1204م)
47 5 47 6	* إعطاء النقود * الكتابة	* وجع الرأس * تشنج	* ابراهيم ابن نجا * ابن مساعدة	أبي العباس السبتي

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر

- التادلي أبو يعقوب بوسف بن يحيى (ت 617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997م.
- ابن زهر أبو مروان بن عبد الملك (ت 557هـ/1162م)، التيسير في مداواة والتدبير، تح: محمد بن عبد الله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية، (د.ط)، 1991م.
- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت 714هـ/1314م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة ببجاية، تح: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.
- ابن قنفذ أحمد بن حسن القسنطيني، أنس الفقر وعز الحقيير، تح: محمد الفاسي وأودلف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.
- الملاي أبو عبد الله بن عمر (ت 897هـ/1429م)، المواهب القدسية في المناقب السنوسية، تح: عادل بوربيق، دار كرادلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م.

المراجع:

- البياض عبد الهادي، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب و الأندلس (ق6-8هـ/12-14م)، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2008م.
- بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 هجريين/12 و13 ميلاديين (نشأته - تيارته - دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى، عين مليلة، 2004م.
- حقي محمد، الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانبال، بني ملال، 2007م.
- زرهوني نور الدين، الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري - الثاني عشر ميلادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ط)، 2006م.
- الشاذلي عبد اللطيف، التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر هجري، ط1، مطبعة سلا، سلا، 1989م.
- العامري نللي سلامة، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لافريقية في العهد الحفصي، ط1، منشورات كلية الآداب، تونس، 2001م.

المذكرات:

غانية البشير، والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين (479-635هـ / 1086-1238م)، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو القاسم سعدالله، الجزائر2، 2015-2016م.

المقالات:

- البياض عبدالهادي ، تجليات المقاربة الوسطية في منهج التكافل الاجتماعي لمتصوفة المغرب في العصر الوسيط، مقال ضمن كتاب التصوف السني في تاريخ المغرب نموذج للوسطية والاعتدال، منشورات الزمن، المغرب، 2010م.
- بوتشيش إبراهيم القادري ، العلاج الطبيعي والروحاني بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين (منتصف القرن الخامس هـ -منتصف القرن السادس هـ)، مقال منشور ضمن أعمال مؤتمر الطب والصيدلة عند العرب، إصدار مركز التراث القومي والمخطوطات، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998م.
- مزدور سمية، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط (ما بين القرنين 6-10هـ/12-16م)، مقال منشور ضمن كتاب جماعي مغرب أوسطيات دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف: علاوة عمارة، ط1، منشورات مكتبة اقرأ، الجزائر، 2013م.

السلطة الرمزية للولي في مخيال مجتمع المغرب الإسلامي

الباحثة: سمية مقورة جامعة البليدة 02 المشرف د: عبدالقادر بوعقادة

مخبر الدراسات التاريخية المتوسطة عبر العصور _ جامعة يحيى فارس بالمدينة _

مقدمة:

تميز المجتمع المغربي في العصر الوسيط بارتباطه الوثيق بالأولياء واعتقاده بهم، هؤلاء الذين أصبحت لهم قاعدة شعبية كبيرة داخل المجتمع نتيجة حضورهم في مختلف الفعاليات الاجتماعية، وقدراتهم الخارقة على تجاوز المكان والزمان، والحاضرة في أزمنة الإكراهات والأزمات الاجتماعية.

ولا غرو من كل هذا أن يكتسب الولي سلطة رمزية في المتخيل المغربي، غير أن السؤال المطروح هو:

هل اكتسب الولي سلطته الرمزية تلك من خلال الكرامات فقط، أم أن هنالك روافد أخرى ساهمت في ترسيخ سلطته في المتخيل الجمعي؟

أو بعبارة أخرى ما هي الآليات والمعطيات التي صنعت للولي سلطته الرمزية؟

للإجابة على الإشكاليات المطروحة في المقدمة عمدنا إلى الاشتغال على النصوص المنقوبة لاستجلاء الآليات التي صنعت للولي سلطته الرمزية في مخيال مجتمع المغرب الإسلامي، وعملنا على رسمها وتحديد أبعادها على الصعيدين الذهني و السلوكي، وكذا قمنا بتتبع مختلف الرموز التي أصلت لصورة الولي في المتخيل الجمعي.

__كاريزما الولي:

ساهمت كاريزما الولي في إضفاء هالة مقدسة حوله في الذهنية المغربية، ولكن لا بد من أن نشير إلى أن اكتسابه لتلك الكاريزما كان نتيجة تفاعل عدة عوامل.

__التقشف في المأكل والملبس:

حرص الأولياء في المغرب الإسلامي على سلك طريق اتجاه الزهد والتقشف سواء في المأكل أو الملبس؛ فمن ناحية اللباس سعى الصوفي إلى أن يكون لباسه بسيطاً جداً مثل لباس عامة المجتمع بل وأحياناً يكون أحقر من لباس

العامة، فهذا أبو محمد عبد السلام التونسي كان يلبس كساءً خشناً¹، وآخر كان يرتدي خرقة من الصوف، أما لباس أبي يعزى يلنور فكان عبارة عن ثوب من تليس وبرنوس مُرَقَّع².

وكذلك كان الشأن بالنسبة للأكل الذي كان بسيطاً جداً يقتصر فقط على ما يسد رمق الولي، مع التأكيد على مصدره الحلال، وحسبنا من الأدلة حول هذا الشأن ما ذكره البادسي عن الولي إبراهيم بن عيسى بن أبي داود (ت650هـ) الذي اقتصر على أكل الحلال من الطعام³، كما نُقل عن الولي أبي زكرياء يحيى بن أبي علي الزواوي (ت611هـ) أنه كان يأكل فقط البقول وإذا اشتهى اللحم اصطاد الأسماك⁴، نفس الشيء كان للولي أبي محمد خميس بن أبي زرجالرجاجي الأسود، كان لا يأكل إلا الزرع الذي يزرعه بيده، وحدث عنه أنه⁵ "لما استحق فداناه الحصاد تواصلت فتيان القرية على حصاده غدوة دون أن يُعلموه، فأقبل أبو محمد وقد رآهم قد حصدوا طائفة من فدانه فقال: كفوا بارك الله فيكم، فقالوا له: ما حصدنا إلا طائعين متبرعين فقال لهم: يكفيكم ما حصدتكم فعسى أن تجمعوه فجمعوا ما حصدوا، وحازه بموضع واحد فعزله وتصدّق به وكره أن يأكل ما عملوه من غير أجره"⁶.

يعكس هذا النص سعي الولي المتواصل إلى الأكل الحلال الذي يكون عن طريق مجهود يده، وهذا ما كان يحصل مع الولي أبي محمد عبد السلام التونسي الذي كان يأكل الشعير الذي يحرثه بنفسه، وإذا اشتهى اللحم أكل السلاحف، نفس الشيء كان للولي أبي محمد عبد الله المليجي (توفي قبل 540هـ) الذي كان قوته عبارة عن عصيدة الشعير بدون ملح⁷، وآخر أقام ثلاثين سنة لم يأكل فيها أي طعام وإنما كان يقتات من النباتات⁸.

¹ أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط2، الرباط: منشورات كلية الآداب بالرباط، 1997، ص110.

² نفسه، ص181، 216.

³ عبد الحق بن اسماعيل البادسي، المقصد الشريف والمنزلة اللطيفة في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد اعراب، ط2، الرباط: المطبعة الملكية، 1993، ص60.

⁴ أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عُرف في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط2، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1979، ص127.

⁵ التادلي، التشوف، ص113.

⁶ نفسه

⁷ نفسه، 145، 110.

⁸ البادسي، المقصد الشريف، ص71.

والمدقق للنصوص السابقة الخاصة بمأكل وملبس الأولياء سيجد أن لها أبعاداً ورموزاً عدة ترمي إليها، إذ أن الولي وباقتصاره على لبس الثياب الخشنة والبسيطة وعلى القليل من الطعام يُفهم منه أنه استطاع أن يكبح شهواته الدنيوية وأن يتعد عن مُغريات المأكل والملبس، هذا الموقف التقشفي يعكس أيضاً محاولة الولي قدر الإمكان أن يكون بشكله قريباً من العامة والفقراء ليُحس بمُعاناتهم واحتياجاتهم، وهذا طبعاً له دور كبير في استقطاب محبة الناس له لأنه جزء منهم ويُعاني ما يُعانون ويُحس بما يحسونه، وهذا ما كرس لمصداقيته وبالتالي تقوية صورته في المتخيل المغربي.

وإلى جانب الزهد والتقشف كان للعلم دور في صنع كاريزما الولي، وبغض النظر عن بعض الأولياء الذين لم يكن لهم تعامل مع تعاطي العلم، كان للعديد من هؤلاء خلفية علمية خصوصاً ما يتعلق بالعلوم الدينية، وفي هذا الشأن يجوز لنا أن نذكر الصالح أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السلجماسي (ت 7هـ) الذي وصفه الغبريني بأنه كان "قوياً في علم التوحيد"¹، وكذلك كان الولي إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني والذي أخذ العلم عن الإمام موسى العبدوسي، ومحمد الآبلي، كما قرأ عن أبي عبد الله الشريف التلمساني²، واشتهر كل من أبي زكرياء يحيى بن أبي علي الزواوي (ت 611هـ)، وأبي يوسف يعقوب بن يوسف المنجلاتي الزواوي (ت 690هـ) وأبي عبد الله محمد بن علي القصري بعلوم الفقه وأصول الدين والحديث وعلم العقائد³، كما عُرف عن أبي مدين شُعيب أنه "حاز ونال أسرار المعارف"⁴.

وإلى جانب ما سبق كان لانقطاع الأولياء لأجل التعبد الدور الأكبر في تكوين وتشكيل كاريزما الولي، هذا الأخير وبانقطاعه عن شؤون الدنيا وقضاء جُل وقته في العبادة أظهره بأنه شخصية مُتعالية، تقرب إلى الله من خلال العبادة والمجاهدات التي بدورها سترتقي به إلى مقام الولاية، وعلى هذا الأساس يمكن ملاحظة الاجتهاد الكبير والشاق الذي يبذله الأولياء في عباداتهم اليومية.

¹معنوان الدراية، ص 123.

²أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف: عبد الحميد عبد الله الهدامة، ط 1، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية، ج 1، ص 54_55.

³الغبريني، عنوان الدراية، ص 128، 186، 265.

⁴التنبكي، نيل الابتهاج، ج 1، 193.

فهذا الولي أبا محمد خميس بن أبي زرجالرجاجي الأسود لا ينام لا ليلاً ولا نهاراً ما ينيف عن العشرين سنة، لأنه كان مُنتهباً إلى الصلاة، ويأخذ غفوة فقط بعد طلوع الشمس¹، ونُقل عن الولي بن أدوناس أنه "كان يصلي صلاة الصبح بوضوء العشاء الأخير، ويقضي ليله في العبادة ولا ينام"²، في حين كان الحاج إبراهيم بن عيسى (ت650هـ) لا يتوقف أبداً عن "تلاوة القرآن ليلاً ولا نهاراً، لا في قيامه ولا في قعوده ولا في مشيه"³.

__سلطة الكرامة:

إن الفاعلية الاجتماعية للولي من خلال كراماته الحاضرة في كل أزمنة الفاقة والمرض والجوع، ساهمت في ترسيخ سلطته الرمزية في المتخيل المغربي، ويظهر هذا بشكل جلي من خلال النصوص المنقوبة التي سنسوقها في هذا السياق:

يورد التادلي منقبة لأبي زكرياء بن يونس الصنهاجي (ت537هـ) جاء فيها أن أهل تلمسان استسقوا به فسقوا⁴، وبجانب المنقبة السابقة هناك أخرى تشبهها مُعلقة بالشيخ الولي أبا يعزى يلنور الذي اشتكى له الناس انحباس المطر عنهم⁵، "فنزح شاشية من العزف كانت على رأسه ورمى بها وبقي رأسه كأنه ثعامة أبيض، ثم تجرد من برنوسه ورمى به وأرسل دموعه وبقي يتضرع باللسان الزناتي: أيمزغنايمزغن، أذ ران أنزار، أنزار، معناه يا ضيفي و يا سيدي ومولاي هؤلاء سادتي طلبوا مني أن أستسقي لهم وما قدرتي؟... وما زال يبكي ويتضرع حتى غيّمت السماء وأمطروا فيالحين"⁶.

ونضيف منقبة أخرى يمكننا أن نُضيفها إلى قدرات الولي أبي يعزى والتي ترتبط بقدرة الولي على شفاء الأمراض، جاء فيها أنه _أي أبي يعزى_ كان يشفي كل من كانت به عاهة أو مرض بمجرد أن يلمس موطن العاهة أو يتفل عليها ويدلكها، فتذهب في الحين⁷. كما كان يؤتى بالمجانين إليه فيقول للمجنون "أزز" أي أنظر إلى كفي، ويأمر الجن بالخروج ويتعافاالمجنون⁸.

¹التادلي، التشوف، ص113.

²البادسي، المقصد الشريف، ص59.

³نفسه، ص62.

⁴التشوف، ص124.

⁵أحمد التادليالصومعي، المعزى في مناقب أبي يعزى، تحقيق: علي الجاوي، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1996، ص127.

⁶نفسه، ص128.

⁷نفسه، ص123.

⁸أبو العباس العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين _مناقب الشيخ أبي يعزى_، تحقيق: أحمد توفيق، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة،

1989، ص39.

وبشكل عام عكست الكرامات السابقة الذكر الارتباط الروحي بين الولي والمجتمع، وعكست تطلعاته ومدى إيمان ساكنة المغرب الإسلامي بقدرة الولي على إيجاد حلول لمشاكلهم.

ولا شك أنه ارتباط وتواشج الخطاب الكرامي مع الخطاب الديني قد جعل هذا الأخير _الخطاب الديني_ يُضفي القداسة على البعد الكرامي، وقدمه كمُعطى ديني مُقدّس، عكس التأييد الإلهي للولي صاحب الكرامة، ويمكن القول إنه وفق هذا التصور قد ساهمت الكرامة في ترسيخ السلطة الرمزية للولي في الذهنية المغاربية، وجعلته ذا قدرة عجائبية خارقة يتمكن من خلالها على تحسين أوضاع المجتمع وطرح حلول لمشاكله.

وبعيداً عن المجتمع بمقدورنا أن نُشير أيضاً إلى أن سلطة الكرامة قد جعلت من الولي سلطة وقوة موازية لقوة السُلطة الحاكمة والفقهاء، وجعلت له قاعدة شعبية كبيرة داخل المجتمع وقِيضت له سُلطة رمزية روحية في المتخيل المغربي.

_سلطة الدعاء:

آلية أخرى يمكن القول عنها أنها عملت على إرساء السُلطة الرمزية للولي في الذهنية الجمعية المغاربية ألا وهي الدعاء، الذي جعله الولي سلاحاً ضد كل من يُمارس الظلم والتعدي على الفقراء والضعفاء، وفي هذا السياق يمكن لنا أن نستحضر بعض الأدلة من المدونة المنقبية، حيث حُدِّث عن أبي الحسن نجا بن عبد الله (ت595هـ) أنه اشتكى إليه أهل سلا¹ بأقوام استأصلوا ما في كرومهم من العنب، فقال لهم يكفيكم الله!! فبعث الله في كرومهم دويبة تُعرف بالزُّبيلة فكل من دخل فيها تلسعه فيموت من حينه².

نص آخر يتعلق بالولي عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الرحمان اليعقوبي الذي ذهب إلى قبيلة "الترارة" ليُصلح بين أهلها، فبادره رجل منهم قائلاً: لا نصطليح، فدعا عليه الصالح وقال له: "الله يعطيك الكي"، وفي اللحظة تلك مرض الرجل وأصبح يصيح ظهري بطني ويكوي حتى مات³.

¹التادلي، التشوف، ص358.

²نفسه.

³أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به: محمد بن أبي شنب، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1908، ص134.

وفي سياق الغضب اعتدى أحد السارقين على الصالح أبي عمران موسى وقام يهدده أنه سيقتله إن لم يسلمه كل ما عنده من مال، فدعا عليه الولي فجرح الرجل وظلّ لعدة أيام على تلك الحال يُعاني من نوبات الصرع ويخنق نفسه، ولما زال عنه ذلك فرّ خائفاً¹، واشتكى أهل أغمات إلى الولي أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الهواري (ت581هـ) رجلاً يتجسس عليهم في أملاكهم، فدعا عليه، ولم تمر ثلاثة أيام حتى دُبح ذلك الرجل من طرف قوم بات معهم².

قصة أخرى حدثت مع الصالحة عائشة المنوية حينما اعتدى بعض الفقهاء على تابعها فغضبت للأمر وقالت: "والله ما بقي لهم غير ثلاث ساعات وتُحى أسماؤهم من الزمام"، فما مضت إلا ساعتان وكان الأمر الذي قالت³.

لا ريب إذن حسب ما تقدم من نماذج واستشهادات سابقة أن الدعاء قد جعل من الولي ملاذاً للمستضعفين وفي نفس الوقت استعمل كسلاح لترهيب الولاة والجُباة والأمراء، ويقودنا هذا الطرح إلى القول بأن الدعاء له عدّة أبعاد ذات مضامين قيمية، حيث عمل الولي على إرساء قيم العدل والصالح، والقضاء على الجور والظلم من خلال دعائه المستجاب الذي استعمله أيضاً لاستقامة الحكام والولاة واللصوص وقاطعي الطريق، وهذا ما دعم السلطة الرمزية للولي حيث جسّده كمُصلح اجتماعي وقبلة للناس يشكون له ما وقع عليهم من ظلم وجور رجاء رفعه عليهم من خلال ذلك الدعاء.

وفي هذا السياق تورد إحدى الباحثات نصاً منقياً دعا إلى وجوب اللجوء إلى الولي مضمونه: "إذا غلت أسعاركم وفلّت أمطاركم وضعفت ثماركم وتنكرت قلوبكم وعميت عن الرشد مسامعكم وكثرت النميمة والغيبة في خياركم، وجارت عليكم ملوككم فالتجؤوا إلى الله بالأولياء الذين خلف ظهوركم يؤمنكم الله... مما تخافون"⁴.

إن سعي المجتمع طلباً لدعاء الولي يُظهر وبشكل جلي اعترافه _المجتمع_ بحضور الولي وسلطته التي تتجلى في اصلاحاته الاجتماعية.

_سلطة البركة:

¹التادلي، التشوف، ص289.

²نفسه، ص271.

³أبو العباس أحمد التادلي، مناقب عائشة المنوية، تحقيق: محمد الكحلاوي، ط1، تونس: منشورات كارم الشريف، 2011، ص124.

⁴لللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع _مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي، تونس: منشورات كلية الآداب بجامعة منوبة، [د.ت.]، ص317.

البركة تعني الوفرة والنماء والزيادة، وسلطانها الرمزي يؤدي إلى الاعتراف بولاية الولي¹، إذ أن الولي وبجيازته على البركة أصبح في موقع جذب واستقطاب من طرف مختلف فئات المجتمع وطبقاته طلباً لنيل بركة ذلك الولي، ولكي نكشف عن ذلك سنحاول تقديم مجموعة من النصوص التي تناولت مظهرات بركة الأولياء وموقف المغاربة من البركة.

وفي هذا الصدد يروي أحدهم عن أبي الفضل النحوي أنه وجده يتوضأ ولما فرغ من وضوءه لم ينتقص من ماء الإناء وظل على حاله²، وفي نفس السياق روى أحدهم أنه حينما نال منه الجوع هو وأصحابه ولم يجدوا ما يقتاتون به أشار عليهم أن يذهبوا إلى الصالح الحاج إبراهيم بن عيسى بن داوود (ت560هـ)، وحينما وصلوا إليه قدم إليهم شيئاً يسيراً من الأكل وظنوا أنه لن يكفي حتى الواحد منهم، غير أنهم أكلوا منه جميعاً حتى افراطوا في الشبع وبقي الطعام على حاله³.

أما بالنسبة لموقف المجتمع المغربي من بركة الأولياء لنا أن نذكر أن الناس كانوا يقيمون عند باب منزل الولي أبا محمد سيدي عبد الجليل بن ويحلان (ت541هـ)، وإذا خرج يتمسحون بثيابه⁴ طلباً لبركته

الأمر نفسه كان يحدث مع الشيخ أبي يعزى يلنور الذي كان الناس يقصدونه من أجل نيل البركات، فقد حُذث عنه أن الناس استمروا في أخذ خصلات من شعره على سبيل التبرك إلى درجة أنهم قطعوا جلدة رأسه في عدة مواضع⁵، هذا النص يكشف لنا وبشكل جلي الحضور الطاغي لرمز بركة الولي في المتخيل المغربي والذي انعكس بشكل قوي على سلوكيات المجتمع الذي أصبح أفرادها يأتون من كل حدب وصوب لذلك الولي صاحب البركات كي ينالهم منها نصيب، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إن بركة الولي تنتقل حتى لزواره، وهذا ما حدث مع أهل القرى المجاورين لقرية الشيخ أبي يعزى يلنور أين كان هؤلاء يتبركون بالأشخاص الذين كانت لهم زيارة للولي⁶.

والجدير بالذكر أن الأمر لم يقتصر فقط على عامة المجتمع بل تعداه أيضاً حتى للأمرء الذين أخذت البركة نصيبها منهم، حيث نُقل عن الولي الصالح أبو محمد عبد السلام التونسي أنه قصده أحد أمراء الدولة المرابطية في تلمسان فقال

¹ عبد الرحيم العطري، بركة الأولياء بحث في المقدس الضرائحي، الدار البيضاء: المدارس للنشر، 2014، ص56.

² التادلي، التشوف، ص98.

³ البادسي، المقصد الشريف، ص62.

⁴ الصومعي، المعزى، ص78.

⁵ أبو عبد الله بن عبد الكريم التميمي الفاسي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، ط1،

المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، 2002، ص38

⁶ الصومعي، المعزى في مناقب أبي يعزى، ص134.

له الولي: ما تطلب عندي وأنا فقير وأنت أمير؟ فقال له: جئْتُ لأتبرك بك وأكل من طعامك¹. كما حُذِّث عن السلطان الزيانييغمراسن أنه كان يُكثر من مجالسة وزيارة الصلحاء، وروي أنه كان يرتحل إلى زيارة الولي أبي البيان واضح ليلتمس بركته والدعاء له ولذريته².

نص آخر متعلق بطلب بركة الولي غير أنه مخالف عن النصوص السابقة لأنه يتعلق بكائن ما ورائي _الجن_ حيث ورد في منقبة للصلح علي بن إسماعيل بن حرزهم (ت595هـ) أنه كان يحضر لمجلسه رجل لا يكلم أحداً، ويجلس وحيداً فعلم الشيخ أنه من مؤمني الجن جاء يطلب بركة مجلسه³، يُظهر هذا النص المكانة التي حظي بها رمز البركة في المتخيل المغربي إلى درجة إسقاطها حتى على الكائنات الميتافيزيقية والتأكيد على حضورها في العوالم الحسية وغير الحسية.

ووفق هذا كله يمكننا القول إن البركة قد شغلت حيزاً لا يُستهان به وسط المجتمع المغربي، وساهمت بشكل كبير في التأكيد على ولاية وسلطة الولي، بل حتى إنه يمكننا القول أن مفعولها يوازي مفعول الفعل الكرامي الذي يُعتبر الركيزة الأساسية التي أصلت لسلطة الولي الرمزية، إذ أن "البركة كفعل رمزي هو ما يُغذي الولاية ويؤسس للاعتراف بها... فحضور البركة وتواشجها بالكرامة وخرق العادة هو ما يُعطي للولي سلطته ومكانته في المجتمع"⁴.

والجدير بالإشارة هو أن بركة الولي تستمر حتى بعد موته، وتستقر في ضريحه الذي سيصبح فيما بعد مزاراً للناس الذين يقصدونه لقضاء حوائجهم على مختلف الأصعدة (النفسية، الصحية، التعليمية، المظلومية...).

فعلى المستوى الاستشفائي كان الناس يقصدون قبر الصالح أبي عبد الله محمد بن سعدون بن بلال القيرواني (ت485هـ) للاستشفاء به⁵، نفس الشيء كان مع الولي أبي محمد أبا يحيى بن بجاتي الزناتي (ت536هـ)، والذي كان قبره مشهوراً، يأتي الناس إليه للاستشفاء بترابه⁶.

¹التادلي، التشوف، ص111.

²محمد عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان _مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمد بوعباد، الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية، 1985، ص126.

³أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق: زهراء النظام، ط1، المغرب: منشورات كلية الآداب بالرباط، 1997، ص60.

⁴عبد الرحيم العطري، بركة الأولياء، ص44.

⁵الصومعي، المعزى، ص199.

⁶التادلي، التشوف، ص132.

ويُحدثنا ابن قنفذ عن تجربته مع قبر الصالح أبا العباس السبتي (ت 601هـ) قائلاً: "ولقد وقفتُ على قبره مرات وسألت الله في أشياء يسرها لي منها سؤالي أن أكون ممن يشتغل بالعلم ويوصف به، وأن يُيسر عليّ فهم عينتها، فيسرّ الله علي ذلك في أقرب مدة"¹. ويذكر آخر أنه وجد على قبر الولي أبا عبد الله محمد بن سعدون بن بلال القيرواني (ت 485هـ) فقيهاً من أغمات واقفاً عليه من أجل مسألة استعصت عليه².

إن الصورة الرمزية المتميزة التي حظي بها قبر الولي جعلته قبلة يقصدها كل من تعرض للضغوطات الاجتماعية، فهذا قبر الولي عبد الرحيم القنائي (ت 592هـ) _كان قبره_ "يُزار ولا يكاد يخلو من زائر قاصد، أو عابر، تقصده العباد من أقصى البلاد، وتأتي إليه الخلائق من كل فج وواد، وتزدحم الناس على ضريحه مستمطرين الرحمة من عنده"³.

والجدير بالذكر أن بركة ضريح الولي لم تشمل فقط الأحياء بل تعدته إلى الأموات، وفي هذا الصدد ورد لدى التادلي، أنه مات بفاس رجل أسرف على نفسه، وحينما دفنه أهله وانتهوا من ذلك بدأ تراب قبره يهتز حتى انكشف كفن الميت، فقال بعضهم لعلنا لم نعمق الحفر، فأخرجوه وعمقوا القبر أكثر ولكن ما لبث بعد دفنه أن حدث معه نفس الشيء، وعندما رآه الناس على تلك الحال بدأوا بالبكاء والعيول وقالوا ن الأرض لفظته ولم تتقبله، فأشار عليهم أحدهم ان انظروا إلى قبر رجل صالح وادفنوه إلى جانبه لعله يشفع فيه، ففعلوا بما اشار عليهم وبحثوا له عن قبر ولي واستقروا على أن يدفنوه بجوار الصالح أبو محمد بن محسود الهواري فهذا التراب ولم يحدث معه ما حدث له من قبل⁴، رجل آخر رآه بعد موته بعض الصالحين في حياة قبيحة، ثم ما لبث أن رآه أحدهم في منامه في حياة حسنة فقال له _في منامه_ "ما أوجب لك هذا؟ قال: لما دُفن الشيخ علي بن محمد المراكشي معنا غفر الله لأهل القبر من الجانبين الشرقية والغربية"⁵.

وعى هذا الأساس أصبحت قبور الأولياء مقصداً للناس يستشفون ويتبركون بها، وبهذا أضفت قداسة وسلطة على الولي الذي أصبح مرجعية مقدسة مؤثرة فاعلة داخل المجتمع.

¹ أبو العباس أحمد الخطيب ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، تصحيح: محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط: مطبعة أكادال، 1965، ص7.

² التادلي، التشوف، ص84_85.

³ أبو علي الحسن بن محمد بن قاسم الكوهن الفاسي المغربي، طبقات الشاذلية الكبرى المسمى جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005، ص83.

⁴ التادلي، التشوف، ص117.

⁵ البادسي، المقصد الشريف، ص75.

سلطة المكاشفة:

رافد آخر ساهم في ترسيخ السلطة الرمزية للولي، بل وجعله يبدو في صورة مُتعالية أحياناً، وأخرى في صورة ترهيبية، ولكي نستبين هذه الفكرة سنعمد إلى الاستشهاد بعدة قرائن توضح آلية المكاشفة التي استخدمها الولي واطّلع من خلالها على العديد من الأمور الغيبية كاقتراب الأجل، وما يُخفيه الناس في دواخلهم، وفي هذا الصدد يجوز لنا أن نستشهد بالولي أبي العباس أحمد بن محمد بن يوسف الذي طلب من أحد أصدقائه أن يذهب معه إلى المقبرة ويساعده في حفر قبر، ولما سألته عن صاحب القبر أجابه الصالح أبا العباس أنه له وبأنه سيموت في غده، وفعلاً كان ما قاله. نفس الشيء كان لأبو محمد بن وين يوفن الذي تنبأ بدنو أجله¹.

واشتهر في هذا الأمر أبا يعزى يلنور في كل الآفاق، إذ كان يُحدث الناس بما يأكلون وما يفعلون من منكر وغيرها، وهذا ما جعل بعضهم يستنكر عليه فعل ذلك، وهذا ما حدث مع مؤذنه الذي اشتكى لأحد زوار الشيخ وقال له: "عسى أن تُكلم الشيخ أبا يعزى أن يستر الناس ولا يفضحهم فإن الرجل جاهل لا علم عنده، فيقول للواصلين سرقت يا هذا، وزنيت يا هذا، وفعلت يا هذا كذا" ولكن فجأة انقطع كلامه وبقي على تلك الحال حتى جاءه الشيخ أبا يعزى ومسح حلقه فطارت علقه من دم منه، واستطاع ساعتها التكلم، وتاب الرجل من حينه².

وفي نفس السياق يروي أبو جعفر محمد بن يوسف أنه قال: "قُلْتُ يوماً في نفسي ما هذا الذي يصدر من أبي يعزى، فلا أفعلن فعلاً لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى حتى أعلم حقيقة ذلك... فلما وصلتُ ودخلتُ دار أبي يعزى وجدته يُصلي في بيته، فلما سلّم قال لي: يا محمد بن ورق أتغتابني؟ فقلتُ وما ذاك؟ فقال: ألم تقل في نفسك ما هذا الذي يصدر من أبي يعزى!"³

إن الملاحظ فيما سبق أن المكاشفة جعلت من الولي شخصاً يطلع على ما لا يستطيع الشخص العادي أن يطلع عليه، وهذا ما جعله يتعالى عن الإنسان العادي هذا من جهة، ومن جهة أخرى عمِل الولي من خلال المكاشفة على أن يُرسي قيم الصلاح في المجتمع، لأنه وبمكاشفاته سيتجنب محيطه فعل ما يتناقض والقيم الحيرة خشية أن يفضحهم الولي بمكاشفاته.

¹التادلي، التشوف، ص166، 294.

²الصومعي، المعزى في مناقب أبي يعزى، ص133.

³التادلي، التشوف، ص221.

ولا ريب إذن حسب ما تقدم من نماذج سابقة تظهت من خلال الآليات التي اكتسب الولي سلطته الرمزية عن طريقها أن تنعكس على التصورات الذهنية ثم تتجسد في السلوكات والممارسات الجمعية، ولتأكيد هذا الطرح يتعين علينا أن نسوق عدة شواهد توضح لنا كيف ساهمت تلك الآليات مُجتمعة في تكوين صورة مُتخيلة عن الولي، وجعلته قبلة لعامة المجتمع وخاصته، عند خوفهم وأمنهم؛ في حياة الولي وبعد مماته.

ففي هذا الصدد يذكر أحمد بابا التنبكي أن أبا مدين شعيب كانت "ترد عليه الوفود من الآفاق"¹، نفس الشيء كان لأبي عبد الله الجرجاني الذي كان يقصده الناس من كل فج على وجه التبرك²، بل وحتى يمكننا القول إن الولي قد اتخذ صورة الحامي والحارس في المتخيل المغربي، حيث ورد لدى الونشريسي أن المغاربة كانوا يطلبون من الصلحاء أن يقيموا في الأماكن والطرق التي تكثر فيها السرقات والحراية من أجل ترهيب قطاع الطرق واللصوص "ودفع الفساد عن أهل الأمان"³.

ولم تقتصر تلك الصورة في حياة الولي فقط وإنما حتى بعد مماته حيث ذكر التادلي أنه حينما مات أحد أولياء سلا تنازع الناس في دفنه "وقال كل واحد إنما يُدفن في روضتي واجتمع خلق كثير لجنازته فطائفة تحمله إلى هذه الجهة وأخرى تحمله إلى جهة أخرى، وطال ذلك بينهم من أول وقت الظهر إلى وقت العشاء الآخرة"⁴.

نستشف من هذا النص وما سبقه التمثل القوي لسلطة الولي الرمزية في المتخيل المغربي في العصر الوسيط.

خاتمة:

بشكل عام يمكننا القول إن الولي كان له حضور رمزي قوي في المخيال الجمعي، وتأثى هذا من خلال شخصيته والكاريزما الخاصة به سواء في مأكله أو ملبسه، أو حتى طريقة عبادته، كما كان لحدّة الشروخ الحاصل بين العامة والسلطة دور كبير في احتواء الولي لتلك الجموع المتعطشة للمساعدة، وفي هذا الجو المشحون عمل الولي أن يكون المخلص والملجأ والملاذ لمجتمعه من خلال تظافر رموز الكرامة والبركة والدعاء، وبهذا كسب قاعدة شعبية كبيرة وصورة متعالية وسلطة رمزية في المخيال الجمعي.

¹ نيل الابتهاج، ج1، ص197.

² التادلي، التشوف، ص109.

³ أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج2، 1981، ص403.

⁴ التشوف، ص206.

الدور البريطاني في تثبيت امتياز الحصانة الدبلوماسية بالمغرب الأقصى

خلال مؤتمر طنجة (1877-1879)

د: : مصطفى بطراوي جامعة البليدة 2

ملخص البحث:

يتعلق موضوع الدراسة بالنفوذ الاجنبي بالمغرب الأقصى متجسدا في امتياز الحصانة الدبلوماسية الممنوح لمفوضي الدول الاجنبية و تأثير ذلك على سيادة المخزن. كما يركز البحث على الدور الذي لعبه مفوض بريطانيا جون دراموند هاي في مؤتمر طنجة 1877-1879. اين سعى فيه سلطان المغرب الحسن الاول الى الحد من تأثير هذا الامتياز غير ان دهاء هاي حال دون ذلك.

الكلمات المفتاحية : جون دراموند هاي - الحصانة الدبلوماسية - المخزن - مؤتمر طنجة.

Summary:

The subject of the study relates to foreign influence in the Maghreb, embodied in the privilege of diplomatic immunity granted to the commissioners of foreign countries and the impact on the sovereignty of the warehouse. The research also focuses on the role played by the British Commissioner John Drummond Hay in the Tangier Conference of 1877-1879 where the Sultan of Morocco Hassan I sought to limit the impact of this privilege, but the wits of Hay prevented it.

Key words: John Drummond Hay, Diplomatic Immunity, Makhzen, Tangier Conference.

مقدمة:

لقد كانت بريطانيا العظمى مؤهلة أكثر من غيرها لممارسة ضغوطات على المخزن المغربي وذلك بحكم تبنيتها سياسة التبادل الحر و انطلاق ثورتها الصناعية . وقد تزامن ذلك مع سياسة السلطان عبد الرحمان بن هشام (1822-1859) الذي اضطر الى تبني سياسة انفتاحيه مع الدول الاجنبية.

و تعزيزا لذلك حثت الحكومة البريطانية ممثلها بطنجة على بذل جهودهم لدعم هذا المسعى . فلجا الممثل البريطاني الى توظيف جميع الاساليب لتحقيق ذلك بالترغيب تارة و التهيب تارة اخرى. وذلك قصد اقناع المغرب بتوقيع اتفاقية تجارية . وكان له ذلك سنة 1856.

من هذا المنطلق جاء اختيارنا لهذا الموضوع وذلك بتسليط الضوء على الدور الذي لعبه ممثل بريطانيا السير جون دراموند هاي (سيأتي التعريف به لاحقا) الذي مكث بالمغرب زهاء اربعون سنة حيث عاصر حكم ثلاثة سلاطين . وكان تركيزنا في هذه الورقة البحثية على فترة السلطان الحسن الاول و بالضبط عند عقد مؤتمر طنجة (1877-1879) . فقد جاء هذا المؤتمر بمبادرة من السلطان للتخفيف من حدة النفوذ الاجنبي ببلاده . ومقابل ذلك يتجسد الدهاء البريطاني الذي تمثل في نشاط المفوض هاي اين تظاهر بدعمه لجهود السلطان المغربي وكل ذلك خدمة لمصالح بريطانيا العظمى .

وقد قسمت عملي هذا الى مقدمة ثم تطرقت الى اوضاع المغرب جراء تزايد النفوذ الاجنبي . وبعد ذلك استعرضت مساعي المخزن لمجابهة هذا الوضع . وكان صلب الموضوع هو نشاطات جون هاي في مؤتمر طنجة . يليه تأثير المفوض البريطاني على مواقف الدول الاوربية لأخلص في الاخير الى جملة منالاستنتاجات.

- حالة المغرب جراء النفوذ الاجنبي:

خلف النفوذ الأجنبي انعكاسات سلبية على المغرب من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وتحلى ذلك في امتياز الحصانة الدبلوماسية⁽¹⁾ بحيث لم يعد حلها بالأمر السهل. إذ أنها كانت من أخطر المشاكل التي

⁽¹⁾ الحصانة (Immunity): هي حالة الحصين، والحصين هو المنيع، أي من حصن، والحصن هو كل مكان محمي ومنيع، إذن كلمة الحصانة هي المنعة والقوة. والدبلوماسية هي: مجموعة القواعد والأعراف الدولية والإجراءات والبرامج والشكليات التي تحكم بتنظيم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي، أي الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين، مع بيان مدى حقوقهم وواجباتهم وامتيازاتهم، وشروط ممارستها مهامهم الرسمية والأصول التي يترتب عليهم تباعها لتطبيق أحكام القانون الدولي ومبادئه، والتوفيق بين مصالح الدول المتباينة كما هي، وفن إجراء المفاوضات السياسية في المؤتمرات والاجتماعات الدولية وعقد الاتفاقيات والمعاهدات. وقد شاع استعمال كلمة

واجهت السلطان الحسن الأول بعد وصوله إلى الحكم عام 1873م، خاصة بعد أن استخدم الأجانب نصوص المعاهدات استخداما خاطئا، وصاروا يتسابقون لاستغلال بنودها وترسيخ الحصانة الدبلوماسية. وذلك لما كان يتضمنه هذا الامتياز من حقوق للهيئات الدبلوماسية ومحبيها، ولما كانت تكتسبه كذلك الدول الأجنبية من امتيازات أخرى من خلال هذه الحصانة.

لقد كان لتغلغل الأجانب تأثير على سيادة المخزن، حيث شكل المحميون مجتمعا داخل المجتمع المغربي. وحدد السلطان الحسن الأول ملامح هذه القضية في الخطاب الذي وجهه إلى نائبه محمد بركاش حيث قال: "إن إدارتنا تكاد لا تجد في البلاد من هو تحت سلطانها..". وذلك من كثرة ما منحتة الدول الأجنبية من حصانات غير قانونية (2).

استغل الأجانب ومحبيهم امتياز الحصانة الدبلوماسية أسوأ استغلال، وذلك بامتناعهم عن أداء الضرائب والالتزامات المادية المفروضة عليهم للمخزن؛ مما أثر على موارد خزانة الدولة⁽³⁾. ونتيجة لذلك عجز المخزن عن إدخال إصلاحات لتحديث أجهزة الدولة وتنظيمها؛ لأن الضرائب القليلة التي كانت تجبي من الرعايا غير المحميين لم تكن كافية لتغطية النفقات. مما أدى إلى فشل حركة الإصلاح، التي كان هدفها الجوهرى تقوية الدولة، ومقاومة التدخلات الأجنبية.

ولقد كان رفض المجتمع المغربي لظاهرة الحصانة الدبلوماسية نابعا من منظور ديني، تم فيه الربط بين الموقف من الأجنبي كمستعمر و "كافر"، والمحتمي به "المارق" عن دينه الأصلي وعن تقاليده وأعرافه. وهي نفس النظرة تجاه

الدبلوماسية بمعناها الحديث في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، أي عقب توقيع معاهدة ويستفاليا (1645م) والتي أحدثت فكرة إحداث التمثيل الدائم بين الدول. وذلك لوصف البعثات التي تتولى الدول إيفادها لتمثيل مصالحها والتفاوض باسمها، والتعبير عن إرادتها، والدفاع عن وجهة نظرها لدى حكومة أخرى. ويتمتع أعضاء السلك الدبلوماسي بامتياز الحصانة الدبلوماسية، فقد حرصت الدولة الإسلامية، منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه من بعده على مر السنين والقرون، على تمتع السفراء الوافدين إليها بالأمان والسلام طوال مدة بقائهم في بلادها حتى يعودوا إلى أوطانهم. أنظر سموحي فوق العادة، *الدبلوماسية الحديثة*، ب.م.: دار اليقظة العربية، 1973م.

(2) المنوني، محمد، *مظاهر يقضة المغرب الحديث* ج1، بيروت دار الغرب الاسلامي . 1985 . ص 57

(3) السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى محمد بركاش، 27 شوال 1279هـ (1863)، م.و.م.

المحميين وخاصة المسلمين منهم، حيث كانت نظرة المغاربة إلالمحمي مليئة بالاحتقار والتقليل من شأنه، ونعته بأدنى الألقاب مثل "الكفار" و"أولاد النصارى" و"أولاد البصبور" وغيرها (1).

واتخذت النخبة من علماء المغرب مواقف صريحة ضد امتياز الحصانة الدبلوماسية والمحميين، وذلك من خلال خطب صلاة الجمعة، وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد. ودون بعض العلماء انتقاداتهم الحادة في مؤلفات عن الحصانة ومن يتمتع بها من المحميين المغاربة. وقد أجمعت هذه المؤلفات على التنديد بهم، حيث عبروا عن يقظتهم وإدراكهم للأبعاد السياسية لهذه الظاهرة. فأعلنوا استنكارهم لهذا الامتياز وخطورته، وكان هدفهم من ذلك تنبيه عامة الناس وتحذيرهم من هذا الخطر، و دعوتهم الى مقاطعة المحميين.

وقد اعتبر القاضي الحاج العربي بن علي المشرفي الحسني الذي أصدر عام 1873 مؤلفه: الرسالة، في أهل البصبور الخثالة أنه "واجب على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يجالس أهل الحماية ولا يصادقهم، ولا يؤاكلهم ولا يعاشرهم ولا يناكحهم..". كما عبر أبو الحسن بن عبد الله الفاسي من خلال خطبه عن مشاعر الرفض والاستياء من الاحتماء بالأجانب والتخوف، مما سوف ينتج عن ذلك من احتلال للمغرب. ومن أشهر خطبه: "إيقاظ السكارى، والمحتمين بالنصارى" و"الويل والثبور لمن احتسى بالبصبور" (2).

ولم يكن الموقف الرسمي مناقضا لمثيله الشعبي أو النخبوي بل كان السلطين (3) يستندون في التعبير عن استيائهم من هذه الظاهرة على المواقف، التي كانت تبرز ما كان يقوم به الأجانب والمحميون من استغلال للامتيازات التي منحت لهم من خلال معاهدات عقدتها الدول الأجنبية مع المغرب على مدى القرون الماضية.

لقد واجه المخزن المغربي صعوبات جمة للحد من تجاوز ممثلي الدول الأجنبية لنصوص المعاهدات والاتفاقيات التي عقدت بين المغرب والدول الأجنبية. فكان يعلن احتجاجاته ضد تجاوزاتهم المستمرة، ويرفض الاعتراف بكل ما هو مخالف لشروط الاتفاقيات. كما استخدم المخزن الوسائل الدبلوماسية بإيفاد سفرائه إلى عواصم أوروبا

(1) أولاد البصبور: تحقير للمحميين من المغاربة الذين يحملون وثائق سفر أجنبية. سيمو، بهيجة إيطاليا والحماية القنصلية بالمغرب مجلة بحوث. جامعة الحسن الثاني. المحمدية ع1. 1999، ص 89.

(2) المرجع نفسه، ص 90.

(3) رسالتين من السلطان محمد بن عبدالرحمن إلى محمد بركاش، الأولى في 26 محرم 1280 هـ (1863م)، م.و.م.؛ والثانية في 25 ربيع الأول 1280 هـ (1863م)، م.و.م.؛ ومذكرة بتاريخ 16 صفر 1290 هـ (1873م)، م.و.م.؛ ورسالة من السلطان الحسن الأول إلى محمد بركاش، 6 محرم 1295 هـ (1878م)، م.و.م.

والولايات المتحدة الأمريكية، وإرسال خطابات رسمية إلى حكومات هذه الدول؛ لإعلامهم بضرورة إيقاف تمثيلها وتجارها عن التعدي على حقوق المغرب، باستغلالهم للامتيازات الممنوحة لهم.

- مساعي المخزن للحد من النفوذ الاجنبي:

لقد دعا السلطان الحسن الأول رجال حكومته إلى اتخاذ مواقف صارمة تجاه أي تجاوزات إدارية وقضائية. إلا أن التسهيلات والامتيازات التي منحتها المعاهدات للرعايا الأجانب ومحميهم جعلت موقف المخزن صعبا تجاه الأوضاع التي نجمت عنها. وعلى الرغم من ذلك لم تتوقف ردود فعل المخزن عند حدود الاستنكار، بل تعددت محاولاته للحد منها بعد استفحالها بداية من إيفاد السفارات المغربية إلى الدول الأجنبية، ثم مفاوضات طنجة إلى أن وصلت المحاولات في النهاية إلى مؤتمر مدريد.

بدأ السلطان الحسن الأول بمفاوضات مع الدول التي لها مصالح تجارية في المغرب، مثل فرنسا وبريطانيا العظمى وإيطاليا، وتم إرسال السفير محمد الزبدي الرباطي عام 1876. وكان من مهام هذه السفارة إثارة انتباه الدول الأجنبية إلى تفاقم امتياز الحصانة الدبلوماسية، وتوضيح سلبياته على المغرب، ومحاولة إقناعهم بإصلاح هذا النظام، وكان المخزن يأمل في كسب تأييد هذه الدول.

وتوجهت السفارة إلى فرنسا، حيث نقل السفير المغربي رسالة السلطان إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، ماك ماهون (McMahon)؛ يطلب منه الاهتمام بقضية الامتيازات وكل ما يحفظ العلاقات الودية بين البلدين وأن "تنظروا فيها بعين الإنصاف وتجروها على أكمل الأوصاف.." (1).

ولم تكن نتائج زيارة السفارة المغربية إلى فرنسا إيجابية، إذ أبدى المفاوض الفرنسي استعداد حكومته لإجابة المغرب على بعض مطالبه، إلا أنه رفض الاستجابة لمطالب أخرى، كعدم منح الحصانة لسكان الأرياف رغم أن اتفاقية عام 1863م تنص عليه (2).

وكانت المحطة الثانية للسفارة المغربية إلى بريطانيا التي أكد وزير خارجيتها، للسفير المغربي، عدم رغبة دولته في بسط الحصانة على رعايا المغرب إلا بموجب بنود اتفاقيات عام 1856 (البند الثالث من الاتفاقية العامة والبند الرابع من الاتفاقية التجارية). ولم يحصل السفير من خلال رحلته إلى بريطانيا إلا على وعد بأن المخزن المغربي إذا نجح في أن

(1) ابن زيدان، إتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس. (5 اجزاء) الدار البيضاء . ايديال، ج2، ص 282 - 283.

(2) الوثائق، ج5، 629 / ص15.

يعقد مع أية دولة اتفاقاً أفضل من السابق فإن "حكومة جلالة ملك إنجلترا تنيله اعتباراً صحيحاً حتى تتوصل حسب الإمكان إلى تلبية رغبات جلالة ملك المغرب.." (3). وانتقل السفير المغربي إلى إيطاليا حيث قابل الملك فيكتور إيمانويل الثاني (Victor Emanuel II) ووزير الخارجية الإيطالي. ومن ثمة عادت السفارة إلى طنجة دون الوصول إلى أية نتيجة تذكر في موضوع الامتيازات وإصلاح نظمها (4).

وقرر السلطان الحسن الأول، في العام التالي 1877، طرح قضية الامتيازات للبحث والمناقشة مع جميع الدول الأجنبية الممثلة في المغرب. فكلف نائبه، محمد بركاش، بدعوة ممثلي الدول الأجنبية لعقد اجتماعات بطنجة؛ للتفاوض في مطالب المخزن المتعلقة بمشاكل امتياز الحصانة الدبلوماسية وسوء استخدامها. ويؤكد السلطان على نائبه بسرعة المبادرة في معالجة قضية الحصانات مع الممثلين الأجانب:

"..وحسم مادة فسادها، وقد وقع الكلام مع سفراء الأجnas الذين كانوا بحضرتنا.. وكلهم وعد ببذل جهده فيها والوقوف في ترتيبها على الوجه اللائق.." (1).

وبناءً على أوامر السلطان أرسل محمد بركاش مذكرة تشمل القوانين المتعلقة بمنح الحصانة الدبلوماسية لرعايا المغرب، وتتكون هذه المذكرة من تسع عشرة نقطة إلى رؤساء البعثات الدبلوماسية الأجنبية. واشتملت المذكرة على اعتراضات المخزن بشأن الحصانة الدبلوماسية الغير قانونية، ووضح الإصلاحات الداخلية الضرورية التي يجب اعتمادها. وقد وجه إليهم الدعوة لمناقشة هذه القضية الخطيرة التي مست سيادة المغرب، وأضرت بثرواته المادية وأعاق تنفيذ الأحكام القضائية به، للوصول إلى اتفاق جماعي لحلها (2).

- بنود مذكرة طنجة: اشتملت هذه المذكرة على ما يلي :

- التأكيد على أن منح الحصانة الدبلوماسية يكون على أساس البنود المستخلصة من المعاهدتين المعقودتين مع بريطانيا عام 1856م ومع إسبانيا عام 1861م؛ وتسوية عام 1863م التي تم عقدها مع فرنسا.

(3) ابن زيدان، المصدر السابق . ص 301.

(4) نفسه، ص 304 - 311.

(1) الوثائق المكتبة الحسنية، ج 5، 637 / 65.

(2) أنظر نص المذكرة في: وم م، ج 5، 635 / ص 42 - 58.

- أكدت المعاهدات على حق ممثل الدولة الأجنبية أن يختار ترجمانه ومستخدميه من المغاربة، وهم معفون من أداء أي ضريبة.
- حق استخدام القناصل المقيمين بالمدن الساحلية ترجمان واحد وحارس واحد وخادمين اثنين لكل واحد منهم ، وهؤلاء لا يؤدون أي ضريبة.
- إذا عينت دولة أجنبية أحد المغاربة وكيلا قنصليا لها، فإن حصانتها تشملها هو وأسرته المقيمة معه فقط. ويعفون من أداء الضريبة، إلا أنه ليس من حقه منح حصانة الدولة التي يمثلها لأي شخص من الرعايا المغاربة.
- وأكدت على عدم اختيار مستخدمي الممثلين الأجانب من بين موظفي المخزن المغربي أو أناس متابعين قضائيا.
- وطلبت المذكرة من الممثلين الأجانب إرسال قائمة المحميين كل عام إلى وزير الخارجية المغربية.
- نبهت المذكرة إلى أن الحصانة لا تورث كما ورد في المعاهدات.
- وأن على ممثلي الدول الأجنبية أن يبعثوا إلى وزير الشؤون الخارجية المغربية في كل سنة قوائم، تتضمن أسماء محميين ومحمي قناصلهم بالموانئ؛ ليبعث بها إلى الولاية المحليين.
- كما أكدت المذكرة على عدم الاعتراف للقناصل إلا بعدد المحميين المنصوص عليه في المعاهدات إلا في حالة احتياجهم إلى كاتب عربي لكل واحد منهم.
- وأنه يجب على المسؤول القنصلي إخبار الولاية بكل تبديل يطرأ على مستخدمي قنصليته.
- ليس من حق من يتولى الوكالة عن القناصل من المغاربة في حماية مستخدميهم إلا إذا كانوا ذوي قرباهم.
- ولا تمنح الحصانة لمن يخدم من رعايا المغرب مساعدا أو خادما أو مزارعا عند موظفي الدول الأجنبية مثل المترجمين والكتاب.
- ولا يتمتع بالحصانة من يعمل خادما أو مساعدا لدى الرعايا الأجانب، على أنه لا يمكن للولاية المحليين اعتقالهم، دون إخبار القنصلية التي يرجع إليها مستخدميهم، إلا إذا قتلوا أحدا أو جرحوه أو انتهكوا حرمة منزله، فيعتقلون وقتها ويخبر القنصل دون تأخير. وكذلك الحال بالنسبة للسماصرة.

- وعلى السماسرة العاملين لحساب الأجنبي تأدية الضرائب على ممتلكاتهم الشخصية، سواء أكانت عقارا أو مالا أو قطعان ماشية أو سلعا. ولا يعتقلون إلا بعد إعلام القنصل التابعين له، إلا في حالة التلبس بالجريمة.
 - ولا بد من أن يحمل مخالطو التجار الأجانب رسالة توصية إلى الولاة المحليين بالموانئ والمدن الداخلية التي تحفظ مصالح موكلهم.
 - ويطالب محمد بركاش في المذكرة أن يؤدي الرعايا الأجانب والمحميون العاملين في الفلاحة الضرائب على محاصيلهم وقطعانهم.
 - كما تؤكد المذكرة على منع وساطة وتدخلات المترجمين والكتاب والحراس العاملين في مختلف المفوضيات والقنصليات في قضايا تتعلق بأناس غير محميين، وغالبا ما تكون بإيعاز من رئيس البعثة الدبلوماسية. لأن ذلك يؤثر على الولاة والقضاة، وهم يحكمون بين الناس، ويحول دون إنصاف المظلومين من الظلم والواقع عليهم.
 - وتبين أيضا أن على المغاربة المجنسين بجنسية دولة أجنبية، الخضوع لحكم السلطة المغربية بعد عودتهم إلى المغرب.
 - ولا تنكر المذكرة على هؤلاء المجنسين حقهم في الاستفادة من جنسياتهم الجديدة، ما داموا يقيمون في البلد الذي منحهم إياها. ولكن المخزن لا يقبل مطلقا أن يخرجوا عن سلطته إذا عادوا إلى المغرب.
- ويتضح من بنود المذكرة المغربية أنها لم تركز، في حقيقة الأمر، على إلغاء امتياز الحصانة الدبلوماسية كليا، وإنما طالبت فقط بعدم تجاوز الدول الأجنبية حدود المعاهدات والاتفاقيات المبرمة مع بريطانيا عام 1856م ومع إسبانيا عام 1861م والتسوية مع فرنسا عام 1863م، والعمل بموجبها، والكف عن المخالفات التي يقوم بها الرعايا الأجانب ومحميهم.
- ولم يكن في الواقع، في وسع المغرب آنذاك، أن يطالب بأكثر من ذلك؛ لالتزامه دوليا بما عقده من اتفاقيات، على الرغم من أنها تتنافى مع سيادته وتمس استقلاله. وهكذا كان الهدف الجوهرى للسلطان الحسن الأول هو تحجيم الحصانة الدبلوماسية، ووضعها تحت سيطرة المخزن. وكان قرار عرض قضية امتياز الحصانة الدبلوماسية أمام البعثات الدبلوماسية الأجنبية، والتخلي عن المفاوضات المنفردة التي كان يجريها السلطان من خلال سفاراته، يعني فتح الباب أمام تدويل هذه القضية.

– نشاطات المفوض الانجليزي هاي خلال مباحثات طنجة:

رغم أن المفاوضات بين ممثلي الدول الأجنبية وبين المخزن طالت دون جدوى، فإن الوزير المفوض البريطاني جون دراموند هاي⁽¹⁾ الذي منحه حكومته حرية اتخاذ القرار المناسب في قضية امتياز الحصانة الدبلوماسية بالمغرب - قام بدور إيجابي في المباحثات مع ممثلي الدول الأجنبية بطنجة. خاصة وأنه عميد للسلك الدبلوماسي بالإضافة إلى أن طول إقامته بالمغرب سمح باتساع خبرته بالشؤون المغربية، كما أن تمثيله لدول النمسا وهنغاريا والدانمارك وهولندا حول له مكانة خاصة ضمن هذه المفاوضات⁽²⁾.

وقد اتخذ جون هاي بعض التدابير لترضية المغرب، وليكون قدوة لغيره من زملائه رؤساء السلك الدبلوماسي. أرسل رسائل دورية إلى قناصل بريطانيا بالموانئ المغربية، يثير فيها انتباههم إلى الحدود التي يجب عليهم ألا يتجاوزوها في منح الحصانة البريطانية لرعايا السلطان. وكان هاي يفتخر خلال اجتماعه مع زملائه من ممثلي الدول الأجنبية، بأنه طوال مدة تمثيله لبلاده في المغرب منذ اثنين وثلاثين عاما، لم يستغل امتياز الحصانة الدبلوماسية. كما كان يبدي تعاطفه لوجهة نظر المخزن حول منح المفوضيات الأجنبية الحصانة لأعداد كبيرة من الرعايا المغاربة⁽³⁾.

⁽¹⁾ عاش السير جون دراموند هاي في المغرب ممثلا لبريطانيا العظمى سنين طويلة، وذلك منذ أن عين قنصلا عاما لبلاده عام 1845 وهو في الثامنة والعشرين من عمره. واستمر في منصبه إلى عام 1886، حيث عاصر السلاطين: عبد الرحمن بن هشام؛ ومحمد بن عبد الرحمن؛ والحسن الأول. وكان ملما بعدة لغات: العربية والتركية والإيطالية والإسبانية والفرنسية. وقد ساهم هاي في تنمية العلاقات المغربية البريطانية خلال مدة عمله، حيث كان يركز على تقوية نفوذ بلاده، ودعم مصالحها الاقتصادية في المغرب، وذلك بتشجيع المخزن المغربي على تحسين أوضاع المغرب بإدخال إصلاحات ضرورية، وإتباع السياسة المفتوحة في المجال التجاري. وكان هاي صديقا للمغرب؛ لأنه من وجهة نظره أن عليه هو شخصا اكتساب محبة واحترام المغاربة للوصول إلى هذه الأهداف. لمعلومات تفصيلية عن الشخصية انظر:

A Memoir of Sir John Drummond Hay (London: John Murray Albemarle Street, 1896).

وقد كان هاي غالبا ما يعرقل أطماع الدول الاستعمارية في المغرب بتدخلاته لدى حكوماته، حتى أن زملاءه من ممثلي الدول الأجنبية الأخرى كانوا ينعته في تقاريرهم بالمغربي المنافق. ومن أهم أعماله عقد اتفاقية 1856 مع المغرب، كما أنه هو الذي أقنع حكومته بدعوة الدول الأجنبية لعقد مؤتمر دولي خارج المغرب (مؤتمر مدريد 1880. بن منصور، عبد الوهاب. مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880. الرباط. المطبعة الملكية. 1985، ص 19.

⁽²⁾ روجرز ب ج، تاريخ العلاقات الانجليزية - المغربية حتى عام 1900. تر: يونان ليب رزق. الدار البيضاء. دار الثقافة. 1981، ص 247.

⁽³⁾ المرجع نفسه.

وتبنى هاي نفس الموقف في اجتماع 21 فيفري 1879 الذي ضم الوزراء المفوضين للدول الأجنبية بخصوص نفس الموضوع، وهو امتياز الحصانة الدبلوماسية.

وأكد أمامهم أنه على الرغم من أن بريطانيا تعتبر أكبر دولة تتعامل تجاريا مع المغرب إلا أنه لم يمنح الحصانة الدبلوماسية لرعايا مغاربة إلا لمن كانوا في خدمة "حكومة جلالة الملكة" أو في خدمته وخدمة الموظفين والقناصل البريطانيين (1).

ومن الملاحظ أن أقوال هاي تفندھا بعض المخالفات التي ارتكبھا بعض الحميين والهامين الإنجليز. فقد امتدت تجاوزات القناصل الإنجليز إلى الدرجة التي كانوا يضغطون فيها على السلطة؛ لاستبدال موظفين وعمال ومحتسبين لم يتعاونوا معهم (2). كما أنهم كانوا يصرون على تعويض تجارهم عن خسائر وهمية في بعض الأحيان، ويلجأون إلى أسلوب التهديد لمساندة محبيهم، خاصة إذا كانوا من اليهود. وقد كان الإنجليز من أشد المتعاطفين مع اليهود بالمغرب، ويتدخلون إلى جانبهم حتى لو كانوا هم المعتدون (3). وكان هؤلاء اليهود من أكثر المتهافتين على الحصانة الدبلوماسية التي كانوا يتحصنون بها ويستخدمونها لإيذاء المسلمين المغاربة (4).

وتعود مخاوف هاي من الحالة التي وصل إليها المغرب نتيجة تفشي الحصانة الدبلوماسية وعدم خضوعها للقوانين، إلى تراجع المصالح التجارية البريطانية. حيث أن نسبة التبادل التجاري بين بريطانيا والمغرب تفوق غيرها من الدول الأخرى مجتمعة. وقد تبين خوف هاي من خلال رسائله إلى وزارة الخارجية، التي كتب في إحداها:

"..أخشى أن تكون مسألة الحماية من المسائل التي ستؤدي إلى اضطراب كبير وإذا لم يتم تنظيمها فإنها لن تؤدي فحسب إلى عرقلة تقدم الحضارة وزيادة التجارة في تلك البلاد بل إنها قد تؤدي إن عاجلا أو آجلا إلى حالة من الفوضى كما قد تؤثر في استقلال السلطان.." (5).

وقد أكد هاي في خطابه أثناء أحد اجتماعات طنجة، المنعقد بالمفوضية البريطانية في 27 مارس 1879، بأنه: "قبل كل شيء فلتكن هناك حكومة إذ بدونها تستحيل التجارة.." (1). فمن وجهة نظر هاي أن نظام الحصانة

(1) روجرز ' المرجع السابق ' ص 256

(2) السلطان محمد بن عبدالرحمن إلى محمد بركاش، 23 رجب 1279هـ (1863م)، م.و.م.

(3) وثائق المكتبة الحسنية، ج 4، 561 / 343.

(4) المصدر نفسه، 589 / 419.

(5) رسالة بتاريخ 28 أبريل 1863م أوردها: روجرز، مرجع سابق، 230.

الدبلوماسية، كما هو مطبق من قبل ممثلي وتجار الدول الأجنبية يعتبر عائقا للتبادل التجاري بين المغرب والدول الأجنبية⁽²⁾.

ولم تكن مساندة جون هاي للمخزن تعاطفا معه، بقدر ما هي تخوف على المصالح الاقتصادية البريطانية. فقد كانت الغاية الأساسية لجون هاي خلق دولة قوية تستطيع مجابهة الأطماع الأجنبية. فمطامع فرنسا مثلا لم تكن تتركز على المجال الاقتصادي، والوصول إلى حجم التبادل التجاري مع المغرب كالذي وصلته بريطانيا⁽³⁾، بل تعدى ذلك، إلى التفكير في الاستيلاء على البلاد بأكملها وهوما ستيبناه لنا الأحداث لاحقا.

والظاهر أن الممثلين الأجانب أثناء اجتماعات طنجة لم يتفقوا على المسائل الجوهرية في مذكرة المخزن، كحق الحصانة الدبلوماسية، والشروط التي تمارس بها، لأنها كانت محسومة بالنسبة لهم. وكانوا يتطرقون فقط إلى مسائل شكلية، وأخرى هامشية، كترقية الخنازير والعدد الذي يمكن لكل أسرة أجنبية الاحتفاظ بها. كما اتفقوا على صيانة غابة طنجة التي احتكر الأجانب أشجارها، وصدروا أخشابها إلى الخارج. هذا بالإضافة إلى اتفاقهم على ضرورة تسليم قوائم المحمين مرة في كل عام إلى المخزن⁽⁴⁾. و مقابل موافقتهم على هذه المطالب، طالبوا بحق تملك العقار للرعايا الأجانب والمحمين⁽⁵⁾. وهو ما تم لهم فعلا فيما بعد بموجب ميثاق مؤتمر مدريد 1880.

وعندما أدرك السلطان الحسن الأول أن الآراء المتباينة بين ممثلي الدول الأجنبية فيما يتعلق بالحد من مساوئ استخدام الحصانة الدبلوماسية خلال مباحثاتهم في طنجة لن تؤدي في النهاية إلى نتيجة مرضية، طلب منهم عن طريق نائبه محمد بركاش اطلاعه على ردود حكوماتهم، بخصوص المقترحات التي عرضت عليهم خلال سنتي 1877 – 1878 للتوصل إلى حلول جذرية فيما يخص امتياز الحصانة الدبلوماسية⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الوثائق، ج5، 664 / 180. م و م

⁽²⁾ F. V. Parsons, *the Origins of the Morocco Question*, (n. p.: Duck Worth, 1975), p 77.

⁽³⁾ وصل حجم التبادل التجاري عام 1876م بين المغرب وبريطانيا إلى 62%، بينما لم يتعد حجم التبادل التجاري بين المغرب وفرنسا الـ 29%. Parsons, *Ibid*, 74.

⁽⁴⁾ بن منصور، مشكلة الحماية، مرجع سابق، ص 69.

⁽⁵⁾ Parsons, *op cit*, p76.

⁽¹⁾ Hay to Salisbury, Feb. 25, 1879. 45, 46 / ج 8. انظر وثائق المكتبة الحسينية.

وأمام هذه الضغوط، لم يجد الممثلون الأجانب بدا من تجاوبهم مع هذه الدعوة، فبدأت جولة جديدة من محادثات طنجة بداية من 21 فيفريوحتى 29 جويلية 1879، تمسك خلالها ممثلو الدول الأجنبية بمواقفهم السابقة. واستمر جون هاي في تأييده لمطالب المخزن ودعمها في كل اللقاءات⁽²⁾.

ففي الاجتماع الأول انتقد جون هاي بشدة أضرار الحصانة الدبلوماسية التي يمنحها القناصل ونوابهم لرعايا المغرب، خارقين بذلك البنود المنصوص عليها في المعاهدات. كما وجه انتقاده لبعض ممثلي الدول الأجنبية المستفيدين من الحصانة، وأوضح أن الانحطاط الذي يعانيه المغرب والانعكاسات السلبية التي ستلحق بالمصالح التجارية الدولية يعود بالمرتبة الأولى إلى الحصانة الدبلوماسية المنافية للقانون⁽³⁾.

فقد كان قنصل الولايات المتحدة فيليكس ماثيوز (F. Mathews) معروفاً بمتاجرته العلنية في الحصانة الدبلوماسية. وقد وجه السلطان الحسن الأول رسالة تتعلق بهذا الموضوع إلى نائبه محمد بركاش جاء فيها: "... أن قونصل الماركان [قنصل الأمريكان] الذي بطنجة لا زال متمادياً على إعطاء الحماية للناس على غير قانون، حتى كاد الأمر يفضي إلى ما لا يليق...". ويطلب السلطان من بركاش، في هذه الرسالة، إقناع ماثيوز ليتوقف عن هذا الأمر ويسلم لائحة المحمين كباقي زملائه من ممثلي الدول المعتمدة بالمغرب⁽⁴⁾. إلا أن ماثيوز، كما يتضح من رده على نائب السلطان، لم يتجاوب مع طلب المخزن⁽⁵⁾.

لقد اكتسب جون هاي مكانة داخل الأوساط المخزنية من خلال النقد العنيف الذي كان يوجهه لقضية الحصانة غير القانونية، ولبعض التجار من نواب الدول وقناصلها. ومما زاد موافقه قوة أن التبريرات والأساليب التي كان يعتمد عليها في الدفاع عن أرائه، كانت نابعة من درايته وتطلعه على أحوال المغرب. فقد كان المغرب يواجه تدهوراً اقتصادياً صعباً، بسبب انتشار المجاعة والأوبئة في ذلك الوقت.

⁽²⁾ Ibid.

⁽³⁾ Ibid.

⁽⁴⁾ يتبين من هذه الرسالة الضعف والهوان التي كان عليها المغرب، في ذلك الوقت، حيث يطلب سلطان دولة من مندوب دولة أجنبية أن يكف عن مضرة الدولة التي يمثل بلاده فيها، ولا يجد منه إلا التجاهل والنكران. رسالة من السلطان الحسن الأول إلى محمد بركاش، 29 جمادى الثانية 1293 هـ (1876م)، م. و. م.

⁽⁵⁾ ماثيوز إلى محمد بركاش، 18 صفر 1295 هـ (12 فبراير 1878م)، م. و. م.

ومن ضمن الأسباب الرئيسية التي ساهمت في هذه الأوضاع السيئة المشاكل الناجمة عن مساوئ الحصانة الدبلوماسية، التي جعلت السلطان عاجزا عن التحكم في زمام الأمور⁽¹⁾. بالإضافة إلى المجاعات والأوبئة انتشرت حركات تمرد بين القبائل، الأمر الذي دفع بالسلطان الحسن الأول إلى القيام بحملات عسكرية إلى العديد من المناطق لإخماد الفتن وفض النزاعات واستخلاص الجباية. وكان من ضمن أهداف السلطان من هذه الحملات أيضا تأكيد سلطته ونفوذه، خاصة في الجهات البعيدة مثل المناطق الشرقية، والجنوبية الشرقية، التي امتدت إليها الأطماع الأجنبية⁽²⁾. وبطبيعة الحال كانت هذه الحملات تتطلب من السلطان الاستعدادات العسكرية وتكلفه ماليا؛ وبالتالي تعيق مشاريعه الإصلاحية ولا تسمح له بإدخال تنظيمات جذرية على جميع الأجهزة المخزنية. ولهذا كانت الإصلاحات غالبا ما تكون نتائجه سلبية وذلك لفراغ خزينة الدولة.

لقد كانت الدول الأجنبية تدرك تمام الإدراك أبعاد الإصلاحات بعيدا عن تدخلها وما تخول لها المعاهدات من امتيازات، لإضعاف اقتصاد البلاد. وذلك بإقحام المغرب في مشاريع وإسقاطه في سياسة الديون؛ لامتصاص خيراته ونشر الفوضى. وذلك بعرقلة أي وسائل إصلاحية يقوم بها المخزن لنهضة البلاد وتقديمها بعيدا عنها. وهذا ما يفسر المواقف المتناقضة الحاصلة بين ما يسعى له ممثلو الدولة الأجنبية، أثناء اجتماعات طنجة، المدافعين عن مصالحهم الشخصية ومصالح دولهم، وبين ما كان يهدف إليه المغرب رسميا وشعبيا.

فقد كان المخزن يهدف من وراء تلك المفاوضات تحقيق حلول جذرية تحد من آفة الحصانة الدبلوماسية، وتخلصه من أي تدخل أجنبي يتسبب في تضرر واقعه الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

لقد حاول محمد بركاش أثناء تدخلاته خلال اللقاءات التي عقدت، مجابهة ممثلي الدول الأجنبية، مبرا حقوق المغرب وعدالة مطالبه. وقد أعطى بركاش أمثلة عن الفوضى التي أصبحت تسود المحاكم بسبب الحصانة الدبلوماسية، والظلم الذي يلحق بالتجار المغاربة من التجار الأجانب وسماسرتهم بالأسواق الداخلية.

(1) كان وباء الكوليرا يفتك بأرواح الناس بالمغرب؛ ففي مدينة الدار البيضاء، التي يقدر تعداد سكانها في ذلك الوقت بحوالي ستة آلاف نسمة، كانت نسبة أعداد الموتى تصل إلى حوالي مائة وثلاثة فردا في اليوم الواحد. A Memoir of Sir J. D. Hay, *op. cit.*, pp324-325.

(2) لمعلومات تفصيلية عن الحملات السلطانية أنظر: لويس أرنو، *زمن المحلات السلطانية - الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860 و 1912م*، ترجمة: محمد ناجي بن عمر (الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 2002م).

واستنكر بشدة "وقاحة" المجنسين وجرائهم على الولاة المغاربة من عمال وقضاة الشيء الذي لا يمكن للمخزن أن يسكت عليه أو يقبل به. ولم يكتف بركاش بذلك بل أبدى تعجبه من مماطلة رؤساء البعثات الدبلوماسية في إبلاغ حكوماتهم بالمواقف المخزنية⁽¹⁾.

وقد كانت غاية السلطان الحسن الأول الأساسية من الاجتماعات التي أجريت بطنجة هو تحديد أعداد الحميين وإسقاط كل من هو ليس في خدمة الدبلوماسيين المعتمدين في المغرب. بالإضافة إلى البت في جميع القضايا المخالفة لامتياز الحصانة الدبلوماسية، الذي ورد في نصوص المعاهدات والاتفاقيات الدولية المبرمة مع المغرب، واحترام العمل بها قانونيا⁽²⁾.

تأثير جون دراموند هاي على مواقف مفوضي باقي الدول الاوربية.

لقد ظهر بشكل واضح أثناء اجتماعات طنجة التي استمرت إلى شهر جويلية عام 1879، انقسام ممثلي الدول الأجنبية ما بين مؤيد ومعارض لوجهات نظر وزير بريطانيا المفوض السير جون هاي، فيما يتعلق بحق المغربي التخلص من مساوئ امتياز الحصانة الدبلوماسية وقبول مطالبها.

وكان من ضمن المؤيدين لجون هاي ممثل الحكومة الألمانية ويبر (Weber)، وممثل الحكومة البلجيكية دالوين (Daluin)⁽³⁾.

وكانت وجهة نظر وزير إسبانيا المفوض بطنجة سنيور ديوسدادو (Diosdado)، مؤيدة لدعم مطالب المخزن وحقه في ضرورة إدخال تعديلات على نظام الحصانة الدبلوماسية وتحديدتها.

لأن ذلك من شأنه تقليل النفوذ الأجنبي في المغرب؛ وأن على الحكومة الإسبانية التعاون مع بريطانيا في فرض هذه السياسة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ Hay to Salisbury, Feb. 25 1879. م. و. م.

⁽²⁾ السلطان الحسن الأول إلى محمد بركاش، 8 جماد الأول 1297 هـ (1880م)، م. و. م.

⁽³⁾ A Memoir of Sir J. D. Hay, *op. cit.*, p 323.

⁽¹⁾ Parsons, *op. cit.*, p 75.

وكانت غاية الحكومة الإسبانية من هذا التأييد تأكيد مكانتها ومركزها في إرثها التاريخي في أقصى شمال المغرب. هذا بالإضافة إلى تخوفها من تصدع داخلي قد يحدث في المغرب، فيخلق لها مشاكل كبيرة في الوقت الذي كانت تمر فيه حكومتها بأوضاع داخلية مضطربة (2).

وكانت إسبانيا تأمل بذلك في أن يقابل السلطان الحسن الأول تساهل الحكومة الإسبانية في مسألة امتياز الحصانة بتساهل في قضية منطقة سيدي إفني (سانتا كروز)، على المحيط الأطلسي، الذي اكتسبته بموجب معاهدة صلح تطوان عام 1860 دون أن تستطيع احتلاله. بعد أن اكتسبت المنطقة اهتمام رجال الأعمال الإسبانين (3).

أثناء الاجتماعات، اتضح اتفاق وجهات نظر ممثلي فرنسا وإيطاليا والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية في مسألة الحد من امتياز الحصانة الدبلوماسية. حيث رفض وزير فرنسا المفوض دو فيرنويي (De Vernouillet) أي تغيير يتعلق بنظام الحصانة الوارد في نصوص المعاهدات. ولم يكتف ممثل فرنسا بذلك، بل اتهم الحكومة البريطانية بالتآمر على فرنسا لتقزيم نفوذها في شمال إفريقيا. وأن وزيرها المفوض هاي، الذي لقبه بـ "الإنجليزي - العربي" و "الإنجليزي - المغربي"، يخطط للقضاء على نفوذ أي دولة تريد الاستفادة من امتياز الحصانة الدبلوماسية، نظرا لمكانته ونفوذه الشخصي لدى المخزن المغربي. وأكد دو فيرنويي بأن فرنسا ليست على استعداد للتنازل عن أي حق من الحقوق التي اكتسبتها من المعاهدات الدولية مع المغرب (4).

وتبنى ستيفانو سكوفافسو (Stefano Scovasso) الممثل الإيطالي بطنجة نفس الموقف المتصلب مثل زميله الفرنسي. وقد كان سكوفافسو من أكثر ممثلي الدول الأجنبية إثارة للمشاكل والمغالطة في تدخلاته مع مسؤولي المخزن المغربي. واستمر في معارضته الشديدة لأي تحديد لامتياز للحصانة الدبلوماسية معلنا بأن المحميين المغاربة: "أصبحوا جزءا من السلطة الإيطالية التي لا يمكنها أن ترفض طلب أي شخص أراد الاحتماء بها.." (1).

ويتضح من ذلك أن سكوفافسو تجاهل التزام دولته بشرعية تحديد لوائح المحميين وأعدادهم، ووجوب تقديمها للمخزن بشكل دوري. وقد كانت نسبة كبيرة من المحميين الإيطاليين من الطائفة اليهودية في المغرب، وكان سكوفافسو

(2) بن منصور، مشكلة الحماية، مرجع سابق، ص 70.

(3) لمرجع نفسه.

(4) Parsons, *op cit*, pp74-76.

(1) من ستيفانو سكوفافسو إلى محمد بركاش، 28 جمادى الأولى 1297 هـ (1880م)، م.و.م.

من أشد المتعاطفين معهم⁽²⁾، وكان هؤلاء يعتبرونه المدافع الرئيسي عنهم ويقابلونه بالاحتفالات والترحاب بعد عودته من كل رحلة عمل له خارج المغرب⁽³⁾.

كما أن هناك أسباب شخصية تتعلق بعداء وزير إيطاليا المفوض للوزير المفوض البريطاني جون هاي، الذي تحتل بلاده مكانة مميزة لدى المخزن. حيث أن سكوفاسو يرى بأنه باستخدامه لامتياز الحصانة الدبلوماسية يؤكد الوجود الإيطالي ونفوذه في المغرب، الأمر الذي يحقق لحكومته - وله هو كمثل لها - المكانة التي تستحقها والتي قد تصل إلى مكانة بريطانيا ووزيرها المفوض⁽⁴⁾.

ولم يكن دو فيرنوي ممثل دولة فرنسا أقل شدة وحدة من زميله الإيطالي في معارضة المشاريع الإصلاحية، التي كان الممثل البريطاني يقترحها للحد من انتشار الحصانة بالمغرب، والقضاء على كل تعسف ناتج عنها. فقد عارض ممثلا هاتين الدولتين أي تحديد للحصانة الدبلوماسية.

واستنكرا أن يكون هذا الامتياز مصدرا للمشاكل التي يعاني منها المغرب، بل وجها للانتقاد إلى تهاون المخزن، واتخذوا موقفا متصلبا في إنكار حقوق المغرب⁽¹⁾.

أما ممثل دولتي البرتغال والبرازيل، فقد كان أيضا معارضا لأي تغيير في نظام الحصانة الدبلوماسية، خاصة فيما يتعلق بسحب الحصانة التي يستحقها المغاربة المجنسون المعتبرون رعايا برتغاليين أو برازيليين، بموجب قوانين هاتين الدولتين. وهدد المندوب البرتغالي بأنه إذا رفض المخزن المطالب المقدمة من طرفه، فإنه سوف يحتج على هذا الرفض ويبلغ عنه دولته⁽²⁾.

. م.و.م. West to Salisbury, Oct.16, 1879.⁽²⁾

⁽³⁾الوثائق، ج 7، 171 / 924. المكتبة الحسنية.

⁽⁴⁾Parsons, *op. cit.*,p73.

⁽¹⁾Parsons, *op cit.*p75.

⁽²⁾الوثائق، ج 5، 278/ 674. المكتبة الحسنية

وهكذا وصلت اجتماعات طنجة إلى طريق مسدود، وكان السبب في فشلها كما يذكر وزير خارجية بريطانيا، الماركيز ساليزبوري (the Marquis of Salisbury)، في رسالة منه إلى سفراء بريطانيا المعتمدين في فرنسا والنمسا وألمانيا وبلجيكا والدانمرك وهولندا وإيطاليا وإسبانيا والسويد والبرتغال والولايات المتحدة والبرازيل:

"..أن مباحثات طنجة لم تصل إلى تسوية نهائية، لأن العديد من النقاط قبول بالاعتراض من قبل ممثلي دول فرنسا وإيطاليا والبرتغال والبرازيل..".⁽³⁾

وقد تمثل الموقف المعارض لمدوبي هذه الدول في رفض المبادئ الأساسية الواردة في المذكرة المغربية، خاصة ما يتعلق بحماية السماسرة وقضية التجنيس. أما بخصوص الجزئيات الأخرى، فقد عبر الممثلون عن تمنياتهم وتوصياتهم إلى دولهم، المتبينة الأنظمة والاتجاهات والسياسات في شأن دفع الضرائب الزراعية، ورفع المظالم الناتجة عن التجنيس، ورفع قوائم بأسماء المحميين كل سنة إلى المخزن. حتى أن دو فيرنوبي وزير فرنسا المفوض بطنجة صرح قائلا:

"..لم يبق لنا إلا أن نتظر اتفاق حكوماتنا فيما بينها على التوصيات والمعلومات التي بلغناها إياها..".⁽⁴⁾

خاتمة :

يتبين لنا مما سبق أن دخول المغرب في مفاوضات للحد من ظاهرة الامتيازات، قد أصبح قضية دولية، ناقشتها أطراف لم تكن تراعي مصالح المغرب ولا متطلباته. وكان ذلك نابعا من إدراكها العميق بأن نظام الامتيازات يرتبط بمصيرها بالمغرب وسبب كينونتها به؛ ومن ثم فأي مباحثات في موضوع هذه القضية يعتبر ضربا لمصالح هذه الدول التي كانت تتسابق على الأسواق والمستعمرات. ولم تكن، بطبيعة الحال، مستعدة لإبداء أي تنازل في هذا الموضوع، خاصة وأن الدول التي كانت أكثر ليونة فيما يخص هذه المفاوضات (بريطانيا على الخصوص) لم تكن هي الأخرى تسعى من وراء مساندتها سوى إلى تحقيق مصالح خاصة، واحتلال مكانة مميزة في السياسة المغربية. وفي هذا السياق ستقوم بريطانيا من خلال ممثلها بطنجة السير جون دراموند هاي بطرح مبادرة أخرى لمناقشة مشكل الحصانة الدبلوماسية بالمغرب ويكون ذلك بالعاصمة الإسبانية مدريد 1880 مما سيعمق تعقيدات المغرب ويؤدي إلى ازدياد النفوذ الاجنبي فيه .

م . و . . Salisbury to the British Ambassadors in Europe, USA & Brazil, Oct. 7, 1879.⁽³⁾

م

⁽⁴⁾ يعني دو فيرنوبي بقوله هذا سخريته من نتائج المشاورات، لأنه متأكد أن حكوماتهم لن تتفق بشأنها. بن منصور، مشكلة الحماية، مرجع سابق، ص 75.

المراجع و المصادر:

-المصادر :

- مديرية الوثائق الملكية بالرباط. - م. و. م-
- الوثائق : وثائق الخزانة الحسنية بالدار البيضاء.
- ابن زيدان عبد الرحمان. اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس. (5 اجزاء) الدار البيضاء. ايدىال. 1990
- Brooks, L.A.F, **A Memoir of Sir John Drummond Hay**. London: johnMurray Albemarle Street, 1896.
- المراجع :
- المنوني محمد. مظاهر يقظة المغرب الحديث (جزئين) . بيروت. دار الغرب الاسلامي. 1985.
- بن منصور عبد الوهاب. مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها الى مؤتمر مدريد 1880 الرباط المطبعة الملكية 1985.
- روجرز ب ج. تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900 . تر: يونان ليب رزق الدار البيضاء. دار الثقافة. 1981.
- سيمو بهيجة. ايطاليا و الحماية القنصلية بالمغرب مجلة بحوث جامعة الحسن الثاني . المحمدية ع 1. 1999. ص 75-95.
- فوق العادة سموحي . الدبلوماسية الحديثة. دار اليقظة العربية . 1973.
- لويس ارنو . زمن المحلات السلطانية الجيش المغربي و احداث قبائل المغرب ما بين 1860-1912 . تر محمد ناجي بن عمر. الدار البيضاء. افريقيا الشرق. 2002.
- Parsons. F .V, **the Origines of the Morocco Question 1880-1900**. n.p .duckworth.1975.

تحديد الإشكالية في البحوث الإنسانية

بين صعوبة التموقع الإستيمولوجي للباحث ومواجهة العقبات الإستيمولوجية

د. كلفاح أمينة : جامعة البليدة 2

مقدمة:

إن إعداد البحوث والدراسات العلمية في مختلف التخصصات هو بمثابة مهارة من الضروري أن يتمتع بها جميع المشتغلين في حقل البحث العلمي عبر مختلف الجامعات ومراكز البحث سواء كانوا باحثين بدوام كامل أو من أعضاء هيئة التدريس أو طلبة الدراسات العليا، فالبحث العلمي يلعب دورا أساسيا في عمليات تطوير وتنمية المجتمعات، نظرا لقدرته على الوصول إلى إجابات وحلول للكثير من الأسئلة والإشكالات التي تواجه الأفراد والمجتمعات في مختلف جوانب الحياة.

والبحث العلمي هو عبارة عن عملية تراكمية تحتاج إلى أن يكون الباحث في متابعة مستمرة لمستجدات الساحة العلمية في مجال تخصصه، فالعلم هو عبارة عن واقع متغير يجب أن تتم مجاراته على الدوام، والوقوف على مكان النقص أو الجدة فيه، ويكون ذلك من خلال التعامل مع الظواهر بعين مختلفة عن عين الشخص العادي، هي عين فاحصة محصنة ناقدة تطرح إشكاليات وتبحث عن إجابات، معتمدة في ذلك على مناهج وأساليب علمية تتغير تبعا لحقل البحث ولطبيعة الموضوع.

ولعل إشكالية البحث في العلوم الإنسانية هي من أقل المواضيع المنهجية دراسة كما يجمع عليه الكثير من الباحثين في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية على العموم، ولعل السبب في ذلك هو إستيمولوجي قبل أي شيء آخر، حيث هنالك تخوف من أن تؤدي محاولة تقديم تعريف دقيق لمصطلح الإشكالية إلى حصرها في إطار منهجي معين ومن ثم الوقوع في فخ الذاتية الذي يجب أن يتجنبه البحث العلمي، وطرح إشكاليات موجهة وكأننا نتوقع نتائجها مسبقا.

ومن هذا المنطلق تأتي هذه الورقة البحثية التي نسعى من خلالها إلى التطرق لموضوع صعوبة تحديد إشكالية البحث في العلوم الإنسانية، والتي تعد من أهم مراحل تصميم البحوث العلمية حيث أنها تؤثر بشكل كبير على جميع مراحل إعداد البحث، فعلى أساسها يتم تحديد نوعية البحث وطبيعة المناهج والأدوات المعتمدة خلال الدراسة، كما يدور البناء الكلي للبحث منهجيا ونظريا وتطبيقيا على الإشكالية التي انطلق منها الباحث.

ونهدف من خلال هذا المقال إلى توضيح صعوبات التموقع الإستمولوجي للباحث في العلوم الإنسانية عند تحديد إشكالية الدراسة، والذي من شأنه أن يجنب البحوث الاجتماعية والإنسانية الوقوع في فخ تكرار الإشكاليات من جهة، وإضفاء الصبغة العلمية على حقل الدراسات الإنسانية من جهة أخرى.

أولاً: في إشكالية الفهم:

يجمع الباحثون في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية عموماً على أن الإشكالية هي من أكثر المفاهيم غموضاً وأقلها تعريفاً بالمقارنة مع البحوث في مجالات العلوم الطبيعية والفيزيائية، حيث لا تستغني هذه الأخيرة أبداً عن الانطلاق من إشكاليات واضحة ودقيقة لوصف تخصصاتهم أو مجالاتهم البحثية، حيث يرى كلا من " **karl Popper** " و " **Thomas Kohn** " والعديد من الباحثين المهتمين بفلسفة العلوم بأن الباحثين في مجال العلوم الدقيقة هم أكثر وعياً بالإشكاليات التي تطرح في مجال تخصصاتهم، على عكس الباحثين في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية الذين ونتيجة لطبيعة مواضيع بحثهم و طرق وأساليب تنظيمهم وإجراءهم للبحوث، لا يتمتعون بنفس قدرة الباحثين في المجالات العلمية الأخرى في صياغة إشكاليات واضحة ودقيقة لمواضيعهم من جهة ، وتقديم إجابات صريحة لهذه الإشكاليات من جهة أخرى¹، ولعل تحديد إشكالية البحث هو أصعب من إيجاد الحلول لها².

فتحديد الإشكالية البحثية يمثل الخطوة الأولى في الدراسات العلمية، حيث يسعى الباحث إلى معرفة أبعاد الظاهرة التي يسعى إلى دراستها بصورة دقيقة وتحديد كافة المظاهر التي تتجلى فيها المشكلة سواء كانت صعوبات أو نقص أو قصور في المعلومات المتاحة أو تناقض فيما بينها³.

وتعرف الإشكالية بأنها: "جملة استفهامية تسأل عن العلاقة بين متغيرين أو أكثر" وهي أيضاً: "التساؤل البحثي الرئيسي الذي يسعى الباحث إلى الإجابة عنه، ويجب عدم الخلط بينها وبين موضوع البحث والذي يمثل مجالاً عاماً

¹ Andre G ; La notion de problematique en sciences sociales, in communication, et information ,Media

théories,Volume 15, n 02, automne, 1994, p 120

أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، د ب، 2017.²

رقية بوسنان، مشكلة البحث، المفهوم، الصياغة، الخصائص، مجلة الباحث الإعلامي، المجلد 10، العدد 39، 2018 ،

جامعة بغداد، ص 80.³

يتعلق بأحد أبعاد الظاهرة"¹. والواقع أن أغلبية التعاريف المقدمة لهذا المفهوم تتشابه إلى حد كبير، و تتفق جميعها أيضا على ضرورة أن تكون إشكالية البحث ذات دلالة وأصالة وأن تكون قابلة للدراسة، كما يجب أن يقيم الباحث الإشكالية المقترحة على ضوء قدراته وتوفر المعلومات والمتطلبات المادية للمشروع والوقت المتاح والصعوبات الأخرى التي يمكن أن تواجهه².

وهنا يكون على الباحث تحديد موقعه الإستمولوجي تجاه الموضوع المراد دراسته والذي سوف يبرر خياراته المنهجية والأدوات التي اعتمد عليها في بحثه، حيث أن التفكير الإستمولوجي يساعد الباحث على التحرر من القوالب الجاهزة وزوايا النظر الأحادية التي تهيمن على طرق التفكير وإنتاج المعرفة، وإلى الانفتاح على مسارات النقد والتجديد استجابة لحركية العلم وحيويته³، وهذا ما يبرر الاهتمام المتزايد من قبل الباحثين في مجالات البحوث الإنسانية والاجتماعية بمسألة التوقع الإستمولوجي الذي يعتبر الأرضية التي يتم الانطلاق منها لتوجيه الدراسة ككل⁴، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فحتى لو تمكن الباحث من تحديد توقعه الإستمولوجي تجاه المشكلة أو موضوع البحث الذي يسعى إلى دراسته فإن هذا لا يجعله في منأى عن مواجهة العديد من التحديات والصعوبات التي أطلق عليها "غاستون باشلار" ب"العقبات الإستمولوجية" والتي يجب أن تكون دائما صوب عينين الباحث يتوقع مواجهتها في أي مرحلة من مراحل بحثه.

ثانيا: الإشكالية وموقعها في البحوث الإنسانية:

تمثل مسألة طرح إشكالية عدة صعوبات منهجية، وذلك راجع بالأساس إلى غموض هذا المفهوم كما سبق وأشرنا إليه أعلاه، بالإضافة إلى عدم قدرة العديد من الباحثين من ضبط مواضيعهم والانطلاق من إشكاليات محكمة . وفي العلوم الاجتماعية تزداد صعوبة تحديد مشكلة البحث نظرا لتداخل الظواهر والمتغيرات المؤثرة والمتأثرة بالظاهرة محل

محمد محمود ربيع وآخرون، موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت، الكويت، 1994، ص 44¹.

أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، د ب، 2017، ص 86².

³ شهرزاد لمجد، اتصال الأزمات ودوره في إدارة وتسيير المؤسسات الإعلامية العربية، دراسة وصفية تحليلية مقارنة لقناتي الجزيرة والعربية، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2017-2018، ص 61.

نفس المرجع، ص 63⁴.

البحث، وصعوبة تحديد العلاقات التي تربط بين هذه المتغيرات والظواهر¹، بالإضافة إلى تعدد المناهج التي تعتمد عليها هذا النوع من الدراسات وتنوع أدواتها البحثية.

ومسألة تحديد الإشكالية تواجه جميع الباحثين من مختلف التخصصات العلمية لأنها مرحلة مهمة وحساسة يمكن تجاوزها الباحث من المضي في بحثه بسلاسة أكبر، لذلك تحتل مكانة مهمة في البحث العلمي، والمهتمون بدراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية يولون اهتماما كبيرا لمرحلة تحديد الإشكالية نظرا لكونهم دائما تحت مجهر الإستمولوجيا في سعيهم إلى الوصول ببحوثهم ودراساتهم إلى أعلى مستويات الدقة العلمية منهجا وأدواتا و نتائج.

1 - الفرق بين إشكالية البحث وموضوع البحث:

في الكثير من الأحيان يكون السبب وراء مواجهة الباحث لصعوبة في ضبط إشكالية بحثه هو الخلط بين موضوع الدراسة وإشكالية الدراسة فالأمرين مختلفين تماما، فموضوع أو مجال البحث هو أشمل وأعم وهو بداية الباحث للانطلاق تجاه تحديد إشكالية دقيقة، والمجال العام للبحث يرتبط بتخصص الدارس ومجال خبرته. فموضوع أو مجال البحث هو: "حقل معرفي عام يجب دراسته والإلمام به قبل البدء في التنقيب والبحث واختيار وصياغة المشكلات البحثية التي هي غالبا قضية تطبيقية محدودة الزمان والمكان والعلاقات والآثار. فلا يمكن إعداد وصياغة مشكلة البحث إلا بعد مسح المجال العلمي"².

ويعرف موضوع البحث كذلك بأنه: "المجال المعرفي الذي يختاره الباحث، والذي يشكل بالنسبة إليه أرضية صالحة لإثارة الإشكاليات والجواب عنها"³. وهنالك من يعرفه أيضا بأنه: "العنوان الذي يترجم مجال الاهتمام الذي يريد الباحث البحث فيه"⁴.

¹ محمد سيد حمزاوي، اختيار وصياغة مشكلات البحث في العلوم الإدارية والأمنية، ورقة بحث مقدمة للملتقى العلمي الأول: تجويد الرسائل والأطروحات العلمية وتفعيل دورها في التنمية الشاملة والمستدامة، 10-12/10/2011، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، ص 03.

عبيدات ذوقان، البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان، 2003، ص 179.²

محمد الغالي، المختصر في أسس ومناهج البحث في العلوم الاجتماعية، ط1، مكتبة المعرفة، مراكش، 2005، ص 53.³
سعيد سبعون، الدليل المهني في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، ط1، دار القصة للنشر، الجزائر، 2012، ص 9.⁴

فتحديد موضوع الدراسة من قبل الباحث هي من الخطوات المنهجية المهمة للانطلاق في البحث، ويرتبط اختيار الموضوع بجملة من التساؤلات المهمة مثل: لماذا سيتم الاهتمام بهذا الموضوع دون آخر؟ هل المشكل الذي يفكر فيه الباحث هو مشكل حقيقي؟ ما هي جوانب الجدة التي يحملها هذا الموضوع؟ ما هي أهمية هذا الموضوع وما هي صعوباته؟ ما هي النظريات التي وظفت في تناول هذا الموضوع في الدراسات السابقة؟¹

ومن المعايير التي يجب أخذها بعين الاعتبار عند تحديد الإشكالية، نذكر²:

-**التخصص:** والمقصود هنا هو تخصص الباحث ومدى إلمامه بتخصصه العلمي نظريا وعمليا، وأدواته الخاصة، وطرقه و ميادينه ومجالات عمله.

-**حادثة المشكلة:** على الباحث اختيار إشكالية جديدة لم يسبق لأحد دراستها من قبل.

-**الأهمية العلمية:** يجب أن تتمتع الإشكالية المختارة للدراسة بأهمية واضحة في مجال التخصص العلمي الذي ينتمي إليه الباحث.

-**توفر المصادر والمراجع:** ومدى توفر المعلومات والبيانات والمصادر العلمية الدقيقة والحديثة و المتعلقة بموضوع الدراسة، وسهولة الوصول إليها والحصول عليها.

-**توفر الإمكانيات والموارد المادية والبشرية:** حتى تكون هناك إمكانية لدراسة الإشكالية بشكل علمي جاد ودقيق.

2- مستويات إشكالية البحث³:

¹لويذة سعيد، إشكالية طرح إشكالية محكمة (ممنهجة) في العلوم الاجتماعية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 20، جوان 2018، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، الجزائر. ص 183.

نفس المرجع، ص ص 183-184.²

³محمد سيد حمزاوي اختيار وصياغة مشكلات البحث في العلوم الإدارية والأمنية، ورقة بحث مقدمة للملتقى العلمي الأول: تجويد الرسائل والأطروحات العلمية وتفعيل دورها في التنمية الشاملة والمستدامة، 10-12/10/2011، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، ، ص ص 12-13.

كما سبق وأشرنا إليه من قبل، فإن تحديد الإشكالية البحثية يمر بمجموعة من المراحل الأساسية والتي تتشابه بغض النظر عن التخصص أو موضوع البحث، ومن أهم المستويات التي تمر بها عملية الوصول إلى ضبط الإشكالية نجد:

- التعرف على ظاهرة لم تدرس من قبل.

- معرفة سبب أو تفسير ظاهرة معينة إما من خلال السؤال المباشر عن الأسباب أو العوامل أو المتغيرات التي أدت لحدوث هذه الظاهرة، أو بالسؤال عن دور ظاهرة ما في حدوث الظاهرة موضوع البحث.

- توقع أو التنبؤ باتجاهات الظاهرة محل البحث

- التحكم في ظاهرة البحث من خلال تطويرها أو تفعيلها أو تغييرها في الاتجاهات المطلوبة

3-اختيار إشكالية البحث:

قد يكون لدى الباحث موضوع يثير اهتمامه يسعى إلى تناوله بالدراسة، لكن لما يصل إلى مرحلة تحديد الإشكالية يجد نفسه أمام عقبة ليس من اليسير تجاوزها، حيث يكون مضطرا إلى تحديد توقعه الإستيمولوجي بالمقارنة مع كل الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع والإشكاليات التي انطلقت منها، لذلك هنالك جملة من الاعتبارات التي يجب الاهتمام بها عند اختيار إشكالية البحث والتي من شأنها أن تسهل على الباحث تجاوز هذه المرحلة بيسر أكثر¹:

- الاستعانة بآراء الأكاديميين والخبراء في مجال البحث في مجال البحث للمساعدة على توضيح الطرق الصحيحة الواجب إتباعها عند تناول المشكلة، وهذا من شأنه أن يوفر على الباحث الكثير من الوقت والجهد.

- الاطلاع على البحوث والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث، لأنها تعرف الباحث بما توصل إليه الباحثون قبله حول الموضوع، حيث يجب أن ينطلق الباحث في إشكاليته من حيث توقف باحثون آخرون.

- مراعاة الوقت اللازم لحل الإشكالية والانتهاء من البحث، فليس على الباحث أن يقحم نفسه في مواضيع وإشكاليات يصعب التحكم فيها أو تأخذ وقتا أكثر من المطلوب في دراستها.

¹ رقية بوسنان، مشكلة البحث، المفهوم، الصياغة، الخصائص، مجلة الباحث الإعلامي، المجلد 10، العدد 39، 2018 ، جامعة بغداد، ص ص 87-88.

- التأكد من حداثة الإشكالية ومن عدم دراستها من قبل باحثين آخرين.

- التعرف على الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ينمن أن تحيط بإشكالية البحث، من أجل الأخذ بعين الاعتبار الصعوبات التي قد يواجهها الباحث خلال إجراءه للدراسة وأسلوب مواجهة تلك الصعوبات ومدى قدرتها على التأثير في نتائج الدراسة مستقبلا.

ثالثا: موقع الإستيمولوجيا من تقنيات إدراك المشكلة:

1- في ماهية الإستيمولوجيا:

توصف الإستيمولوجيا على أنها نوع من الدراسات التي تتخذ المعرفة عامة والفكر العلمي خاصة موضوعا لها¹، وينظر إلى الإستيمولوجيا على أنها نسق من المعتقدات الفلسفية التي تتناول من بإمكانه أن يكون عارفا وما الذي بالإمكان معرفته، وبجانب تساؤل الإستيمولوجيا عن بإمكانه أن يكون عارفا وعما بالإمكان معرفته، فإنها تعالج طريقة خلق المعرفة، وتقوم الأسئلة، والمسلمات، والاعتقادات التي يجلبها معه الباحث إلى العملية البحثية سواء ما كان منها شعوريا أو لا شعوريا، فهي تقوم بدور الأساس المبدئي لأي نظرية إستيمولوجية².

ولفظ الإستيمولوجيا لم يكن معروفا ولا مستخدما حتى مطلع القرن العشرين، حيث ورد لأول مرة في ملحق معجم لاروس عام 1906، وقد خلت منه تماما المعجم والقواميس التي ظهرت قبل هذا التاريخ، والثابت تاريخيا أن أول من استخدم هذا اللفظ "إستيمولوجيا" هو J.F. Ferrier في كتابه Institutes of metaphysics والذي صدر عام 1854³.

2- تعريف الإستيمولوجيا:

من أهم التعريفات التي تناولت هذا المفهوم، تعريف "اللاندا" في معجمه الفلسفي المشهور، حيث يقول: "تعني هذه الكلمة فلسفة العلوم ولكن بمعنى أكثر دقة: فهي ليست الدراسة الخاصة لشتى المناهج العلمية، لأن موضوع هذه

جنان محمد أحمد، الإستيمولوجيا المعاصرة وبنائية تشكيل فنون ما بعد الحداثة، ط1، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص 123.

² شارل هس بيير، باتريشيا ليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة، هناء الجوهرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011، ص ص 88-89.

روبير بلانشيه، نظرية المعرفة العلمية (الإستيمولوجيا)، ترجمة، حسن عبد الحميد، مطبوعات الجامعة، الكويت، 1986، ص 7.

الدراسة هو علم مناهج البحث وهو جزء من المنطق، كما أنها ليست أيضا تأليفا واستباقا حدسيا للقوانين العلمية (على طريقة الفلسفة الوضعية). إنها -أساسا- ذلك البحث الذي يعالج معالجة نقدية مبادئ العلوم المختلفة وفروعها ونتائجها بهدف التوصل إلى إرساء أساسها المنطقي، كما أنها تنشئ تحديد قيمة هذه العلوم ودرجة موضوعيتها".¹

أما "بياجيه" فيرى بأن الإيستمولوجيا هي: " تحليل المعرفة استنادا إلى غاياتها الخاصة ومن خلاله إطارها الخاص"، وهي: " دراسة المعارف الصالحة، وتحتم أساس بالأسئلة التالية: ما هي المعرفة؟ وكيف تطورت؟ وما هي قيمتها؟ وتتدخل العمليات الإيستمولوجية لتحديد مهمتها بالكشف عن مصدر الأدوات العقلية المجردة وقيمتها ومدى فعاليتها في اكتشاف حقيقة الواقع المادي".²

لقد اتخذ مصطلح الإيستمولوجيا عبر تاريخ استخدامه العديد من الدلالات، وانتهى إلى معناه المعاصر بكونه: " الدراسة النقدية للمعرفة العلمية، وفيه اتجهت الإيستمولوجيا إلى تحدي الأسس التي يركز عليها العلم والخطوات التي يتألف منها، وإلى نقد العلوم والعودة إلى المبادئ العميقة".³

3- خصائص الإيستمولوجيا:

- تقول "لينا سوليير" بأن: " الإيستمولوجيا تساءل طبيعة وقيمة مبادئ، ومفاهيم، ومناهج، ونتائج العلوم، وهذا بمنحها خاصيتين بارزتين⁴:
- إنها خطاب تدبري: بمعنى خطاب يسقط نفسه على العلوم، فالإيستمولوجيا بهذا تفترض إذا بشكل مسبق وجود العلم وتأتي بالضرورة واللزوم بعده.
- هي خطاب نقدي: فهي لا تكتفي بوصف العلوم بدون محاكمتها،
- إنها تعمل فوق كل ذلك على مناقشة سلامة تأسيس المقترحات الفكرية والمناهج العلمية ومداه.

نفس المرجع، ص 8.¹

جنان محمد أحمد، الإيستمولوجيا المعاصرة وبنائية تشكيل فنون ما بعد الحداثة، ط 1، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص 13.²

نفس المرجع، ص 23.³

عبد القادر لورسي، الدليل في الإيستمولوجيا وتدریس العلوم، دار جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص 21.⁴

4 - مساعي الإستمولوجيا وإدراك المشكلة في الدراسات الإنسانية:

يلتقي التفكير الإستمولوجي في ملتقى عدة مساعٍ تهدف أساساً إلى إكساب البحوث والدراسات الصبغة العلمية عبر مختلف المراحل التي يمر بها البحث، بداية من اختيار موضوع البحث و إدراك المشكلة التي يقرر الباحث معالجتها والوصول إلى حلول لها، وهذا لن يتم بالشكل المطلوب دون الأخذ بعين الاعتبار مساعي الإستمولوجيا التي يمكن أن نحددها على الشكل التالي¹:

- مسعى ذو نمط فلسفي: يدرس بكيفية نقدية أسس المعرفة والمناهج العلمية التي تتساءل عن الأصح فيما يخص شروط الوصول إلى الحقيقة والتي تتساءل أيضاً حول القواعد المنطقية المستخدمة من طرف العقل الإنساني.

- مسعى ذو نمط علمي: يتساءل في نطاق المجال المادي الخاص مثلاً فيزياء، بيولوجيا، تاريخ، لسانيات، وعن العمليات والكيفيات المطلوب استخدامها لإنتاج معارف علمية وحيية، صادقة ومعترف بها من طرف الجماعات العلمية ذات المرجعية.

- م سعى يهتم أساساً بالبعد الإنساني: لبناء المعارف العليمة، يتساءل عن التأثيرات التي يمكن أن يحدثها السياق التاريخي والسياق الاجتماعي الثقافي وشخصية الباحث، على النشاط العلمي نفسه، وهي انشغالات تعود بشكل عام إلى تاريخ العلوم وعلم الاجتماع وإلى علم النفس.

وإلى جانب المساعي سابقة الذكر، تقترح الإستمولوجيا أربعة حقول محددة للتحليل والتفكير تعتبر بمثابة علامات يهتدي بها الباحث خلال عمله، هي²:

- طبيعة وبنية المفاهيم والنظريات العلمية، مما نسميه أحياناً تركيب النظريات
- موضوع ونطاق ومعنى المفاهيم والنظريات العلمية، وهو ما نسميه سيمياء دلالة النظريات
- المنهج العلمي
- حدود وقيمة المشروع العلمي

نفس المرجع، ص 23.¹

² شهرزاد لمجد، اتصال الأزمات ودوره في إدارة وتسيير المؤسسات الإعلامية العربية، دراسة وصفية تحليلية مقارنة لقناتي الجزيرة والعربية، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2017-2018، ص 62.

رابعا: التموّج الإستمولوجي للباحث ومواجهة العقبات الإستمولوجية

1- التموّج الإستمولوجي للباحث في العلوم الإنسانية :

التموّج الإستمولوجي هو الإطار العام المرجعي أو الباراديغم الإستمولوجي للمعرفة الذي يتخذه الباحث إطارا مرجعيا في البحث، حيث أن التموّج الإستمولوجي الذي يختاره الباحث هو الذي يوجه فكره وأفعاله وأدواته المنهجية¹.

إن التموّج الإستمولوجي يجعل الباحث مضطرا إلى مواجهة العديد من العقبات وتجاوزها والتي أطلق عليها "غاستون باشلار" "العقبات الإستمولوجية" وهي العوائق التي من شأنها أن تصعب من مهمة الباحث والتي يجب تجاوزها من أجل تحقيق التقدم العلمي، لكن "باشلار" ربط هذه العقبات بمفهوم آخر من الضروري على الباحث أخذه بعين الاعتبار هو "القطيعة الإستمولوجية" وهي من أكثر المفاهيم شهرة لما نكون بصدد البحث في مواضيع الإستمولوجيا وتطوير البحث العلمي، ذلك أن القطيعة الإستمولوجية هي مرحلة حاسمة في مراحل الدراسة يكون الباحث مضطرا للمرور بها إذا أراد إضفاء الصبغة العلمية على بحوثه خاصة في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

والتساؤل الإستمولوجي أصبح عبارة عن ضرورة تطرح في أي مشروع بحثي، لأن الغرض منه هو تطوير المعارف والتساؤل عما تكون المعرفة والإشكاليات التي تنطلق منها، والفروض الأساسية التي تستند إليها، والمناهج والأدوات التي تستخدمها²، فإذا كان لزاما على العلوم الاجتماعية الاهتمام بمسائل المنهج، فهذا لا يلغي ضرورة أن تطرح هذه العلوم قضايا إستمولوجية تم إغفالها من طرف فلسفة العلوم . فكل تخصص لديه تساؤلاته الإستمولوجية الخاصة به، ورؤيته الخاصة للمعرفة العلمية، طبيعته، حدوده وإمكاناته، ومفهومه في التجربة الإنسانية، وعلاقة هذه المعرفة بالمعرفة العامة، وما الذي يميز هذا العلم عن باقي أنواع المعرفة الأخرى .

¹ سعيد لوصيف، التفكير المنهجي في الظواهر الاتصالية: التعقيد، التجاسر المعرفي بين التخصصات والتموّج

الإستمولوجي،، في نصر الدين لعياضي، التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري: التموّجات الإستمولوجية والتقاطعات المعرفية، مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية و الثقافية في الجزائر، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2016.

² شهرزاد لمجد، اتصال الأزمات ودوره في إدارة وتسيير المؤسسات الإعلامية العربية، دراسة وصفية تحليلية مقارنة لقناتي الجزيرة والعربية، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2017-2018، ص 63.

فكل علم لديه ذاكرته الخاصة به تضم كل من مواقع نجاحه كما مواقع فشله، مراحل الاستقرار التي شهدتها تلك التي حقق فيها انجازات ثورية والتي تمثل هوية هذا العلم التي تنطلق منها الإشكالات التي يطرحها، والعلوم الاجتماعية تتراكم فيها كل أنواع الجدل المتعلقة بالمنهج والأدوات البحثية المستخدمة والمقاربات الكمية والكيفية.

وأهم الإشكاليات البحثية التي تأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الإستمولوجية للعلم، هي تلك النابعة من هذا التراكم وتلك الجدالات التي تشكل المعرفة في العلوم الاجتماعية.

ومن أهم الإشكالات التي تواجه الباحثين خلال مختلف مراحل البحث خاصة مرحلة تحدي التوقع الإستمولوجي من الظاهرة المراد دراستها مقارنة بما سبق نجد ما أطلق عليه "غاستون باشلار" بـ "العقبة الإستمولوجية" والتي من الضروري التمكن من تجاوزها حتى يمضي البحث قدما، ومن الضروري أكثر هو أن يكون الباحث على درجة كافية من المعرفة بموضوع بحثه وبالعقبات التي من الممكن أن تواجهه خاصة في مرحلة تحدي إشكالية بحثه.

2- في ماهية العقبة الإستمولوجية:

إن ابتكار "باشلار" لهذا المفهوم الفلسفي جاء نتيجة لعدم تقبله فكرة أن التاريخ كما يقدمه البعض هو تراكم متدرج ومعقد للأفكار واستبدل هذه الفكرة بفكرة أخرى تقول بأن التاريخ يتقدم بالتغلب على الجهل والأخطاء التي تزيد من غموض المشكلات التي يحاول العقل التغلب عليها .

2-1 تعريف العقبة الإستمولوجية:

يوضح "باشلار" مفهوم العقبة الإستمولوجية كالتالي: أننا حينما نبحث عن الشروط النفسية التي تصاحب التقدم العلمي فإنه سرعان ما تترسخ في أذهاننا هذه الفكرة و هي انه إذا ما أردنا فهم المعرفة العلمية فإنه يجب علينا أن ندرسها في صورة عقبات معرفية . ولا نعني بهذه العقبات المعرفية العقبات الخارجية التي تتمثل في تعقد الظواهر وتلاشيها السريع وكذلك ضعف قدرات العقل الإنساني بل نعني بها تلك العقبات التي ترتبط ارتباطا عضويا داخليا

بفعل المعرفة نفسه و يمكننا أن نستخرج من فعل المعرفة الأسباب التي تؤدي تارة إلى ركودها وتارة أخرى إلى انتكاسها وهذا هو ما نطلق عليه لفظ العقبة الإستمولوجية¹.

إنها عبارة عن عوائق تكمن في عملية المعرفة ذاتها والتي هي مراحل النكوص والتباطؤ والاضطراب تظهر عبر مسيرة تكون الفكر العلمي في المرحلة ما قبل علمية بنوع من الضرورة الوظيفية، فالمعرفة العلمية هي التي تنتج بذلتها عوائق إستمولوجية، والعائق الإستمولوجي بهذا المعنى يصبح عرض اضطراب في العمل العلمي، وهو خطوات وميكانيزمات علمية طبيعية تخفي العوائق الإستمولوجية، فالعائق الإستمولوجي يقع على مستوى إشكالية العصر ومستوى المعرفة العلمية في كل فترة تاريخية بأكملها².

لا يمكن أن يكون هناك عمل علمي دون أن تكون هناك عوائق إستمولوجيا

2-2 أهم العقبات الإستمولوجية التي تواجه الباحثين :

خلال تقدم العلم وتطوره تظهر مع هذا التطور عوائق معرفية من صميم المعرف نفسها، ولابد من تجاوز هذه العقبات في عملية تكوين العقل العلمي وذلك من خلال الكشف عنها ومعرفتها، ويرى "غاستون باشلار" أن من أهم العقبات الإستمولوجية³:

- **عقبة الاختبار الأول:** إن العقبة الأولى التي تقف أمام تكوين العقل العلمي هي عقبة الاختبار الأول، اختبار الموضوع قبل النقد وفوق النقد الذي يعتبر عنصرا من عناصر القول العلمي، والاختبار الأول هو المعرفة الحسية المباشرة بالشيء من خلال ما تمدنا به الحواس من معطيات في عملية اتصالها بالطبيعة الخارجية، وهذه المعرفة غير خاضعة لأي تفكير نقدي، بحيث تكون معرفة علمية عامة غير دقيقة لتشكل عائقا أمام العقل العلمي ومن الضروري تجاوز هذا العائق من خلال استخدام النقد والتفكير النقدي في المعرفة وفي هذا العائق من أجل تجاوزه والبحث عن عوائق أخرى .

روبير بلانشيه، نظرية المعرفة العلمية (الإستمولوجيا)، ترجمة، حسن عبد الحميد، مطبوعات الجامعة، الكويت، 1986، ص 25¹.

إبراهيم رزوق، إستمولوجيا العلوم الاجتماعية ومناهجها العلمية، مديرية الكتب والمطبوعات، جامعة تشرين، 2006-2005، ص 340².

² إبراهيم رزوق، علاء ناصر، مفهوم العقبة الإستمولوجية عند غاستون باشلار وأشكالها الأساسية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 40، العدد 1، 2018، ص ص 360-375.

- **عقبة التعميم:** التعميم حسب "باشلار" يشكل عائقا إبستمولوجيا أما تكوين العقل العالمي، فلم يوقف حسبه عجلة تقدم المعرفة العلمية سوى ما أطلق عليه بعقيدة العامة الباطلة، حيث ثمة خطر في المتعة الفكرية لدى البشر بالتعميم السريع والبسيط وهذا يقود إلى تعميمات سيئة تبقى في عقول البشر مدة طويلة من الزمن. وعلى سبيل المثال نذكر : التعميم بأن الأجسام كلها تسقط إلى الأرض، على الرغم من أنه في الواقع هناك أجسام لا تسقط إلى الأرض مثل الدخان والبخار لا، ها خفيفة، بينما الأجسام الثقيلة هي التي تسقط، إلا أن العلماء قالوا بأن الأجسام كلها دون استثناء تسقط إلى الأرض وهذا التعميم متسرع.

- **العقبة اللفظية:** هناك بعض العادات اللفظية التي هي بمثابة عقبات أما تطور الفكر العلمي من حيث أنها: "إحدى أهم المشكلات التي على العقل العلمي التغلب عليها لكي يتمكن من واقعه وتحديد مناهجه.

ويشبه "باشلار" المعرفة العامة بالإسفنجة التي تمتص جميع المعارف العمومية والشائعة دون إخضاعها لاختبار نقدي علمي لكي تصبح معرفة علمية، بالتالي تبقى المعرفة العلمية في حالة امتصاص لكل ما يأتي من معارف عامة حتى تمتلئ مثل الإسفنجة وتصبح غير قابلة للضغط، حيث يتم بعدها إخضاع كل تلك المعارف إلى الفحص العملي أو الاختبار العلمي وقياسها بالمقاييس والقوانين العلمية .

- **عقبة المعرفة الموحدة أو المنفعية:** تقوم على تعميمات ذات أساس منفعي، وتشكل الوحدة عائق إبستمولوجي معرفي لأنها مؤسسة على عامل المنفعة الذي يقوم على أساسه التعميم . بالتالي فإن الفكر الذي يسعى إلى أن يوجد تفسير الظواهر وأن يقدم معرفة عامة فيعطي الأولوية للتعميم على مراعاة اختلاف وتنوع الظواهر سيتحول مسعاه هذا إلى عائق معرفي.

- **عقبات المعرفة الكمية:** إن المعرفة المباشرة مغلوطة نوعا ما لأنها كيفية، وتقدم معرفة خاطئة يجب تصحيحها عندما تشحن الموضوع بانطباعات ذاتية حتما وبالتالي لا مفر من تحرير المعرفة الموضوعية من هذه الانطباعات . فالمعرفة المباشرة هي ذاتية من أساسها إذ أنها تعتبر الواقع هو المصدر الوحيد لها، وهي بذلك تقدم تأكيدات من شأنها أن تعيق المعرفة الموضوعية أكثر مما تخدمها . وهذا لا يعني هنا استثناء المعرفة الكمية، فهي أيضا ليست موضوعية تماما.

وإن ما يعيق الفكر العلمي المعاصر هو التصاقه بالحدوس الشائعة التي تخلو من الموضوعية العلمية، ولا بد للعقل العملي من أن يجمع بين المرونة والدقة، وبالتالي يكون قادرا على أن يستعيد جميع بناءاته عندما يتناول مجددا

ميادين جديدة وأن لا يفرض في كل مكان شرعية المقدار الكمي المؤلف، حيث أن ما يجعل المعرفة الكمية غير موضوعية هو غياب أداة القياس الدقيقة ، وبالتالي فبقدر ما تزيد دقة الأدوات ستكون حصيلتها العلمية أفضل تحديدا وتصبح المعرفة الموضوعية ممكنة بقدر ما تصبح الوسيلة وأداة القياس دقيقة.

خامسا: القطيعة الإستيمولوجية في سبيل تحقيق توقع إستيمولوجي للباحث :

تطور المعرفة العلمية لا يستند دائما على نفس المفاهيم التي تحملها التطورات العلمية في عصر من العصور أو في فترة من فترات تطورات العلم، بل إنه تطور يستند على إعادة بناء المفاهيم والتصورات والنظريات العلمية وإعادة تعريفها وإعطائها مضمونا جديدا¹.

المقصود بالقطيعة الإستيمولوجية أننا لا يمكن أن نجد أي ترابط أو اتصال بين المعارف القديمة والجديدة، حيث أن ما قبل وما بعد يشكلان عالَمين من الأفكار كل منهما غريب عن الآخر فهناك اختلاف جذري بين ما قبل القطيعة وما بعدها.

وتأتي الإستيمولوجيا بمعنى رفض التسليم بما هو سائد ومعتاد عليه لصالح ما لم يتم التطرق عليه، حيث أن تطور العلم يهدم المبادئ العلمية الراسخة التي كان ينظر إليها كمبادئ أساسية في العلم، لكن يجب أن ننتبه إلى أن العلم في تطوره وتقدمه لا يهدم المبادئ الأساسية التي أثبتت صحتها تجريبيا، حيث يتم النظر إلى هذه المبادئ على أنها ضرورية ولا غنى عن الاستفادة منها واستخدامها في المبادئ العلمية الحديثة².

ولكل مرحلة علمية خصائصها وسماتها، حيث يرفض "باشلار" أن يكون هناك استمرارية بين المعرفة الحسية والعامة من جانب والمعرفة العلمية من جانب آخر، كما يرفض أن يكون ثمة استمرارية بين الفكر العلمي القديم والفكر العلمي المعاصر ، فالقطيعة الإستيمولوجية هي الانتقال مما هو سائد ومتعارف عليه تقليديا والتفكير به بطريقة مختلفة والوصول إلى مفاهيم ومبادئ جديدة تنفصل عما كان سائدا لتعود مرة أخرى إلى هذه المعرفة وتظهر من خلالها عوائق إستيمولوجية جديدة وهكذا دواليك.

محمد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، دار الطليعة، بيروت، 1982، ص 37.

إبراهيم رزوق، علاء ناصر، مفهوم العقبة الإستيمولوجية عند غاستون باشلار وأشكالها الأساسية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 40، العدد 1، 2018، ص 361.

والقطيعة الإستمولوجية هي الانتقال مما هو سائد ومتعارف عليه تقليديا والتفكير به بطريقة مختلفة أو بطريقة لم نفكر فيها أصلا والوصول إلى مفاهيم و أسس جديدة تنفصل عما كان سائدا لتعود مرة أخرى هذه المعرفة وتظهر من خلالها عوائق ابستمولوجية جديدة وهكذا دواليك.

و مما سبق يمكن القول بأن إحداث قطيعة مع سبق قد يكون هو الحل الوحيد أمام الباحث لكي يتمكن من إدراك الظواهر الإنسانية والاجتماعية بشكل مختلف عمن سبقوه، والانطلاق من إشكاليات قادرة على الخروج بنتائج مختلفة وتقديم منطلقات جديدة للباحثين مستقبلا . كما أن القطيعة تمكن الباحث من تجاوز الكثير من العقبات والصعوبات التي قد تواجهه خلال مختلف مراحل البحث.

والواقع أن مختلف مراحل البحث تكتسي نفس الأهمية مثل تحديد الموضوع وإدراك المشكلة، لكن تبقى للإشكالية ميزة خاصة وهي كونها حجر الأساس الذي سوف يبنى عليه البحث انطلاقا من التساؤلات ووصولاً إلى النتائج.

خاتمة:

إن من الإشكاليات الأساسية التي تواجه الباحثين في العلوم الإنسانية تصعب عليهم عملية تحديد توقعهم الإستمولوجي تجاه الظاهرة المراد دراستها هي إشكالية الفصل بين الذات والموضوع، فالإنسان في هذه العلوم هو الباحث وموضوع البحث في الوقت نفسه، على عكس العلوم الطبيعية حيث يكون الباحث خارج الظاهرة التي يلاحظها ويتناولها بالدراسة . ويواجه الباحث في العلوم الإنسانية إشكالات متعلقة بموضوع الدراسة وبالظروف المتغيرة المحيطة به، كما أن الحياة الإنسانية والاجتماعية عموما تتميز بالتعقيد وبصعوبة التنبؤ بها وإصدار الأحكام حولها. وترجع أهمية الاقتراب الإستمولوجي في الدراسات الإنسانية إلى إضفاء طابع العلمية عليها إشكالية ومنهجها وأدواتا ونتائجها، من أجل الوصول قدر الإمكان إلى مستوى علمية العلوم الطبيعية .

قائمة المراجع

- 1- إبراهيم رزوق، ابستمولوجيا العلوم الاجتماعية ومناهجها العلمية، مديرية الكتب والمطبوعات، جامعة تشرين، 2005-2006.

- 2- إبراهيم رزوق، علاء ناصر، مفهوم العقبة الاستمولوجية عند غاستون باشلار وأشكالها الأساسية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 40، العدد 1، 2018.
- 3- أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، د ب ن، 2017.
- 4- جنان محمد أحمد، الاستمولوجيا المعاصرة وبنائية تشكيل فنون ما بعد الحداثة، ط1، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.
- 5- رقية بوسنان، مشكلة البحث، المفهوم، الصياغة، الخصائص، مجلة الباحث الإعلامي، المجلد 10، العدد 39، 2018، جامعة بغداد.
- 6- روبر بلانشيه، نظرية المعرفة العلمية (الاستمولوجيا)، ترجمة، حسن عبد الحميد، مطبوعات الجامعة، الكويت، 1986.
- 7- سعيد سبعون، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، ط1، دار القصة للنشر، الجزائر، 2012.
- 8- سعيد لوصيف، التفكير المنهجي في الظواهر الاتصالية: التعقيد، التجاسر المعرفي بين التخصصات والتموقع الاستمولوجي، في نصر الدين ليعاضي، التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري: التموقعات الاستمولوجية والتقاطعات المعرفية، مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية و الثقافية في الجزائر، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2016.
- 9- شارل هس بيير، باتريشيا ليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة، هناء الجوهري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011.
- 10- شهرزاد لجد، اتصال الأزمات ودوره في إدارة وتسيير المؤسسات الإعلامية العربية، دراسة وصفية تحليلية مقارنة لقناتي الجزيرة والعربية، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2017-2018.
- 11- عبد القادر لورسي، الدليل في الاستمولوجيا وتدريس العلوم، دار جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.
- 12- عبيدات ذوقان، البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان، 2003.
- 13- لويزة سعيد، إشكالية طرح إشكالية محكمة (منهجية) في العلوم الاجتماعية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 20، جوان 2018، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، الجزائر.
- 14- محمد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، دار الطليعة، بيروت، 1982.

- 15- محمد الغالي، المختصر في أسس ومناهج البحث في العلوم الاجتماعية، ط1، مكتبة المعرفة، مراكش، 2005.
- 16- محمد سيد حمزاوي، اختيار وصياغة مشكلات البحث في العلوم الإدارية والأمنية، ورقة بحث مقدمة للملتقى العلمي الأول: تجويد الرسائل والأطروحات العلمية وتفعيل دورها في التنمية الشاملة والمستدامة، 10-2011/10/12، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية.
- 17- محمد محمود ربيع وآخرون، موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت، الكويت، 1994
- 18-Andre Gosselin ; La notion de problématique en sciences sociales ; in communicatio, et informatio,Media théories,Volume 15 n 02, automne, 1994

التناول الاعلامي لقضايا التوعية الصحية من خلال البرامج الصحية لإذاعة بومرداس المحلية

دراسة مسحية تحليلية لبرامج صحية خلال الفترة (2016-2017)

الأستاذة : فتيحة أمرار جامعة البليدة2

المخلص:

إن التثقيف الصحي الذي نقصد به (تلك العملية ذات الابعاد الفكرية و النفسية و الاجتماعية و التي تتعلق بالنشاطات التي تزيد من قدرة البشر على اتخاذ قرارات معلنة تؤثر في صحتهم و صحة عائلاتهم ومجتمعهم) ، و الوعي الصحي في كافة مجالاته بين أفراد المجتمع ذو أهمية بالغة مرتبطة بحياة الإنسان وصحته وسلامته، فالإنسان لا يستطيع المحافظة على صحته، إذا لم تكن لديه الثقافة والوعي الصحي اللازمان لذلك، لذا فإنه من الضروري بذل الجهود الجماعية على كافة المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، لنشر التثقيف الصحي من خلال توعية الجمهور، وتنمية شعورهم، وإحساسهم تجاه أهمية تنمية مداركهم إزاء قضايا الصحة.

و وسائل الإعلام تستطيع القيام بهذا الدور لما لها من تأثير واضح وفعالٍ على الإنسان وسلوكياته، فعليها يقع عبءٌ كبيرٌ في تثقيف الجمهور وإشعار كل فردٍ بمسئوليته تجاه صحته وصحة من يرعاهم. كما تستطيع حث الأفراد على التعاون مع المؤسسات والهيئات والمنظمات الصحية المحلية والإقليمية والعالمية ، وبما ان الوعي الصحي كما لاحظنا ذلك في الواقع ينخفض كثيرا في المناطق الريفية، و ذلك من كثرة الامراض الخطيرة المنتشرة في مثل هذه المناطق و خاصة الامراض التي يسببها التلوث بأنواعه المختلفة، ويعود ذلك بشكل اساسي لقلة وعي المواطن بسبل الحفاظ على صحته، نتيجة عدم اكتسابه لثقافة صحية ربما لسبب جهله، او لقلة المعلومات التي يتلقاها في مجال الصحة، فان أقوى وسيلة إعلامية قادرة على نشر الوعي الصحي هي إذاعته المحلية، كون هذه الوسيلة الاعلامية تتخطى حاجز الأمية وتبني مشاكل المجتمع المحلي واهتماماته، من هنا جاء الاحساس بأهمية إجراء هذا البحث الذي يستهدف، دراسة التناول الاعلامي لقضايا الصحة في الاذاعات المحلية، ومن هنا يمكننا ان ندرس هذا الموضوع من خلال التطرق لتحليل مضامين برامج التوعية الصحية التي تبث في إذاعتي البويرة وبومرداس المحليتين للوقوف على مستوى التناول الاعلامي لمثل هذه القضايا التي تم المجتمع بالدرجة الاولى.

Résumé

L'éducation sanitaire que nous entendons (ce processus qui a des dimensions intellectuelles, psychologiques et sociales et qui se rapporte à des activités qui augmentent la capacité humaine à prendre des décisions annoncées qui affectent leur santé et la santé de leurs familles et de leur communauté), et la sensibilisation à la santé dans tous ses domaines parmi les membres de la société est extrêmement importante. Lié à la vie humaine, à la santé et à la sécurité, car une personne ne peut pas préserver sa santé si elle n'a pas la culture et la sensibilisation à la santé nécessaires pour cela, il est donc nécessaire de faire des efforts collectifs à tous les niveaux, local, régional et mondial, pour diffuser l'éducation à la santé en éduquant le public, en développant ses sentiments et son sens envers. L'importance de développer leur sensibilisation aux problèmes de santé.

Et les médias peuvent jouer ce rôle car il a un impact clair et efficace sur une personne et ses comportements. Il a un lourd fardeau d'éduquer le public et d'informer chaque individu de sa responsabilité envers sa santé et celle de ses soignants. Vous pouvez également exhorter les individus à coopérer avec les institutions, organes et organisations de santé locaux, régionaux et internationaux, et comme la sensibilisation à la santé, comme nous l'avons remarqué, diminue en fait beaucoup dans les zones rurales, et cela est dû au grand nombre de maladies graves qui se propagent dans ces

zones, en particulier les maladies causées par la pollution de divers types, Cela est principalement dû au manque de sensibilisation du citoyen aux moyens de préserver sa santé, en raison de son manque de culture saine, peut-être en raison de son ignorance, ou du manque d'informations qu'il reçoit dans le domaine de la santé, car le média le plus puissant capable de diffuser la sensibilisation à la santé est sa radio locale, car ce média surpasse un pèlerin L'analphabétisme et adopte les problèmes de la communauté locale et ses intérêts, d'où le sens de l'importance de mener cette recherche qui vise à étudier la couverture médiatique des problèmes de santé dans les émissions locales, et à partir d'ici, nous pouvons étudier ce sujet en examinant une analyse du contenu des programmes de sensibilisation à la santé qui sont diffusés dans la station locale de Boumerdes. Au niveau de la couverture médiatique de ces questions qui préoccupent au premier en premier lieu la société.

المقدمة:

اصبحت التوعية الصحية قضية لا مفر منها مع تفاقم الامراض التي تفتك بالإنسان، خاصة في عصرنا الحالي. هذا وقد بينت الابحاث والدراسات الطبية ان بعض السلوكيات والعادات وانماط العيش الصحية يمكن ان تقلل من احتمال اصابة الانسان بالكثير من الامراض خاصة امراض القلب والسرطان والضغط والسكر.

كما ان التوعية الصحية تلعب دوراً هاماً في توعية المجتمع عن كيفية الوقاية من الامراض عن طريق الحث والعمل على تغيير السلوكيات والعادات غير الصحية الى اخرى صحية وتعتبر افقر الفئات في المجتمع هم اكثرهم حاجة للتوعية الصحية لوقايتهم من الامراض، خاصة تلك التي تحتاج الى نفقات باهظة مثل امراض القلب والاسنان.

و وسائل الإعلام تعتبر مصدرا مهما من مصادر المعلومة الصحية لغير المتخصصين، حيث تشير الأبحاث العلمية إلى أن هذه المصادر يمكن أن تزيد من مستوى الوعي بالمشاكل الصحية عند الجمهور بل قد تساعد في تبني الممارسات الصحية الجيدة، و تعد الاذاعة المحلية من احسن الوسائل الاعلامية للقيام بمهمة التوعية عامة والتوعية الصحية خاصة، و تعد علاقة الاذاعة بالتوعية الصحية من موضوعات الإعلام الصحي الوقائي، الذي يهدف الى خلق وعي صحي ووقائي عام.

لكن لكي نصل الى خلق جمهور واع صحيا، يجب الاهتمام إعلاميا بالقضايا الصحية، ومنحها أولوية على غرار البرامج الرياضية، و السياسية، و الاقتصادية، لذلك فهذه الدراسة تركز على كشف اهتمام الاذاعة المحلية كونها الوسيلة الاعلامية الأكثر قربا من جمهورها، بقضايا التوعية الصحية، من خلال معرفة عناصر الابرار المستعملة في معالجة المواضيع الصحية، المواضيع التي تناولتها إذاعة بومرداس، معرفة طبيعة مقدمي البرامج الصحية، مصادر المضامين الصحية لإذاعة بومرداس.

مقومات تناول الاعلامي للقضايا الصحية:

1. المواضيع الصحية:

- أ- **المواضيع الاعتيادية:** وتمثل مختلف المواضيع العادية والتي لا تمتلك معالجتها أية رهانات ولا تتجاوز حدود الوظيفة الإخبارية البحتة. كما انها غير مرتبطة بالضرورة بعامل الآنية أي ليست متقدمة، تتوقف مهام الصحفي هنا على نقل الأخبار، وهي أساسا معارف ومعلومات طبية، تصنف المضامين والمعطيات المعالجة في المقالات الصحية حسب الوظيفة المرجعية المهيمنة فيها إلى مجموعة محدودة من المواضيع.¹
- ب- **الإعلام المؤسسي:** تختار هذه المواضيع بالتركيز على نشاطات وأخبار المؤسسات الصحية الطبية والإدارية، مراكز البحث الطبي، كليات الطب، المرافق الاستشفائية وإدارات وفروع الوصاية. تلخص مهام الصحفي في الأساس هنا على تغطية أفعالها ونشاطات ومعالجة رسائلها الاتصالية ووثائقها.

❖ إعلان نتائج البحوث .

❖ متابعة الهيئة الطبية.

❖ تغطية التظاهرات العلمية.

❖ تغطية برامج التوعية.

¹ - أديب، خضور.: " الإعلام المتخصص"، (دط)، المكتبة الإعلامية، دمشق، 2003، ص:30.

❖ تبسيط مقالات علمية.

❖ شرح قرارات الوصاية الصحية.

ج- الإعلام المناسب :

يدل التخصيص والترسيم لهذه المناسبات على الأولوية التي توليها السلطات الوطنية والمنظمات الدولية للصحة بصفة عامة ولفئات المرضى بصفة خاصة. وهذا ما يتجلى في الأعياد الوطنية والدولية لفئات المرضى خاصة المزمنين منهم وللتخصصات الطبية. تسمح هذه المناسبات الدورية بتوفير مجموعة من المواضيع الروتينية.

❖ الاحتفال الرسمي بالمناسبات.

❖ الإعلان عن الجديد .

❖ نشاطات الحركات الجمعوية.

❖ المواضيع الموسمية.

❖ المواضيع الخدماتية

تجدر الإشارة إلى أن هذه المواضيع ليست لتقديم الاستشارة العلاجية وإنما فقط للتوجيه والتربية الصحية أهم هذه المواضيع الأمراض المنتشرة.

➤ موضوعات الصحة الأسرية.

➤ الطب البديل.

➤ مخاطر التطبيب.

2. أنماط البرامج الإذاعية والتلفزيونية المستخدمة في تناول القضايا الصحية

صنف الباحثون أنماط البرامج الصحية المستخدمة في الإذاعة والتلفزيون إلى ما يلي :

1- **الدراما الإذاعية والتلفزيونية** : تعرف الدراما الإذاعية بأنها مسرحية تم تكييف عناصرها مع متطلبات الوسيلة الاعلامية من راديو وتلفزيون وعلى الرغم من اختلاف التمثيلية التلفزيونية من حيث صلاحية قصصها عن تلك للفيلم السينمائي او التمثيلية الإذاعية إلا انها جميعا يجب ان تحتوي على مكيدة وحوار و شخصيات، و ان التمثيلية التلفزيونية اقرب الى الفيلم منه الى التمثيليات الإذاعية وذلك لإشراف الادارة الإذاعية التي تحدد اهداف برامجها على كلا الوسيلتين السمعية والمرئية.

و تعتبر الدراما في الراديو و التلفزيون قوة مؤثرة جدا في التعليم العام، فالمسلسلات و السلاسل الدرامية التي تتناول شخصيات شعبية مشهورة يمكن أن تستخدم في كل أنواع التعليم، و تستخدم بعض الدول الدراما الاذاعية و التلفزيونية بمهارة واتقان و يكون لها تأثير كبير على المشاهدين أو المستمعين.

2- **المجلة الاذاعية:** من ابرز استخدامات وسائل الاعلام في الاذاعة و التلفزيون في المجال الصحي، المجلة الاذاعية و تنقسم الى الاقسام التالية:

3- **المجلة الاذاعية ذات الموضوع الواحد:** و تعالج هذه المجلة موضوعا معينا خاصا بالعلوم الطبيعية و الانسانية و الصحية و القانونية و الزراعية، و يخاطب هذا النوع من المجالات العامة الجمهور إلا في حالات استثنائية خاصة فانه يقدم لجماعات معينة كالمزارعين و العمال والشباب بالإضافة الى عامة الجمهور.

ب- **المجلة الخاصة:** فهذه المجلة يجب ان تتفق مضامينها مع اهتمامات مستمعيها و مشاهديها، فإذا كانت خاصة بالمرأة و الشباب و العمال أو المزارعين فلا بد من تركيزها و تناولها بالمعالجة لموضوعات تهم هذه الجماعات.

4- **المجلة المتنوعة:** وتهدف الى الوصول الى أكبر عدد من المستمعين، لذا يتميز مضمونها بالتنوع، تضم فقرات متنوعة، الهدف منها التسلية و الترفيه فتركز على الأشكال غير السياسية، مثل الموضوعات العلمية و الفنية، أخبار الشخصيات المشهورة.¹

5- **المجلة الاخبارية:** و تتناول الاخبار و الاحداث المختلفة و تلجأ إلى الفنون الاعلامية و الصحفية و الاذاعية كالتحقيق الاذاعي و التعليق و المقابلة و الحديث الصحفي و الحديث المتعمق في التغطية الاخبارية و تفسير معنى و مغزى الاحداث و مساعدة جمهور المستمعين و المشاهدين في تكوين آرائهم ووجهات نظرهم بالإضافة الى رسم خطوط المستقبل و التنبؤ بالأحداث المستقبلية.

6- **البرامج الوثائقية في المجال الصحي:** البرامج الوثائقية التنموية ترجع اهميتها بسبب قيامها بوظيفتي الاخبار و التثقيف إذ انها تضيف الحقيقة على برامجها من جهة وتمهد الطريق للبرامج التعليمية، ان البرنامج التسجيلي، يعتمد على تحليل الماضي و عرض جوانب الحاضر، و التنبؤ بالمستقبل، و تتعدد موضوعات البرامج التسجيلية متناولة بالمعالجة موضوعات مثل تلوث البيئة أو العنف الاسري و جرائم القتل و قضايا الصحة و الانجاب و تنظيم الاسرة و الامراض الفتاكة و الوبائية، فهذا البرنامج التسجيلي لا تقل مدته عن 15 دقيقة و لا تزيد عن ساعة، ومن هنا فان البرنامج التسجيلي هو برنامج تثقيفي بالدرجة الاولى.

¹ - سوزان القليوبي: انتاج البرامج للراديو و التلفزيون، (دط) دار النهضة العربية، 32 شارع عبد الخالق ثروت، القاهرة، 2014، ص: 186.

- 7- **برامج المنوعات**: تعرف برامج المنوعات أو برامج الترفيه بأنها شكل من اشكال الانتاج الفني الاذاعي و التلفزيوني بحيث تتضمن فقرات موسيقية وغنائية وفكاهية بالكلمة الرشيقة والخفيفة و الاستعراضات و المشاهد التمثيلية و المواقف الضاحكة إلى جانب فنون الشعر و الزجل و الهويات.
- هذا و تجمع برامج المنوعات بين عناصر أخرى اهمها الحوار و المقابلات و المونولوج و التعليق.
- 8- **برامج المناقشات**:
- أ- **المناقشة حول المائدة المستديرة**: وهي اكثر المناقشات شيوعا، ويطلق عليها الندوة المستديرة، و يقوم هذا النوع من المناقشات على استضافة عدد من الشخصيات ذوي العلاقة بموضوع النقاش حول مائدة مستديرة في موقف يتبادلون الافكار و الآراء حول موضوع يهم جمهور المستمعين أو المشاهدين.
- ب- **المناقشة الجماعية**: حيث تعتبر المناقشة الجماعية في الراديو و التلفزيون إحدى الاشكال الاذاعية التي تهتم بقطاع معين من الجماهير مثل قطاع الصحة أو التعليم و يمكن بواسطتها الوصول الى معلومات و نتائج موضوعية لأهداف ذاتية ذات فائدة مشتركة.
- ج- **المناقشات الافقية أو مناقشة المواجهة**: و يعتمد هذا الشكل على استضافة وتقديم عدد من الشخصيات التي لديها حلول واقعية قابلة للتطبيق لمشكلة معينة أو قضية تم الجمهور.
- د- **المناظرة**: بحيث يتناظر طرفان متناقضان.
- ر- **برامج الحوار الجماهيري**: و هي التي يشترك فيها الجمهور، بمعنى أن يقوم جمهور الحضور بدور ايجابي في البرنامج فيكون جزءا اساسيا في مادته، فأفراد الجمهور يشاركون مشاركة فعلية فهم يتكلمون و يتناقشون و يؤدون اي لون من اي فقرة من فقرات البرامج.
3. **أهداف الاعلام الصحي**: لكي نتحدث عن اهداف الاعلام الصحي يجب أن نعرف اولاً بان هناك ثلاث أنواع من الإعلام الصحي ولكل نوع أهدافه.
- 1- **الاعلام الوقائي**: الاعلام الوقائي يهدف الى تزويد الجمهور بالمعلومات الاساسية عن الامراض التي يمكن تجنبها، واشاعة التدابير الوقائية التالية:
- أ- الابتعاد عن مسببات الامراض، كالاختلاط بالمصابين و استعمال أدوائهم.
- ب- التطعيم بالمصول و اللقاحات.
- ت- الاهتمام بالنظافة العامة و الشخصية.
- ث- عدم الافراط بالمشروبات الكحولية بل الابتعاد عنها.

- ج- الابتعاد عن المواد المخدرة و التدخين.
 - ح- عدم تناول المواد الغذائية الملوثة.
 - خ- اجراء الفحوصات المخبرية و الاشعاعية، و الفحص مرة في السنة.
 - د- الابتعاد عن الدهون.
 - ذ- الاهتمام بنظافة البيئة.
- الاعلام الوقائي في مرحلته الاولى (قبل انتشار المرض) يتولى مهمة تنبيه الجماهير، أما في المرحلة الثانية فهي ما بعد انتشار الاصابة بالمرض، و يهدف هنا الى تقويم السلوك البشري لمنع انتشار العدوى.
- 2- **الاعلام الدوائي:** يهتم بتوعية الجماهير بالقواعد الاساسية لتناول الدواء، ويشمل محورين:
- أ- اعلام موجه الى الصيدلي.
 - ب- إعلام موجه الى المريض.

4. المصادر الصحية:

- تتنوع المصادر الصحية بقدر تنوع المجال والموضوع والحدث الصحي. ويمكن حصر المصادر في الفئات الرئيسية التالية:
- 1- الهيئات والمؤسسات الرسمية والخاصة التي تعد مرجعية معتمدة للتغطية الإعلامية لجميع جوانب المجال الصحي.
 - 2- الشخصيات الفاعلة في مختلف جوانب الحياة الصحية في المجتمع (علماء، مخترعون، باحثون، مدراء مؤسسات طبية، مستثمرون في المجال الطبي، كودار طبية مختلفة، أفراد عاديون معنيون بأحداث وظواهر طبية...الخ).
 - 3- مراكز البحوث العلمية المتخصصة في مختلف الجوانب المتعلقة بالحياة الصحية في المجتمع.
 - النشرات و التقارير والدوريات الطبية المتخصصة.
 - 4- بنوك المعلومات العامة و المتخصصة.
 - 5- المواقع الإلكترونية المتخصصة في المجال الطبي.
 - 6- المصادر الإعلامية العامة (وكالات أنباء، وصحف ومجلات، وإذاعات ومحطات تلفزيونية)
- الأفراد العاديون.

هذه الشريحة الواسعة والمتنوعة من المصادر المتوفرة والمتاحة، تتيح للصحفي الصحي تقديم تغطية إعلامية تستجيب للخصائص المتميزة للمجال وللموضوع وللحدث وللجمهور الصحي. و يستدعي ذلك وجود كادر إعلامي صحي مؤهل وقادر على الاستفادة من هذه المصادر لتقديم التغطية المطلوبة.

5. جمهور الإعلام الصحي:

يتميز جمهور الإعلام الصحي بالخصائص التالية:

- 1- تميز جمهور وسائل الإعلام الصحي الجماهيرية (صحف ومجلات عامة، برامج إذاعية وتلفزيونية) بأنه جمهور واسع وعريض، ويمتلك قدراً كبيراً من التنوع والاختلاف وعدم التجانس وفقاً للمتغيرات الديمغرافية المعروفة.
- 2- ويتميز جمهور وسائل الإعلام الصحي المتخصصة (طب، هندسة، صيدلة، هندسة طبية، بحوث أكاديمية... الخ) بأنه جمهور نوعي، ونخبوي، ومحدد، ومعروف سلفاً.
- 3- وبشكل عام، يمكن القول إن جمهور الإعلام الصحي متعلم، ومعني بالمسألة الصحية، ويمتلك خبرة اتصالية، ولديه حاجات إعلامية صحية يسعى إلى إشباعها من خلال تعرضه للإعلام الصحي.¹

6. الكادر الإعلامي الصحي المتميز

تؤكد الممارسة الإعلامية ضرورة وجود كادر إعلامي صحي متخصص قادر على أن يقدم رسائل إعلامية تستجيب لمتطلبات المجال الصحي، وتلائم خصائص الموضوع الصحي، وتناسب مع مستلزمات الحدث الصحي، وتستطيع إشباع حاجات جمهور الإعلام الصحي.

فإذا ما كان المجال الصحي على هذا القدر من التنوع والاتساع، والموضوع الصحي على هذا القدر من التشابك والتعقيد، والحدث الصحي على هذا القدر من الخصوصية، والجمهور الصحي على هذا القدر من النوعية والنخبوية وكثرة الحاجات وتنوعها، بات من المؤكد أن الصحفي العادي- العام لم يعد قادراً على تقديم تغطية إعلامية تستجيب لخصائص هذا المجال الإعلامي المختص والمتميز. وذلك لأن التغطية الإعلامية العادية- العامة التقليدية- بما تتميز به من الخضوع لحركة الأحداث وتسارعها، ومن التناول السطحي للظواهر والأزمات، فقدت مبرر وجودها لسببين أساسيين، أولهما: عجزها عن تقديم رؤية متكاملة، وشاملة، وعميقة لمعطيات الحياة الصحية، واضطرابها لتقديم رؤية ناقصة، ومشوهة، وسطحية. وثانيهما: أن هذه المعالجة الإعلامية العادية- العامة لا تستطيع تلبية حاجات جمهور نوعي ونخبوي ونقدي، الأمر الذي أدى إلى خسارة هذا الجمهور.

و يجب أن تتوفر في هذه الكوادر الشرطين التاليين:

¹ - أديب خضور: "الإعلام المتخصص"، (دط)المكتبة الإعلامية، دمشق، 2003، ص: 28.

- 1- الفهم العميق والشامل لمعطيات واقع الحياة الصحية بكل ما فيه من أحداث وظواهر، وتطورات، وأزمات، وقوى، ومصالح... الخ
- 2- امتلاك مهارات إعلامية متطورة كافية لتقديم معالجة إعلامية صحية متخصصة تستجيب لخصائص الإعلام الصحي المتميز (مجالاً، وحدثاً، وموضوعاً، وجمهوراً)، كما تستجيب للخصائص المتميزة لوسائل الإعلام الجماهيري المتميزة.

تحليل محتوى البرامج الصحية:

توصلنا من خلال تحليلنا لمضامين البرامج الصحية، التي بثت من إذاعة بومرداس المحلية خلال الشبكة البرمجية العادية للموسم (2016م-2017م) و التي شملت: برنامج الو دكتور، برنامج مع الطبيب، برنامج صحتك في غذائك، برنامج صحتنا، وكانت الدراسة مسحاً شاملاً بالنسبة للبرامج المذكورة، و مسحاً بالعينة للحصص المقدمة في هذه البرامج، بعدد 21 حصّة بالنسبة لبرنامج الو دكتور، و 16 لبرنامج مع الطبيب، و 10 حصّة بالنسبة لبرنامج صحتك في غذائك، و 09 حصص بالنسبة لبرنامج صحتنا، فكان العدد الكلي للحصص هو 56.

و فيما يلي تعريف البرامج الصحية التي خضعت للتحليل و هي:

1- حصّة مع الطبيب:

برنامج اسبوعي مباشر و تفاعلي، هدفه الوقاية من الامراض بتقريب الطبيب من المواطن، و تقريب المريض من الطبيب .

البرنامج يبث كل يوم أحد في الفترة المسائية من الساعة 15.03 الى 16.00، يقدمه الدكتور " بن اشنو " يعرف في كل عدد بمرض معين قصد الوقاية منه، وفي نفس الوقت يجيب فيه عن استفسارات وانشغالات الجمهور في المجال الصحي، والدكتور منتج في إذاعة بومرداس، يسعى من خلال برنامجه لربط علاقة مباشرة مع المواطنين بصفة عامة قصد التربية الصحية، كما يسعى الى التربية العلاجية بالنسبة للمريض، وذلك بتعريفه بطرق العلاج وكيفية التعامل مع المرض الذي يعاني منه، او لتشخيص المشاكل الصحية التي يعاني منها المريض.

2- حصّة الو دكتور :

برنامج اسبوعي مباشر، يبث كل يوم سبت في الفترة الصباحية من الساعة 09.03 الى الساعة 10.00، مدته تقريباً اثنان وخمسون دقيقة (52د)، يقدمه ،الدكتور ميهوبي، وتعدّه مديرية الصحة، وهو عبارة عن مجلة صحية باللغة

الأمازيغية، كل عدد منه يتناول التعريف بمرض معين، ويفتح فيه خط هاتفي يتيح للجمهور طرح أسئلتهم سواء عن موضوع العدد أو أي مشكل صحي آخر.

3- ركن صحة و غذائك:

يقدم في برنامج هذي داركم مباشرة، موجهة للعائلة، هذا البرنامج يحتوي على اركان مختلفة (تدابير منزلية، التربية و التعليم، صحة و غذائك...الخ)، مدته 120 دقيقة، يث ثلاث مرات في الأسبوع (الأحد، الإثنين، الثلاثاء)، في الفترة الصباحية، من الساعة 09.03 الى الساعة 11.00 صباحا، و تقدمه الصحفية بهيجة سعدي، يتفاعل فيه الجمهور مع ضيوف البرنامج بطرح الاسئلة و تقديم الاستفسارات عن ما يشغلهم، وفي ركن صحة و غذائك وهو ما يهمننا في هذه الدراسة، نجد المذيعة تستضيف اطباء و رؤساء جمعيات للكلام عن بعض الامراض الناتجة عن الغذاء في بعض الاحيان، و احيانا تتناول أمراضا أخرى تكييفها حسب الأيام العالمية للأمراض مثل سرطان الثدي، السكري...الخ، او الامراض الموسمية مثل الام اللوزتين التي تظهر في فصل الشتاء، والصحة المدرسية خلال الدخول الاجتماعي.

4- برنامج صحتنا:

يبت كل يوم ثلاثاء في الفترة الصباحية ضمن برنامج صباح الخير بومرداس ، مدته 05 دقائق، ويقدم فيه نصائح طبية.

و يقدم الركن من طرف الدكتور بن اشنو الذي يهتم حسب قوله بالصحة الجوارية، ويفيد الجمهور بنصائح ومعلومات صحية لتصحيح بعض السلوكيات غير الصحية، أو للوقاية و المحافظة على الصحة، وكذلك التعريف بالأمراض واسبابها.

مناقشة النتائج:

تبين من خلال تحليل البرامج الصحية لإذاعة بومرداس ما يلي:

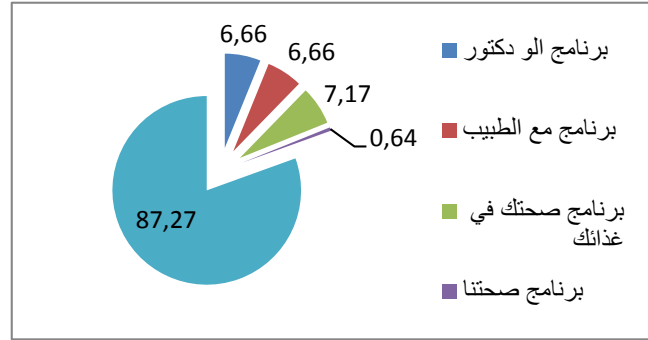
أولا: فئات الشكل

عناصر الابرار:

1- فئة الزمن المستغرق من البرامج الصحية

الجدول رقم 1 يبين فئة الزمن المستغرق من البرامج الصحية

الزمن المستغرق و النسبة	الزمن المستغرق	النسبة %
البرنامج الصحي		
برنامج الو دكتور	3120=52 ثا	6,66
برنامج مع الطبيب	3120=52 ثا	6,66
برنامج صحتك في غذائك	3360=52 ثا	7,17
برنامج صحتنا	300=05 ثا	0,64
المجموع	9900=165 ثا	21,13
الحجم الزمني اليومي للبث	46800=13 سا	100



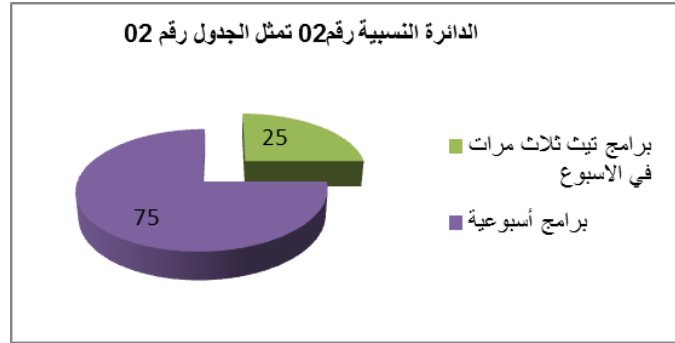
يتبين من خلال الجدول رقم 01 أن الحجم الزمني للبث اليومي لإذاعة بومرداس الجهوية يساوي 13.00 ساعة، أي 46800 ثانية وهو الحجم الذي يمثل نسبة 100%. ونلاحظ أن الزمن المخصص للبرامج الصحية هو 9900 ثانية، أي ما يعادل نسبة 21.15% من الحجم الزمني اليومي لإذاعة بومرداس الجهوية، ونجد هذه النسبة موزعة على البرامج الصحية عينة الدراسة كما يلي:

- برنامج الودكتور خصص له وقت يعادل 52 دقيقة، أي ما يعادل 3120 ثانية، الممثلة بنسبة 6.66% من الحجم الزمني للبث اليومي لإذاعة بومرداس الجهوية.

2- فئة نوعية الحصص الصحية حسب دورية البث

الجدول رقم 02 يبين فئة دورية البث

النسبة %	التكرار	للتكرار و النسبة دورية البث
25	1	برامج تبث ثلاث مرات في الاسبوع
75	3	برامج اسبوعية
100	4	المجموع

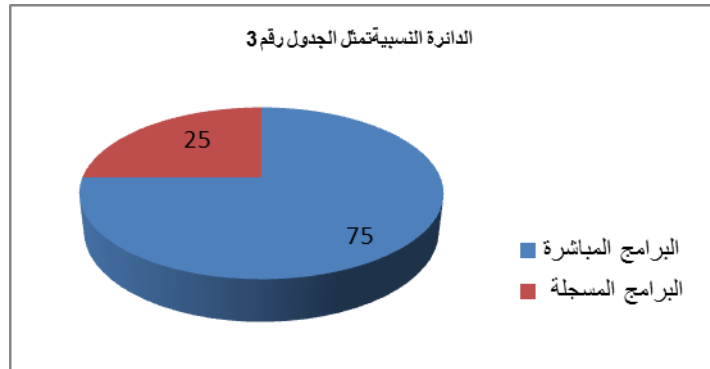


نلاحظ من خلال الجدول رقم 02 أن عدد البرامج الصحية الأسبوعية أكثر من العدد البرامج التي تبت ثلاث مرات في الأسبوع وهذا ما تعكسه النسب المئوية حيث نجد نسبة البرامج الأسبوعية 75% ، ونسبة البرامج التي تبت خلال ثلاث مرات في الأسبوع 25% من نسبة البرامج الصحية عينة الدراسة ، كما نلاحظ أيضا أنه لا وجود للبرامج الصحية اليومية، وهذا يعني عدم الاستمرارية في تقديم القضايا و المواضيع الصحية رغم أنها مهمة، وهذا من شأنه أن لا يخلق الوعي الصحي وترسيخ رسائل إعلامية صحية، حيث لا يتمكن المواطن من الاطلاع على المواضيع الصحية.

3- فئة طريقة الاعداد

الجدول رقم 03: يبين فئة طريقة إعداد البرامج الصحية

الترار و النسبة	الترار	النسبة	طريقة الإعداد
مسجلة	1	25	
مباشرة	3	75	
المجموع	4	100	

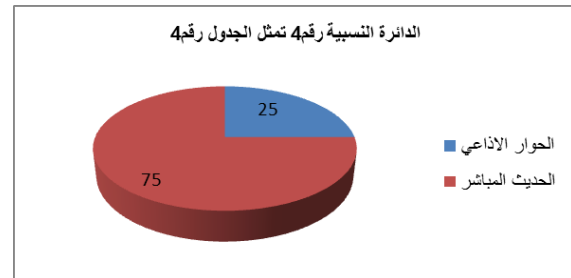


يتضح من خلال الجدول رقم 03 أن هناك برنامج صحي واحد يبت مسجلا، اي بنسبة 25% من البرامج الصحية الإجمالية عينة الدراسة، في حين بلغ عدد عدد الحصص الصحية التي تبت مباشرة بإذاعة بومرداس الجهوية 03 برامج، ما يعادل نسبة 75% من عدد الحصص الإجمالي عينة الدراسة وهو 4 برامج.

و هذا يبين الفرق الكبير بين الحصص المباشرة التي جاءت في مقدمة الترتيب ونسبة البرامج الصحية المسجلة، وهذا يعني اعتماد إذاعة بومرداس الجهوية على البرامج المباشرة في تقديم القضايا الصحية أكثر من البرامج المسجلة.

الجدول رقم 04 : يبين فئة الفن الإذاعي

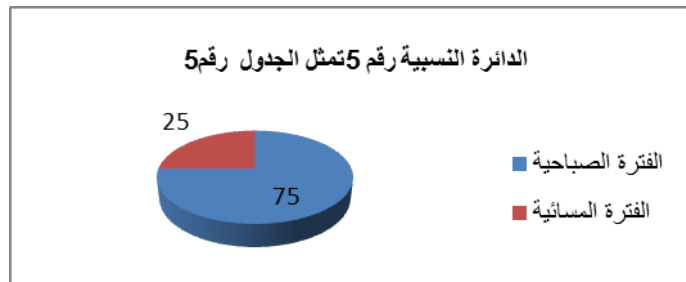
النسبة %	التكرار	التكرار و النسبة
		الفن الإذاعي
25	1	الحوار الإذاعي
75	3	الحديث الإذاعي
100	4	المجموع



تشير بيانات الجدول رقم 04 أن محتوى الرسالة الإعلامية الصحية في إذاعة بومرداس الجهوية تعالج من خلال قالبين إذاعيين، حيث احتل الحديث الإذاعي المرتبة الأولى، بنسبة 75%، أي بمعدل 3 تكرارات، والحوار الإذاعي احتل المرتبة الثانية بنسبة 25%، أي بمعدل تكرار واحد من إجمالي البرامج الصحية عينة الدراسة. وهذا يدل على اعتماد إذاعة بومرداس الجهوية على نقل وسرد المعلومة الصحية، أكثر من اعتمادها على الحوار و النقاش البناء، باستعراض الرأي و الرأي الآخر، وخلق مشاركة فعالة لبحث المشاكل الصحية.

الجدول رقم 05 يمثل فئة وقت بث البرامج الصحية

النسبة	التكرار	التكرار و النسبة
		الفترة الصباحية
75	3	الفترة المسائية
25	1	المجموع
100	4	



أوضحت نتيجة الجدول رقم 05 أن الموضوعات الصحية تبث في فترتين مختلفتين و هما:

الفترة المسائية و الصباحية. وكانت الفترات موزعة على البرامج الصحية بالنسب التالية:

– الفترة الصباحية بنسبة 75. %

– الفترة المسائية بنسبة 25. %

وهذا يعني أن البرامج الصباحية إحتلت المرتبة الأولى، بينما الفترة البرامج المسائية إحتلت المرتبة الثانية.

ونجد البرامج الصباحية بتكرار 3 برامج من العدد الاجمالي للبرامج الصحية عينة الدراسة، والبرامج المسائية بتكرار واحد فقط.

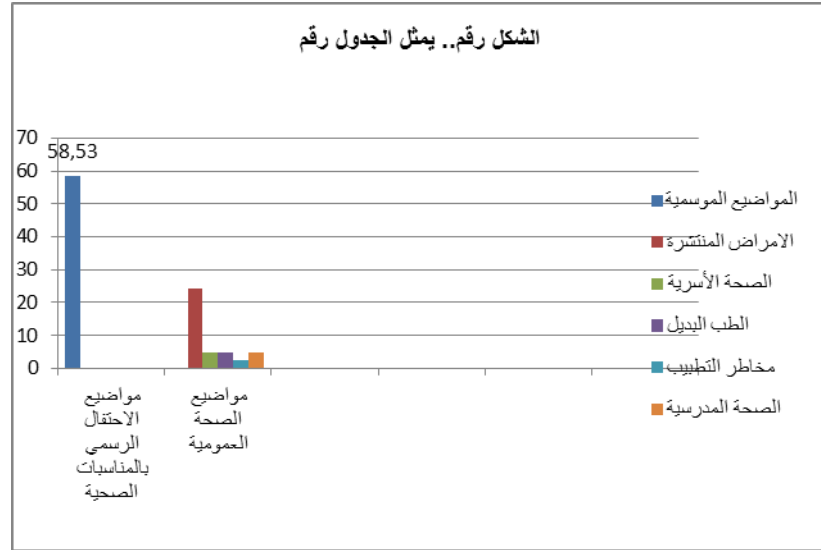
فالبرنامج الوحيد المسائي ييثر في هذه الفترة لربط المواطن بطيبه و نشر الصحة الجوارية، كما كان يذكر دائما الطبيب مقدم البرنامج في كل حصة.

ثانيا: فئات المحتوى

1- فئة المواضيع الصحية

الجدول رقم 06 : يمثل فئة المواضيع الصحية

النسبة %	التكرار	التكرار و النسبة	المواضيع الصحية
2,43	1	الكيس المائي	مواضيع
4,87	2	هشاشة العظام	الإعلام
2,43	1	التهاب اللوزتين	المناسبات
9,75	4	لسيدا	
2,43	1	الزكام عند الأطفال	
2,43	1	التسممات الغذائية	
2,43	1	السكري	
2,43	1	الزكام	
2,43	1	اللعب بالمفرقات	المواضيع
4,87	2	التلقيح ضد الزكام	الموسمية
2,43	1	سرطان الثدي	
4,87	2	السرطان	
2,43	1	الأغذية المضادة	
		للسرطان	
2,43	1	آلام اللوزتين	
2,43	1	الزكام الموسمي	
2,43	1	آلام الركبتين	
2,43	1	آلام المفاصل	
58,53	24		المجموع
2,43	1	سرطان عنق الرحم	مواضيع الصحة
			الموسمية
2,43	1	لسيدا	
2,43	1	آلام الرأس	الأمراض المنتشرة
2,43	1	السكتة الدماغية	
2,43	1	أسباب إنجاب	
2,43	1	الطفل المنغول	
2,43	1	التبول الإرادي	
4,87	2	الزهايمر	
2,43	1	تشنج العضلات	
2,43	1		الصحة الجوارية
24,39	10		المجموع
2,43	1	تنظيم الانجاب	الصحة
2,43	1	صحة المرأة الحامل	الأسرية
4,86	2		المجموع
2,43	1	الطب التكميلي	الطب البديل
2,43	1	التداوي بالأعشاب	
4,86	2		المجموع
2,43	1	البراسيتامول	مخاطر التطبيب
2,43	1	صحة الطفل المتكدر	الصحة المدرسية
2,43	1	تحضير الطفل صحيا	
		للدخول المدرسي	
4,86	2		المجموع
100	41		المجموع العام



بيانات الجدول رقم 06 تشير الى أن إذاعة بومرداس الجهوية تعالج المواضيع الصحية التي تشكلت من مواضيع رئيسية هي : مواضيع الإحتفال الرسمي بالمناسبات الصحية، مواضيع الصحة العمومية.

- فكانت نسبة المواضيع الصحية التي شكلت موضوع الإحتفال الرسمي بالمناسبات الصحية، الذي كان موضوعا رئيسيا لمواضيع الصحة الموسمية 58.58%.

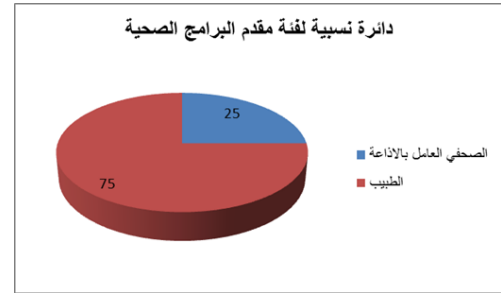
نسبة المواضيع الصحية التي شكلت موضوع الصحة العمومية، والذي كان الموضوع الرئيسي، لمواضيع الأمراض المنتشرة 24.39%، مواضيع الصحة الأسرية 4.86%، مواضيع الطب البديل 4.86%، مواضيع مخاطر التطبيب 2.43%، مواضيع الصحة المدرسية 4.86%.

نلاحظ أن مواضيع الإحتفال الرسمي بالمناسبات الصحية احتلت المرتبة الأولى بنسبة 53.58%، أما مواضيع الصحة العمومية فقد احتلت المرتبة الثانية بنسبة كلية تقدر ب 41.4%.

وهذا يعني اهتمام إذاعة بومرداس الجهوية بمواضيع الإحتفال الرسمي بالمناسبات الصحية، التي تمثلت في مواضيع موسمية تحيي بعض الأيام العالمية الصحية، مثل اليوم العالمي للسيدا و الذي أخذ النسبة الأعلى بتكرار 4 حصص و نسبة 9.75%، وفي المرتبة الثانية تأتي مواضيع هشاشة العظام، التلقيح ضد الزكام، السرطان بنسبة متساوية وهي 4.86%، وفي المرتبة الأخيرة جاءت موضوعات الكيس المائي، التهاب اللوزتين، الزكام عند الأطفال، التسممات الغذائية، السكري، الزكام سرطان الثدي، الأغذية المضادة للسرطان، آلام اللوزتين، الزكام الموسمي، آلام الركبتين، آلام المفاصل بنسب 2.43%.

الجدول رقم 07: يبين فئة مقدم البرامج الصحية

النسبة %	التكرار	النسبة و التكرار	مقدم البرنامج
25	1	برنامج صحتك	صحفي عامل
		في غذائك	بالإذاعة
25	1	برنامج الو دكتور	طبيب
25	1	برنامج مع الطبيب	
25	1	برنامج صحتنا	
75	3		المجموع
100	4		المجموع العام

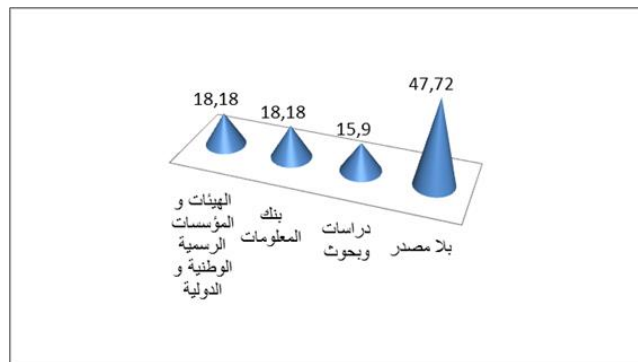


يتبين من خلال الجدول رقم 07 أن النسبة الأعلى وهي 75%، تعود لمقدمي البرامج الصحية لإذاعة بومرداس، أما فئة الصحفي العامل بالإذاعة فقد حاز على نسبة تقدر بـ 25% فقط.

الجدول رقم 08: يبين فئة مصادر المضامين الصحية

النسبة %	التكرار	النسبة و التكرار	المصادر
			الهيئات والمؤسسات الرسمية والوطنية
		المنظمة العالمية للصحة	
18%	8		بنك المعلومات
18%	8		دراسات و بحوث
15,9	7		بلا مصدر
47,72	21		المجموع
100	44		

الشكل رقم 08 يمثل الجدول رقم 08



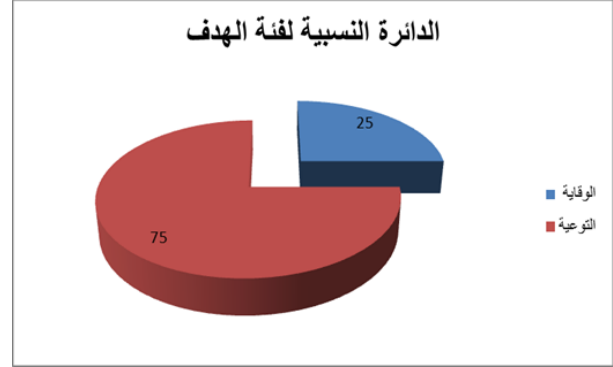
تشير بيانات الجدول رقم 08 الى ان مقدمي البرامج الصحية يعتمدون على مصادر مختلفة في تكوين محتوى الرسالة الاعلامية الصحية منها الهيئات و المؤسسات الرسمية الوطنية و الدولية مثل المنظمة العالمية للصحة، الى جانب بنك المعلومات و الاحصائيات، الدراسات و البحوث الصحية، كما توجد حصص لم يذكر فيها مقدم البرنامج ولا مصدر، وهي الحصص التي نات المرتبة الأولى بتكرار 21 مرة ونسبة 47.72%.

وتقاسمت النسب المتساوية كل من الهيئات و المؤسسات الرسمية الوطنية و الدولية، و بنك المعلومات و الاحصائيات بنسبة تقدر بـ 18.18%، و عادت المرتبة الاخيرة للدراسات و البحوث بنسبة 15.09%.

والحصص التي تقدم محتوياتها الصحية بدون ذكر اي مصدر تقدم من طرف طبيب يعتمد على معلوماته الصحية فقط بما أنه مختص في مجال الصحة ، وكانت كلها من برنامج الو دكتور الذي يقدم فيه الطبيب معلومات صحية حول الامراض و اسبابها بغرض الوقاية منها.

الجدول رقم 09: بين فئة الهدف

النسبة %	التكرار	التكرار و النسبة
25	10	الوقاية
75	30	التوعية
100	40	المجموع



تهدف البرامج الصحية لإذاعة بومرداس المحلية الى نشر التوعية الصحية بالدرجة الأولى بنسبة 75%، كما تهدف أيضا الى اشاعة الوقاية من الأمراض وهذا النوع اتى في المرتبة الثانية بنسبة 25%.

التحليل الكيفي لفئات شكل المادة الاعلامية

1- التحليل الكيفي لفئة الزمن المستغرق من البرامج الصحية

يتضح من خلال التحليل الكمي للجدول رقم 01 وبيانات الدائرة النسبية أن المساحة الزمنية التي خصصت للقضايا الصحية في إذاعة بومرداس، مساحة ضئيلة جدا، مقارنة بالمساحة الزمنية الكلية للبث اليومي، وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على الاهتمام بمثل هذه القضايا في هذه الوسيلة الإعلامية، لا زال يعرف تخلفا، شأنها شأن القضايا البيئية، وهذا رغم أهميتهما على مستوى الفرد، و المجتمع، فالاهتمام بالصحة و البيئة في وسائل الإعلام ، وخاصة في الإذاعة المحلية باعتبارها الوسيلة الأقرب من المواطن، من شأنها أن توفر على الدولة الكثير من النقود التي تصرف على المرضى ، فدرهم وقاية خير من الف علاج. و السبب في عدم الاهتمام بقضايا الصحة هو أن القائمين على الوسائل الإعلامية ينظرون إليها و كأنها لا تدخل ضمن أولويات المواطن، لذلك لا يخصص لها لا الوقت الكافي و لا أموال لإعداد برامج جذابة، لإيصال الرسالة الإعلامية الصحية.

2- التحليل الكيفي لفئة دورية البث

يتضح من خلال القراءة الكمية للجدول رقم 02 أن إذاعة بومرداس الجهوية تعتمد على البرامج الاسبوعية التي تأتي في المرتبة الأولى، ثم برامج تبث ثلاث مرات في الأسبوع و لا أثر للبرامج الصحية اليومية و هذا يعود إلى أن تلك الحصص الأسبوعية يقدمها أطباء، وهؤلاء مرتبطون بعملهم الاساسي في الطب و لا يمكنهم تقديم البرامج اليومية.

أما البرنامج الذي يثث ثلاث مرات في الأسبوع فتقدمه مذيعة عاملة في إذاعة بومرداس وهو عبارة عن مجلة إذاعية متنوعة المواضيع مدتها ساعتين من الزمن، ومثل هذه البرامج لا يمكن إعدادها يوميا لأنها كما قلنا متنوعة المواضيع و الاشكال، وهذا يحتاج الى جهد في عملية المونتاج و الإخراج، كما أن مدة عرض المجلة طويلة.

فجدية الموضوع تفرض على الصحفي الصحي مسؤوليات جسيمة تشمل مختلف مراحل عملية التحرير و الإعداد، خاصة فيما يخص اختيار الموضوع، المصادر، تقديم الآراء، واسلوب المعالجة، و طريقة العرض و التقديم.¹

3- التحليل الكيفي لفئة نوعية البرامج حسب طريقة الإعداد:

يتبين من التحليل الكمي للجدول رقم 03 أن إذاعة بومرداس الجهوية تبث مضامين البرامج الصحية على المباشر، حيث عادت المرتبة الأولى للبرامج المباشرة، و أن هناك برنامج مسجل واحد، وهذا يعني أن هذه الإذاعة لا تعطي أهمية ومكانة للقضايا الصحية، رغم أهميتها، ونلاحظ أيضا أن البرامج التي تشغل مدة 52 دقيقة أكثر تكرارا من البرامج الطويلة التي تتجاوز ساعة من الزمن.

ونجاح البرامج الإذاعية يتوقف في مراحلها المختلفة (الأعداد، الصياغة، الإلقاء، الإخراج) على عدة عوامل، منها حسن القاء المذيع، وتنشيطه بعفوية و تلقائية بعد التحضير الجيد لموضوعه.²

4- التحليل الكيفي لفئة القالب الإذاعي

يشير التحليل الكمي للجدول رقم 04 أن المضامين الصحية لإذاعة بومرداس الجهوية تعالج من خلال قالبين إذاعيين هما الحوار الإذاعي و الحديث الإذاعي المباشر، احتل المرتبة الأولى، الذي حاول فيه مقدم البرنامج وهو طبيب أن يجمع معلومات عن عناصر مكونة للتغذية الصحية و يقدمها للجمهور في جمل قصيرة مرتبة مراعيًا الوضوح و البساطة و الدقة في المعلومات، وهذا من أقدم الأشكال الإذاعية التي ظهرت على الهواء، يعتمد على سرد المعلومات بطريقة مباشرة أو مسجلة في شكل بسيط يسهل فهمه³، لأن الجمهور الذي يستهدفه المضمون الصحي هم عامة الناس.

5- التحليل الكيفي لفئة توقيت البث

يشير التحليل الكمي للجدول رقم 05 أن البرامج الصحية تبث في فترتين صباحية ومساءلية، وكانت أكثر البرامج الصحية عينة الدراسة تبث في الفترة الصباحية، وهذا دليل على أن إذاعة بومرداس الجهوية تخصص وقتا يعتبر وقت

¹ - فاروق أبو زيد: فن الخبر الصحفي، ط4، عالم الكتب، 2000، ص: 125.

² سوزان . القليني: انتاج البرامج للراديو و التلفزيون، دار النهضة العربية، 32 شارع عبد الخالق ثروت، القاهرة، 2014، ص: 186 -

³ - فضيل دليو: مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998. ص: 25.

الذروة في الإذاعة، فالمحتوى يكون متاحاً عندما يكون الجمهور في أقصى حالات القبول والتلقي، أو حين يكون بحاجة إلى معلومات معينة.

التحليل الكيفي لمضمون الرسائل الإعلامية الصحية

التحليل الكيفي لفئة المواضيع الصحية 1-

يتبين من خلال التحليل الكمي للجدول رقم 06 ان المواضيع والقضايا الصحية التي تعالجها إذاعة بومرداس الجهوية مختلفة مثل مواضيع الإعلام المناسب، مواضيع الصحة العمومية، ونجد أن المواضيع الموسمية التي تدخل ضمن مواضيع الاعلام المناسب هي المواضيع التي تركز عليها كثيرا إذاعة بومرداس الجهوية، بعدها تأتي مواضيع الامراض المنتشرة التي صنفت تحت مواضيع الصحة العمومية، ثم تأتي مواضيع الصحة الاسرية و الطب البديل، ومخاطر التطبيب، و الصحة المدرسية.

نجد هنا أن معظم المواضيع التي عالجها مقدم البرامج الصحية عبارة عن مجموعة من المسائل والاهتمامات الصحية التي توفرها المواضيع الموسمية والمربطة بالفصول، مثل آلام الركبتين و آلام المفاصل، هشاشة العظام، التسممات الغذائية، التلقيح ضد الزكام، عوامل مناخية، مثل الزكام الموسمي، آلام اللوزتين، التهاب اللوزتين، كما نجد ايضا المواضيع المرتبطة بالأعياد مثل موضوع الكيس المائي الذي نجده في اضية العيد وهذا الموضوع يتكرر عند حلول عيد الأضحى، موضوع خطر اللعب بالمفرقات في الاعياد و المناسبات الدينية، و مواضيع التذكير بالأيام العالمية للبعض الامراض مثل اليوم العالمي للسيدا، اليوم العالمي للسرطان، اليوم العالمي للسكري.

والترسيم لهذه المناسبات يدل على الأولوية التي توليها السلطات الوطنية والمنظمات الدولية للصحة بصفة عامة ولفئات المرضى بصفة خاصة. وهذا ما يتجلى في الأعياد الوطنية والدولية لفئات المرضى خاصة المزمين منهم وللتخصصات الطبية. تسمح هذه المناسبات الدورية بتوفير مجموعة من المواضيع الروتينية.

ونتيجة انتشار المعلومة الصحية المبسطة ولزيادة الممارسات الصحية من كشوفات وتحاليل طبية واستهلاك للأدوية، أصبح تداول تسميات الأمراض وأعراضها وعلاجاتها ظاهرة عادية في المجتمع، مما طور الثقافة الصحية للمواطنين . وهذا ما جعل الاطباء مقدمي البرامج الصحية يعالجون مواضيع الأمراض الأكثر انتشارا إحصائيا في المجتمع من الأمراض المزمنة، مثل السكري والضغط، القصور الكلوي، السرطان، كما تعالج الاضطرابات المرضية المعتادة ، مثل آلام الرأس، التبول اللاإرادي عند الأطفال، السكتة الدماغية المنتشرة مؤخرا ، الزهايمر عند كبار السن، السيدا، تشنج العضلات، و موضوع الصحة الجوارية لتقريب المواطن من الطبيب .

كما نجد ايضا المواضيع التي تعني كل الأسرة التي تطرح فيها التساؤلات التي تهم المواطن من خلال معالجة المشاكل الصحية المنشغل بها كمرضى أو كولي من متابعة الحمل، وتنظيم الإنجاب، و تكون المرأة دائما مركز الاهتمام في هذه المواضيع كمریضة، كأم وكربة بيت كما أنها المطالبة أكثر لهذا النوع الموضوعاتي.

إلى جانب هذه المواضيع نجد المواضيع المتعلقة بما يسمى بالطب البديل أو الموازي والمتمثل أساسا في طرق العلاج التقليدية من التداوي بالأعشاب الطبيعية، فقد يعالج الموضوع من إحدى الزوايا كتقنين الممارسة، تأسيسها العلمي، أخطارها، تكوين مستعملها.

أما مواضيع مخاطر التطبيب فتمثل مختلف المواضيع التي تستقصي كلما يشكل جانبا سلبيا عرضيا أو احتمال تعقد وضعية صحية ما نتيجة الفعل الطبي أو إتباع علاج. غالبا ما تثير هذه المواضيع اهتمام القارئ نظرا لحساسيتها ولكونها تعني الجميع. أهم هذه المواضيع هي الآثار العرضية للأدوية مثل دواء البراسيتامول الذي يستعمله المواطن كثيرا. في الأخير نجد موضوعا آخر يندرج ضمن مواضيع الصحة العمومية كالصحة المدرسية، وذلك بالاهتمام بصحة الطفل المتمدرس لجعله فردا منتجا في المستقبل.

2- التحليل الكيفي لفئة مقدم البرامج الصحية

تقدم المضامين الصحية في إذاعة بومرداس المحلية من طرف فئتين وهما الأطباء بنسبة عالية، وصحفيون عاملون بالإذاعة بنسبة أقل.

فالملاحظ إذن عدم توفر صحفي متخصص في مجال الصحة، وقد انعكس ذلك على تغطية القضايا الصحية بأسلوب يغلب عليه الطابع الإخباري السطحي للقضايا الصحية، الأمر الذي أدى الى تكوين جمهور عام، وفقدان الجمهور النخبوي النوعي الناقد، لان الوسيلة الاعلامية ليست وسيلة متخصصة في الإعلام الصحي .

3- التحليل الكيفي لفئة مصادر

تتنوع المصادر الصحية بقدر تنوع المجال والموضوع والحدث الصحي. ويمكن حصر المصادر في الفئات الرئيسية:

فكما يشير التحليل الكمي للجدول رقم 08 أن مصادر مضامين البرامج الصحية لإذاعة بومرداس الجهوية هي أغلبها المعلومات التي تصدر عن الهيئات و المؤسسات الرسمية العالمية و الوطنية، مثل منظمة الصحة العالمية، التي تعد مرجعية معتمدة للتغطية الإعلامية لجميع جوانب المجال الصحي. و المعلومات التي يحصل عنها المذيع من بنك المعلومات الصحي العامة و المتخصصة، و الدراسات و البحوث التي يحصل عنها من مراكز البحوث العلمية المتخصصة في

مختلف الجوانب المتعلقة بالحياة الصحية في المجتمع . هذه الشريحة الواسعة والمتنوعة من المصادر المتوفرة والمتاحة، تتيح للصحفي الصحي تقديم تغطية إعلامية تستجيب للخصائص المتميزة للمجال وللموضوع وللحدث وللجمهور الصحي .

بالمقابل نجد فئة بلا مصدر تغطي على الكثير من الحصاص عينة الدراسة التي كانت مضامينها لا يستعين فيها مقدمها بلا أي مصدر، فمقدم البرامج (الطبيب) يعتمد على معلوماته المكتسبة فقط، و خاصة عندما يكون في وضع النصح والإرشاد، وهذا ينعكس سلبا على المستمع الذي يبحث دائما عن الجديد، وتوثيق المعلومة.

4- التحليل الكيفي لفئة الهدف :

هدفت البرامج الصحية التي تبثها إذاعة بومرداس الى توعية المستمعين بمختلف الأمراض ومسبباتها مثل سرطان الثدي، السيدا، اسباب التبول اللاإرادي عند الاطفال، التهاب اللوزتين، الزكام عند الأطفال، تنظيم الانجاب، تشنج العضلات، والوقاية من أضرار التسممات الغذائية، أضرار الكيس المائي.

كما هدفت البرامج الصحية أيضا الى الوقاية وذلك من خلال تزويد الجمهور بالمعلومات الأساسية عن الامراض التي يمكن تجنبها و إشاعة التدابير الوقائية، ففي مرحلة قبل انتشار الإصابة بالمرض يتولى مهمة تنبيه الجماهير ، مثل تنبيه المستمع الى خطورة الافراط في أكل اللحم، تجنب بعض الممارسات التي تؤدي الى الإصابة بمرض السيدا، التنبيه الى خطورة بعض السلوكيات مثل اللعب بالمفرقات في الاعياد . التنبيه الى خطورة الافراط في استعمال بعض الادوية مثل دواء البراسيتامول، التنبيه الى ضرورة التلقيح ضد الزكام الموسمي، تبيان الاسباب الصحية لرسوب الطفل المتمدرس و الدعوة لتجنبها لضمان سنة دراسية خالية من المشاكل الصحية بالنسبة للطفل، الاعتناء بصحة المرأة الحامل .

أما في المرحلة الثانية أي في مرحلة ما بعد انتشار المرض، فيهدف الى تقويم السلوك البشري لمنع انتشار العدوى ، مثل التنبيه الى المضاعفات التي تنتج عن السلوكيات غير الصحية بالنسبة للمرضى بالسكري و السرطان.

الخاتمة:

لم تغطي قضايا التوعية الصحية في إذاعة بومرداس المحلية بالاهتمام نفسه الذي تغطي به برامج الاخبار مثلا و البرامج الرياضية و السياسية و الترفيهية، ونتائج تحليل البرامج الصحية تؤكد ذلك ، حيث كان الهامش الزمني الذي خصص لها قصير جدا ، كما ان المعالجة الاخبارية للقضايا الصحية الحالية من التحليل و التفسير، يؤكد ان الإذاعة تسعى لتقديم معلومات صحية سطحية، عدم الاستعانة بصحفي متخصص في مجال الصحة، وقد انعكس ذلك على تغطية

القضايا الصحية بأسلوب يغلب عليه الطابع الإخباري السطحي للقضايا الصحية، عدم الاستعانة بمصادر توثق المعلومة الصحية وتكسبها الطابع الموضوعي.

المراجع:

- 1- خضور أديب: " الإعلام المتخصص"، المكتبة الإعلامية، دمشق، 2003، ص:30.
- 2- القليني سوزان: انتاج البرامج للراديو و التلفزيون، دار النهضة العربية، 32 شارع عبد الخالق ثروت، القاهرة، 2014، ص:186.
- 3- خضور أديب: " الإعلام المتخصص"، المكتبة الإعلامية، دمشق، 2003، ص: 28 .
- 4- خضور أديب،.: " الإعلام المتخصص"، المكتبة الإعلامية، دمشق، 2003، ص:30
- 5- الحسن عيسى حمد : العمل الإذاعي ماهيته طبيعته مبادئه، (دط) ، دار زهران. للنشر و التوزيع ، عمان ، 2008. ص: 30.
- 6- فضيل دليو: مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1998.

المقاربات البحثية في دراسات وضع الأجندة...

من وسائل الإعلام التقليدية إلى الوسائط الجديدة

أ: إلهام بوثلجي - جامعة البليدة 2

ملخص:

يوثق هذا المقال التطورات التي مرت بها المقاربات البحثية في دراسات وضع الأجندة منذ اختبارها العلمي لأول مرة على يد الباحثين "شو" و "ماكومبس" سنة 1972، مروراً بالاتجاهات التي ميزت هذا المقترح طيلة خمس عقود من الزمن، و إلى غاية الوصول للمستوى الثالث للبحوث في ظل البيئة الرقمية للاتصال والإعلام التي نجم عنها ظهور الوسائط الجديدة ووسائل التواصل الاجتماعي.

وفي هذا السياق، سنسلط الضوء على التغيرات التي طرأت على النظرية وما مدى ملائمتها لدراسة العلاقة بين ترتيب أولويات الرأي العام ووسائل الإعلام الجديدة، خاصة أن تعدد الوسائط الجديدة وتطورها أضحى يمثل تحدياً بحثياً لنظرية وضع جدول الأعمال في الوقت الحالي، والتي تواجه فرضياتها شروط بيئة الوسائط الرقمية الجديدة وسرعة وصول المعلومات وعدم إمكانية القاءم بالاتصال التحكم فيها، وهو ما يدعو لطرح سؤال حول مدى مواءمة هذه النظرية لدراسة علاقة التأثير بين الجمهور و الميديا الجديدة ؟

الكلمات المفتاحية: وضع الأجندة، وسائل الإعلام التقليدية، الوسائط الجديدة، وسائل التواصل الاجتماعي.

Abstract: This article is documenting the developments of the research approaches to the agenda studies since its scientific testing for the first time by researchers "Shaw" and "Macomb's" in 1972, while reviewing the trends that characterized this approach for five decades. And trying to monitor developments in this approach in the digital environment of communication and information that resulted in the emergence of new media and social media.

In this context, we will highlight the changes in the concepts of the theory and their relevance to examine the relationship between prioritizing public opinion and the new media. Especially as the new multimedia and its development have become a research challenge to the present agenda theory, whose conditions are faced by the conditions of the new digital media environment and the speed of information access, Calls for a question about the suitability of this theory to study the relationship between the public and the new media?

Keywords: agenda setting, traditional media, new media, social media.

مقدمة:

تتفق جل الدراسات الإعلامية على أن أول من أسس لنظرية وضع الأجندة هما الباحثان ماكوبس وشو اللذان انطلقا في دراستهما من ما توصل إليه والتر ليبمان "LIPMEN" في كتابه الرأي العام الكلاسيكي سنة 1922، حيث رسم من خلاله الخطوط العريضة لمجالات تأثير الأجندة والتي برزت في الفصل الأول للكتاب بعنوان "العالم الخارجي والصور في رؤوسنا" لافتا من خلاله إلى أن وسائل الإعلام الإخبارية هي المصدر الرئيسي لتلك الصور في أذهاننا وجاء فيه " ما نعرفه عن العالم يعتمد بشكل كبير على ما تقرره وسائل الإعلام لإخبارنا بشكل أكثر تحديدا"¹

فبناء على هذا الطرح فإن أولويات وسائل الإعلام تؤثر بقوة على أولويات الجمهور من خلال إبرازها لمجموعة من المواضيع والقضايا اليومية في قصصها الخبرية، حيث شغلت دراسات وضع الأجندة خاصة تلك المتعلقة بأولويات قضايا الإعلام وأولويات قضايا الرأي العام والسياسية العامة الحيز الأكبر من اهتمامات الباحثين والدارسين للإعلام وبحوث الاتصال السياسي على مدار سنوات، إلا أنه وفي عصر ما بعد الاتصال الجماهيري وتدفق المعلومات وما أفرزته

¹ Maxwell Macombs, The agenda-setting role of the mass Media in the shaping of public opinion, University of

texas at Austin ,p1. at: https://www.researchgate.net/publication/237394610_The_Agenda-Setting_Role_of_the_Mass_Media_in_the_Shaping_of_Public_Opinion .available at 22/01/2018

تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة فقد تغيرت أنظار الباحثين والدراسات للتساؤل عن موقع نظرية وضع الأجندة في عصر المعلومات.

ومن خلال هذا المقال سنسلط الضوء على معالم نظرية وضع الأجندة والتحدي الذي يواجهها داخل بيئة الوسائط الجديدة، والاتجاهات الحديثة لبحوث الأجندة وهذا من خلال طرح سؤال الإشكالية التالي: ماهي أسس البحث الجديدة التي تطرحها نظرية وضع الأجندة مع التطورات الحاصلة في مجال الإعلام؟

1. التوصيف النظري لنظرية وضع الأجندة:

1.1 - مفهوم وضع الأجندة:

استمد الباحثون تعريفهم لمفهوم الأجندة من العبارة الشهيرة التي أطلقها برنارد كوهين في كتابه "الصحافة والسياسة الخارجية عام 1963، والتي مفادها أن: "الصحافة يمكن ألا تكون ناجحة كثيرا في أن تقول للناس بماذا يفكرون، ولكنها ناجحة إلى حد كبير في أن تقول للقراء عن الأشياء التي يفكرون حولها".¹ حيث أضحت المنطلق الأول للباحثين والدارسين لنظرية ترتيب الأولويات وتطبيقاتها في الاتصال السياسي وفي مختلف أبحاث الإعلام المتعاقبة على سنوات.

ومن بين أهم التعاريف لوضع الأجندة نذكر:

يعرفها "M. sanchez" بأنها: "العملية التي بواسطتها تحدد وسائل الإعلام بما نفكر وحول ماذا نقلق".²

أما "James watson" فيرى أن وضع الأجندة عبارة عن: "مجموعة من الموضوعات عادة يكون ترتيبها حسب أهميتها"³

¹. أحمد زكرياء أحمد، نظريات الإعلام: مدخل لاهتمامات وسائل الإعلام وجمهورها، المكتبة العصرية، مصر، الطبعة الأولى، 2012، ص 7.

². M.sanchez,agenda setting.spring2002. at:<https://www.comprofessor.com/2012/10/media-agenda-8/2011setting.html>. available at 22/0

³. نسرين محمد عبده حسونة، نظريات الإعلام: نظرية وضع الأجندة، نظرية تحليل الإطار الإعلامي، محاضرات بجامعة القاهرة، 2015، ص 3.

في حين يعتبرها "Stephen Batroson" بأنها العملية التي تبرز فيها وسائل الإعلام قضايا معينة على أنها مهمة وتستحق ردود الحكومة والجمهور، من خلال إثارة انتباههم لتلك

القضايا، بحيث تصبح ذات أولوية ضمن أجندتهم، وأن الفرد الذي يعتمد على وسيلة إعلامية ما ويتعرض لها سوف يكتيف إدراكه وفقا للأهمية المنسوبة لقضايا تلك الوسيلة ..¹

ويقول ماكبوس "أن وضع الأجندة يتمثل في قدرة وسائل الإعلام الإخبارية على توجيه اهتمام الرأي العام سواء السلطة السياسية أو الجمهور حول قضايا معينة من خلال بث مجموعة كبيرة من الإشارات وبروز هذه الموضوعات يوميا وعرضها في الصفحات الأولى " ²

وبناء على هذه التعريفات يمكننا القول أن وضع الأجندة هي العملية التي تقوم بها وسائل الإعلام من خلال وضعها الأخبار والمعلومات التي تحدث في محيطنا على شكل قوالب تساعد على فهمها وإدراكها لدى المتلقين، وهذا من خلال التركيز على قضايا معينة وتكرار نشرها والحديث عنها، حيث ترتب وسائل الإعلام الأحداث والقضايا لعرضها على الجمهور، بهدف تغيير اتجاهاته والتأثير على اهتماماته بما يتناسب وسياساتها التحريرية .

2.1- فروض نظرية وضع الأجندة:

تستند معظم الدراسات الخاصة بترتيب الأجندة على الفرض الرئيسي الذي تبناه كل من ماكبوس وشو في دراستهما الأولى بناء على التصورات التي طرحها كل من كوهين في الستينيات من القرن الماضي و ليمان في العشرينيات منه، والذي مفاده:

✓ يوجد اتفاق بين ترتيب أجندة وسائل الإعلام وترتيب أجندة الجمهور للاهتمام بالقضايا والموضوعات الإعلامية، أي وجود ارتباط ايجابي بين ترتيب الاهتمام لكل من الوسيلة والجمهور .³

وتشير الباحثة **Amber Freeland** * إلى فرضين أساسيين يحددان اتجاهات البحوث في دراسات وضع الأجندة وهما:¹

¹ . نفس المرجع، ص4.

² .cit.. Maxwell Mecombs. op

³ . محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2015، ص409.

- ✓ الصحافة ووسائل الإعلام لا تعكس الواقع وإنما تشكله وتصوره.
- ✓ تركيز وسائل الإعلام على عدد قليل من القضايا والموضوعات يقود الجمهور إلى اعتبار هذه القضايا أكثر أهمية من القضايا الأخرى.
- ساهمت الدراسات المختلفة التي اهتمت ببحوث الأجندة على مدار خمس عقود من الزمن في تجزئة الفرض الرئيسي للنظرية إلى فروض أخرى وهي:²
- ✓ تبنى النظرية على افتراض أن لوسائل الإعلام تأثير قوي على العامة أو الجمهور.
- ✓ الاتصال يبدو كعملية تركز على المرسل كمحور رئيسي بها.
- ✓ تفترض النظرية أن الصحفيين ومصادرهم المختلفة والجمهور يفسرون الخبر أو القضية بنفس الطريقة أو بطريقة مشابهة تماما.

2. بحوث الأجندة البدايات والمعالم:

1.2 البوادر الأولى لبحوث الأجندة :

تتفق معظم الدراسات الإعلامية على أن البوادر الأولى لنظرية وضع الأجندة لم تكن وليدة أبحاث ماكوبس وشو في السبعينيات من القرن الماضي حتى وإن كانت دراساتهم تعد الأولى علمياً، لكنها ظهرت قبل ذلك بكثير في شكل إشارات ضمنية لاجتهادات ودراسات باحثين في مجال الإعلام والاتصال، تم تحويلها وتشكيلها لتتبلور من خلالها الفروض الأولى لنظرية وضع الأجندة .

فقبل اختراع التلفزيون، أشار والتر ليبمان **W.Lippmann** في كتابه المعنون بـ "الرأي العام" **Public Opinion** سنة 1922، في عنوان أحد فصوله "العالم الخارجي والصور في أذهاننا" إلى وضع الأجندة ضمناً من خلال قوله "أن أخبار وسائل الإعلام هي المصدر الرئيس للصور في أذهاننا حول الشؤون الخارجية لعالم الخارجي

¹ . Ameber Freeland, An Overview of agenda-setting theory in mass communication, University of North Texas, November 2012.

at: https://www.academia.edu/3355260/An_Overview_of_Agenda_Setting_Theory_in_Mass_Communications

.8/2012. available at 26/0

* باحثة في مجال الإعلام والاتصال بجامعة شمال تكساس لها عدة بحوث حول نظرية وضع الأجندة.
² . نسرین محمد عبده حسونة، مرجع سبق ذكره، ص5.

والتي هي ليست في متناولنا وبعيدة عن أنظارنا وعن عقولنا" بمعنى أن عناصر السمات البارزة في صور وسائل الإعلام حول العالم يتم نقلها إلى عناصر الصور الموجودة في أذهان الجمهور.¹

ومن بين أهم المفاهيم الرئيسية في نظرية تحديد الأجندة هو الاختيار الذي تقوم به وسائل الإعلام في عملية قبول أو رفض مفردة من المفردات الإخبارية، وهو المفهوم الذي ابتكره "كورت ليوين" Kurt Lewin سنة 1947، في دراسته حول قرارات ربات البيوت بخصوص شراء مواد غذائية، حيث توصل فيها إلى أن المعلومات تتدفق عبر بعض القنوات التي تحتوي على "مناطق بوابات" أين تتخذ القرارات سواء طبقا لقواعد أحادية أو شخصية من طرف حراس البوابة، وهذه الفكرة طبقها White وايت 1950 في دراسة قرارات محرر القصص البرقية الخبرية في جريدة أمريكية بشأن قبول البرقيات أو رفضها والتي اعتبرها القرارات الأهم في حراسة البوابة.²

كما ظهرت إشارات مشابهة ومباشرة عن وضع الأجندة في عام 1958 في مقال نشره "نورتن لونج" قال فيه "إن الصحف هي المحرك الأول في وضع جداول الأعمال الإقليمية ولها دور كبير في تحديد ما سوف يتحدث عنه معظم الناس، وما يفكرون فيه على أنه حقائق بالإضافة إلى الطريقة التي يعتبرونها مناسبة للتعامل معها".³

وأشار كل من "كورت لا نج" و"آنجل لا نج" في عام 1959 إلى فكرة وضع الأجندة من خلال قولهما أن: "وسائل الإعلام توجه الانتباه بقوة نحو قضايا محددة، إنها تبني التصورات الجماهيرية نحو القيادات السياسية كما أنها تقدم وبشكل ثابت ما يجب على الأفراد التفكير فيه، وما يجب أن يعرفوه وما يجب أن يحددوا مشاعرهم اتجاهه".⁴

ومن بين أهم المقولات التي يبنى عليها الباحثون دراساتهم ويستشهدون بها في نظرية وضع الأجندة، هي العبارة التي جاءت في كتاب برنارد كوهين سنة 1963 "الصحافة والسياسة الخارجية" والتي مفادها "قد لا تنجح الصحافة في معظم الوقت في إخبار الناس بما يفكرون به، ولكنها ناجحة بشكل مذهل في إخبار قرائها بما يفكرون فيه". أي

¹. عبد الرحمان عزي، السعيد بومعيزة، الإعلام والمجتمع: رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية والإسلامية، الورسم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010، ص110.

². عبد الرحمن عزي، السعيد بومعيزة، مرجع سبق ذكره، 2010، ص112.

³. حسني محمد نصر، نظريات الإعلام، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، الجمهورية اللبنانية، ط1، 2015، ص177.

⁴. p89,press Jian-HuaZhu, Deborah Blood, Media agenda-setting theory, University of Newyork.

أن الصحافة بإمكانها أن تخبر الناس بالقضايا التي يفكرون فيها من خلال تركيزها على قضية مقارنة بأخرى.¹ حيث عبر كوهين عن المعنى الذي انبثقت منه دراسات الأجندة دون الإشارة إليه بالاسم.

2.2 الاختبارات العلمية للفرضية:

شهدت بحوث الاتصال الجماهيري خلال فترة السبعينات من القرن العشرين نقطة تحول كبيرة، فبعدما سيطرت عليها بحوث التأثير خلال الثلاثينات والأربعينات وتلتها بحوث التأثير المحدود والتي تركز على النموذج الإقناعي، ظهر النموذج المعرفي الذي يتحدث عن دور وسائل الإعلام كأداة لتزويد الجماهير بالمعلومات اللازمة لهم، حيث تُجسد نظرية وضع الأجندة أهم أسس هذا النموذج.

برزت المعالم الأولى لنظرية وضع الأجندة بمفهومها الحالي في أول دراسة علمية أجراها الباحثين "دونالد شو" و"ماكوبس" في عام 1972، والتي ركزت على دور وسائل الإعلام في حملة الانتخابات الرئاسية لعام 1968، في تشابل هيل بولاية نورث كارولينا.²

وفقا لهذه النظرية فالمعلومة التي تبثها وسائل الإعلام يمكن أن تؤثر على المتلقي من خلال منح الأهمية لحادثة أكثر من أخرى أو لتصريح سياسي من دون باقي التصريحات أو لسياق وحدث اجتماعي أكثر من آخر، وهذا من خلال توجيه ولفت انتباه الجمهور لمجموع القضايا التي تختارها وسائل الإعلام وهو جوهر نظرية وضع الأجندة، حيث يرى شو و ماكوبس أن وسائل الإعلام الإخبارية تعمل على لفت انتباه الجمهور من خلال التركيز على قضايا دون أخرى أو ما يسميها الصحفيون ومتهنو الصحافة "العناوين الكبرى" أو "القضايا الساخنة".³

وشرح كل من ماكوبس وشو كيفية وضع جدول الأعمال في كتابهما "ظهور القضايا السياسية الأمريكية"، لافتين فيه إلى وجود أدلة كثيرة تم جمعها تبين أن المحررين والمذيعين يلعبون دورا مهما أثناء قيامهم بمهامهم اليومية في تحديد الأخبار ونشرها، ومن هنا فوسائل الإعلام الجماهيرية القدرة على إحداث تغيير إدراكي بين الأفراد وهيكل تفكيرهم، وعند

¹ at: Mass media and its influence on behaviour (Agenda-setting theory).

https://www.academia.edu/30159346/Mass_media_and_its_influence_on_behaviour_Agenda-setting_theory.

available at 26/08/2012.

² Agenda Setting Definition, Function, Process & Examples, Anne Marie.

At : <https://study.com/academy/lesson/agenda-setting-definition-function-process-examples.html> available

2018/2at 26/0

³ 45p., presses universitaires de Grenoble, janvier 2017, Le pouvoir des médias, Grégory Derville.

إجرائهما لدراسة " شابل هيل Chapel Hill، أكدا على أهمية وضع الأجندة، وكان تركيزهما وهدفهما من هذه الدراسة هو أن قضايا جدول الأعمال الموجودة في وسائل الإعلام وفي ذهن الجمهور العام هي التي تحدد جدول أعمال وسائل الإعلام.¹

وانطلق كل من "شو" و"ماكوبس" في دراستهما التي شملت 100 مبحث من الناخبين المترددين في منطقة شابل هيل بولاية كارولينا الشمالية، واعتمدت على تحليل مضمون وسائل الإعلام التي تخدم هؤلاء الناخبين والتي ضمت خمس صحف يومية ومجلتين إخباريتين ونشرات الأخبار في قناتين تلفزيونيتين، من الفرض الذي مفاده أن سائل الإعلام تضع الأجندة لكل حملة سياسية وتؤثر بالتالي في اتجاهات الجمهور نحو القضايا السياسية... وتوصلا فيها إلى أن هناك علاقة قوية جدا بين الاهتمام الذي أولته وسائل الإعلام للقضايا الانتخابية المختلفة وبين حكم الناخبين على أهمية مختلف قضايا الحملة.²

وبعد هذه الدراسة انضم الباحث David Weaver "ديفيد ويفر" إلى ماكومبس وشاو سنة 1972 في مشروع بحث لإعادة اختبار فروض النظرية في الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام 1976، حيث درس الباحثون سمات جدول الأعمال ووصف المرشحين للرئاسة في الأخبار، وسمات جدول الأعمال في أوصاف الناخبين للمرشحين، واكتشف الباحثون وجود علاقة بين أجندة وسائل الإعلام والأجندة العامة، ويلعب المستوى الثاني من جدول الأعمال دورًا مهمًا في هذه الدراسة لأنه يقرر أجزاء القضايا المهمة فيما يتعلق بالانتخابات الرئاسية.³

وفي السياق ذاته، تزايدت البحوث التي اختبرت فروض "وضع الأجندة" لتصل مئات البحوث التي أيدت الفرضية، ففي سلسلة من الدراسات التي امتدت عبر فترات زمنية طويلة حول وضع الأجندة توصل Funk-Houser "فونكهاوزر" 1973 وكذلك "ماكوين" Mackuen " إلى عدم اعتماد وسائل الإعلام في تغطيتها الخيرية للقضايا العامة "مثل حرب لفتينام، مشكلة المخدرات" على مؤشرات حقيقية واقعية.⁴

وفي سياق متصل، أثبتت بعض الدراسات التجريبية التي تم إجراؤها حول النشرات الإخبارية المسائية على وجود ارتباط بين التغطية الخيرية للقضية وبروزها، فحينما تعرض المبحوثون في هذه الدراسات وعلى امتداد أسبوع لمشاهدة

¹ M. Sanchez, Agenda Setting, 2002. at: <http://zimmer.csufresno.edu/~johnca/spch100/7-4-agenda.htm>.

8/2013 available at 30/0.

² حسني محمد نصر، مرجع سبق ذكره، 2015، ص 177.

³ M. Sanchez, op.cit.,

⁴ . ibid.

تقارير إخبارية لقصاص إخبارية بشأن قضية التلوث والاستعدادات الحربية بالولايات المتحدة الأمريكية، أعطوا اهتماما أكبر لهذين القضيتين مقارنة بالمبحوثين الذين تعرضوا لقدر أقل بكثير من التغطية الخبرية لهذين القضيتين.¹

منذ دراسة تشابل هيل الأصلية، كان هناك أكثر من 425 دراسة تجريبية لاختبار نظرية وضع جدول الأعمال، وتأکید العلاقة السببية بين وسائل الإعلام والجمهور، أي أن إعداد جدول الأعمال هو نقل الأهمية من وسائل الإعلام إلى الجمهور، مما يعني أن وسائل الإعلام تؤثر على مدى أهمية القضايا والتي يتسبب زيادة ظهورها في اهتمام الجمهور بها وهذا هو المستوى الأول من مقترب تحديد الأجندة، فيما تشكل المستوى الثاني منه مع تطور النظرية، حيث يعتبر أنه لا يوجد فقط نقل لأهمية القضية، ولكن هو نقل لأهمية مميزة للقضية، فوسائل الإعلام من هذا المنطلق تعزز جوانب معينة من القضايا أكثر من غيرها مما يجعلها أكثر أهمية للجمهور.

على سبيل المثال عندما انفجرت فضيحة "كلينتون -لوينسكي" عام 1998، وسائل الإعلام استغرقت أكثر من عام للحديث عن القضية وهذا بعدما نشرت صحيفة نيويورك تايمز القضية دون ذكر اسمها في أي من المقالات، وأدى ذلك إلى انشغال البلاد كلها بالفضيحة مع تكشف التغطية المتسمة لها، وعندما أجرت ABC News وواشنطن بوست دراسة استقصائية تبين أنه من بين 87٪ من الذين شملهم الاستطلاع كان تشجيع الأخلاق والقيم عامل في قرار تصويتهم للرئيس، مع الطريقة التي ظهرت بها الأخبار، حيث أصبحت أخلاق الرئيس سمة من سمات الفضيحة التي تهم الجمهور أكثر، وهذا مثال على إعداد جدول أعمال المستوى الثاني.²

3. اتجاهات بحوث الأجندة:

عرفت البحوث الخاصة باختبار وضع الأجندة تزايدا واهتماما منقطع النظير من قبل الباحثين وخاصة في مجال بحوث الاتصال السياسي وقياس الرأي العام وكذا الدراسات التي اهتمت بالسلوك الانتخابي.. ، وتدرجت هذه البحوث عبر مستويين اثنين منذ بدايتها في دراسة "شابل هيل".

ويصنف "ماكوبس" هذه البحوث ضمن مستويين اثنين وهما:³

¹ . محمد فضل الحديدي، نظريات الإعلام: اتجاهات حديثة في دراسة الجمهور والرأي العام، مطبعة ناس دمياط، مصر،

2006، ص 62.

² . Jamie Baird ,An Examination of Agenda Setting Theory and Its Importance in the Public Relations Industry.

8At: <https://sites.psu.edu/jamiebaird/agenda-setting-theory/> available at 06/06/201

³ . Anne Marie. op.cit.

✓ **المستوى الأول:** وهو الأكثر دراسة من قبل الباحثين وغي هذا المستوى لجدول الأعمال تستخدم وسائل الإعلام مواضيع أو قضايا للتأثير على الجمهور، حيث تقترح هذه الوسائل ما يجب أن يفكر به الجمهور ومقدار التغطية يلعب دورا مهما في ذلك.

✓ **المستوى الثاني:** وفي هذا المستوى تركز وسائل الإعلام على خصائص الأشياء أو القضايا حيث تقترح وسائل الإعلام كيف ينبغي أن يفكر الناس في هذه القضية. و هناك نوعان من السمات: المعرفية (توضيحية، أو الموضوعات) والعاطفية (التقييمية، أو الإيجابية، السلبية، المحايد).

وفي هذا السياق قسم "ماكوبس" بحوث الأجندة إلى أربعة أشكال رئيسية تعكس تطور الاتجاهات الخاصة بهذه البحوث وهي كالتالي:¹

✓ **الدراسة الأصلية** "شابيل هيل" والتي اختبرت الفرض الرئيس الخاص بأن نموذج التغطية الإخبارية يؤثر في إدراك الجمهور لأهمية القضايا اليومية.

✓ **الدراسات الخاصة بالأدوار المقارنة للصحف والتلفزيون، والمصطلحات النفسية مثل الحاجة إلى التكيف، واتفاق الاتصال الشخصي مع عملية الاتصال الجماهيري** ومثل هذه الأعمال قدمها كتاب "ظهور السياسة الأمريكية" حيث اختبر فرض الأجندة بالإضافة إلى هذه الدراسات.

✓ **الشكل الثالث الذي اهتم بالكشف عن صور المرشحين واهتماماتهم السياسية كبديل للأجندة.**

✓ **بحلول الثمانينات انتقلت البحوث بالأجندة الإخبارية من متغير مستقل الى متغير تابع واستبدلت السؤال من يضع أجندة الجمهور؟ بالسؤال: من يضع الأجندة الإخبارية؟ وهذا الشكل لبحوث الأجندة يعتبر الأكثر تعقيدا من الثلاثة السابقة، حيث يهدف إلى شرح و وصف ارتباطها المختلفة.**

1.3. مكونات عملية وضع الأجندة:

يصنف الباحثون مكونات "وضع الأجندة" إلى ثلاث وهي: أجندة الجمهور "public Agenda"، أجندة وسائل الإعلام "Media Agenda"، وضع أجندة السياسة العامة.²

¹. يوسف محمد، النظريات النفسية والاجتماعية في وسائل الاتصال المعاصرة والالكترونية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2012، صص 465، 466.

². بسيوني إبراهيم حمادة، دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، صص 183.

✓ **أجندة الجمهور:** وهي التي تستند على أولويات اهتمام الجمهور كمتغير تابع لها، وبرز هذا الاتجاه في أبحاث "شو" و"ماكويس"، واستنادا لهذا الطرح فإن لوسائل الإعلام تأثير على أجندة الجمهور حسب عدة اعتبارات والتي يتم التأكيد عليها، على غرار كل من "المألوفية، البروز الذاتي، التفضيل" وتتكون من الأجندة الذاتية، والأجندة الشخصية، الأجندة الخاصة بالمجتمع.

✓ **أجندة وسائل الإعلام:** وهي التي تكون أولويات قضايا وسائل الإعلام متغيرا تابعا لها، وارتبط هذا المجال البحثي بالدراسات الاجتماعية، حيث تشمل هذه المكونات "الرؤيا، البروز لدى الجمهور، التكافؤ" وتتكون من أجندة الصحف وأجندة التلفزيون والوسائل الأخرى.

✓ **وضع أجندة السياسة العامة:** وتتخذ من أولويات القضايا السياسية العامة ودوائر صنع القرار وأولويات اهتمام صانعي القرار متغيرا تابعا لها، في حين تمثل اهتمامات وسائل الإعلام المتغير المستقل، وتنشأ تلك الأجندة عن طريق السياسة والحكومة وتشمل "التأييد، الفعل المتوقع، حرية اتخاذ القرار".

2.3. المتغيرات المؤثرة في عملية وضع الأجندة:

مع التطور الحاصل في بحوث الأجندة، تجاوزت التطبيقات البحثية مجرد اختبار تأثير المتغير المستقل في أجندة وسائل الإعلام على المتغير التابع لأجندة الجمهور، ليتحول اهتمام الباحثين لاختبار تأثير المتغيرات الوسيطة والتي لها دور أيضا في عملية وضع الأجندة.

لخص الباحثون المتغيرات الوسيطة المؤثرة في عملية وضع الأجندة في عدد من المتغيرات و أهمها نجد: طبيعة القضايا، أهمية القضايا، المدى الزمني، الاتصال الشخصي، الخصائص الديموغرافية، نوع الوسيلة الإعلامية المستخدمة.¹

✓ **طبيعة القضايا:** ونجد نوعين من القضايا، الملموسة والمجردة، فالأولى تعني القضايا التي يعايشها أفراد الجمهور ولديهم خبرات شخصية حيالها، أما الثانية فهي تلك التي لا يتمتع حيالها الجمهور بخبرات شخصية ولا يمكنهم تصورها، وفي دراسة زوكر "zucker" عام 1978 قام الباحث بالتطبيق على ست قضايا، وخلصت نتائجها إلى أن لوسائل الإعلام تأثير دال فيما يتعلق بوضع أجندة القضايا المجردة الثلاث وهي: التلوث، المخدرات، الطاقة، فيما لم يكن التأثير نفسه بالنسبة للقضايا الثلاثة الأخرى الملموسة وهي: تكاليف المعيشة، البطالة والجريمة... ويختلف الباحثون بأن تحديد نوع القضايا الملموسة، ففي حين يرى "زوكر" أن الجريمة قضية ملموسة يرى "ويفر" أنها غير ملموسة، ولذا فتقسيم القضايا يتوقف على خبرات الباحث ودرايته بطبيعة جمهوره والقضايا التي يدرسها.²

¹. أ. أحمد زكرياء أحمد، مرجع سبق ذكره، 2012، ص 22.

². نفس المرجع، ص 23، 24.

✓ **أهمية القضايا:** تعتبر أهمية القضية لدى الجمهور من المتغيرات التي تؤثر في عملية وضع الأجندة، حيث افترض "كاتز" وزملاؤه أن هناك علاقة ارتباطية إيجابية بين درجة اهتمام الجمهور بالقضية وبين أولوياته الشخصية، أي أنه كلما كانت القضية التي تعرضها وسائل الإعلام ذات أهمية لدى الجمهور كلما وقعت ضمن أولوياته، وأشارت نتائج الدراسات في ذات السياق أن اهتمام الجمهور يرتفع بالقضايا التي تسبب له تهديدا مباشرا مثل التلوث، مرض الإيدز، حيث تؤدي أهمية الموضوع إلى زيادة تأثير وسائل الإعلام مما يعني إعادة ترتيب أولويات الجمهور وفقا لترتيب أولويات وسائل الإعلام.¹

✓ **المدى الزمني:** أشار روسلر "Roessler" إلى أن تأثير وضع الأجندة يرتبط بطبيعة القضايا محل هذا التأثير والتي قد تستغرق زمنا قصيرا أو طويلا، ولذلك فإن وسائل الإعلام حتى تقوم بدورها في التأثير في عملية وضع الأجندة فهي تتطلب فترات زمنية مختلفة.²

ويطرح الباحثون في هذا السياق سؤالا حول الوقت المطلوب لحدوث التأثير؟ ففي دراسة لـ "جيرالد ستون" و"ماكوبس" في 1981 انتهت إلى أن الفترة المتاحة تتراوح من شهر إلى ستة أشهر لينتقل التأثير من أجندة وسائل الإعلام إلى أجندة الجمهور، بينما وجد "وينتر" و"إيال" في الدراسة التي قارنوا فيها بيانات استطلاعات جالوب لمدرجات الجمهور لأهمية الحقوق المدنية وتغطية جريدة "نيويورك تايمز" لهذه القضية من عام 1954، 1976 وجد الباحثان أن فترة من أربعة إلى ستة أسابيع كافية لبناء علاقة بين أجندة الجريدة والجمهور حول موضوعات هذه القضية، فيما وجد بسيوني حمادة سنة 1991 أن شهر واحد كاف لبناء هذه العلاقة.³

✓ **الاتصال الشخصي:** أثبتت العديد من الدراسات وجود تأثير لمتغير الاتصال الشخصي على عملية وضع الأجندة، حيث أكد "شو" عام 1972 وجود اختلاف في أجندة وسائل الإعلام التي تتربى على التماس الأفراد للمعلومات وسلوكهم الاتصالي، كما كشف كل من "Bymes،Becker،Mcleod" في دراستهم سنة 1974 أن الاتصال الشخصي يعتبر متغيرا وسيطا بين أجندتي وسائل الإعلام والجمهور، ومن الممكن في ظل ظروف متنوعة أن يؤدي إلى ارتفاع أو انخفاض تأثيرات وسائل الإعلام في وضع أجندة الجمهور، وأشارت دراسة "روسلر" "Roessler" إلى أن الاتصال الشخصي والتحدث مع الآخرين حول القضايا التي تطرحها وسائل الإعلام بشكل

¹. سالم عيسى بالحاج، الإعلام والرأي العام: دراسة في ترتيب الأولويات في المجتمع الليبي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003، ص 112.

². أحمد زكرياء أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 27.

³. محمد عبد الحميد، مرجع سبق ذكره، 2015، ص 414.

مكتشف من الممكن أن يؤدي إلى زيادة أهميتها، حيث أن بروزها في الصحافة قد يثير الجدل والنقاش حولها، وهو ما يؤدي إلى ارتباط ملحوظ بين أجندة الجمهور ووسائل الإعلام.¹

✓ **الخصائص الديموغرافية:** اختلفت نتائج هذه الدراسات عند اختبار تأثير خصائص الجمهور الديموغرافية على ترتيب أولوياته، وذلك وفقا لنوعية الفئة الاجتماعية لجمهور الدراسة ونوع الدراسة نفسها إضافة لنوع الوسيلة، حيث أكدت بعض الدراسات على أهمية متغيري التعليم والمستوى الاقتصادي لما لهما من تأثير واضح على قدرة الاطلاع وشراء الصحف، في حين ركزت دراسات أخرى على تأثير متغيري المهنة والعمر في دور وسائل الإعلام بترتيب أجندة جمهورها، حيث وجد "شو" و "مارتن" علاقة ارتباطية بين معظم المتغيرات الديموغرافية والوسيلة المعتمد عليها وقدرة هذه الوسيلة على ترتيب أولويات جمهورها.²

✓ **نوع الوسيلة الإعلامية المستخدمة:** اختبر الباحثون في مجال دراسات وضع الأجندة تأثير الاختلافات بين وسائل الإعلام في عملية وضع الأجندة، حيث أشارت بعض الدراسات إلى أن وظيفة وضع الأولويات لا ترتبط بزيادة التعرض للوسائل الإعلامية وإنما ترتبط أيضا بنوع الوسيلة التي يتم التعرض لها، وكشفت في هذا السياق دراسة لكل من "ونغوسن" و "لارسن" على أن الراديو له دور محدود في وضع أجندة الجمهور مقارنة بالصحف والتلفزيون وهو ما يفسر اهتمام جل الدراسات الخاصة بوضع الأجندة بالصحف المكتوبة والتلفزيون واستبعاد الإذاعة.³

4. تطور أبحاث وضع الأجندة :

1.4:المقترح الحديث لوضع الأجندة:

منذ أول دراسة أجراها "شو" و "ماكومبس" سنة 1972 لاختبار فرض وضع الأجندة، سيطرت لمدة عقد من الزمن البحوث التي تهتم بالإجابة على الأسئلة التقليدية الخمسة : من؟ ماذا؟ بأي وسيلة؟ لمن؟ بأي تأثير ، لكنها سرعان ما أظهرت محدوديتها في فهم العلاقة بين الرأي العام ووسائل الإعلام وحدود التأثير، وهو ما أدى بالباحثين للانتقال للمستوى الثاني من بحوث الأجندة والذي يركز بالإضافة للأسئلة السابقة على السؤال كيف، واصطلح على تسميته بالمقترح الحديث للأجندة والذي ظهرت معه نظريات ومفاهيم مكملة وهي: التأطير "Framing"، السمة

¹. أحمد زكريا أحمد، مرجع سابق، ص 26.

². سالم عيسى بالحاج، مرجع سبق ذكره، ص 133.

³. أحمد زكرياء أحمد، مرجع سابق، ص 29.

البارزة في الموضوع "characteristic saliency in the Object" والتركيز "priming" والتعرض والانتباه "exposure and attention".¹

✓ **التأطير:** استمد مفهوم الإطار تطبيقاتها في بحوث الأجندة من أعمال جاي توشمان "Gaye Tuchman" حول البناء الاجتماعي للواقع الذي يتم عن طريق التغطيات الإخبارية.²

ويشير الباحثون إلى أن أساس نظرية التأطير هو أن وسائل الإعلام تركز الانتباه على أحداث معينة ثم تضعها في مجال المتلقي، حيث تضع وسائل الإعلام الإخبارية جميع البنود الإخبارية من خلال التأكيد على القيم والحقائق والاعتبارات الأخرى، وتقتصر النظرية أن كيفية تقديم شيء ما للجمهور (يسمى "الإطار") يؤثر على الاختيارات التي يتخذها الناس حول كيفية معالجة تلك المعلومات، وبهذه الطريقة يمكن تفسيرها على أنها شكل من أشكال إعداد جدول الأعمال من المستوى الثاني - فهي لا تختار الجمهور فقط بما يفكر فيه (نظرية وضع الأجندة) ولكن أيضاً كيف نفكر في هذه المسألة (إعداد جدول المستوى الثاني، نظرية الإطار).³

وفي كتاب له سنة 1991 أشار شونتو لينار "Shanto Lyengar" أن وسائل الإعلام الإخبارية خلال تغطيتها قضية الفقر بإمكانها فعل ذلك بطريقتين مختلفتين تماماً، فإما التركيز على سرد قصص شخصية" تأطير عرضي "cadrage épisodique"، أو التركيز على عوامل اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية وهو ما يسمى تأطير موضوعي "cadrage thématique" في حين أنهما يدفعان الجمهور إلى التفاعل بطرق مختلفة.⁴ فالتأطير على عكس الأجندة التي تحاول أن تقول للجمهور بما يفكر فقط، فهو يقدم المواضيع للمتلقين من خلال التركيز عليها ووضعها في إطار معين، كمثال على التأطير ما حدث بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، حيث أن الرد الأولي لإدارة بوش عليها هو تأطير أعمال الإرهاب كجريمة، ليتم استبدالها بالحرب، مما أسفر عنه "الحرب على الإرهاب" حيث تشير الجريمة إلى جلب المجرمين إلى العدالة، ومحاكمتهم في حين أن الحرب تنطوي على حرب للحكومة.⁵

¹. عبد الرحمان عزي، السعيد بومعيزة، مرجع سبق ذكره، ص 121.

². نفس المرجع.

³. Anna Raichuk. Framing, Agenda-Setting and Priming Effects at:

https://www.academia.edu/9827598/Framing_Agenda-Setting_and_Priming_in_Media?auto=download.

8/2014available at 06/0

⁴. P 50 op. cit. . Grégory Derville.

⁵. Anna Raichuk.op.cit.

✓ **التركيز و التعرض والانتباه:** هي عناصر لها صلة بالمستوى الثاني من تحديد الأجندة والتي عالجتها دراسة "Holli" و"al" وركزت حول سلبية أو إيجابية آراء أفراد الجمهور الأمريكي حول بعض البلدان الأجنبية، وهذا من خلال أخبار التلفزيون والبرقيات الإخبارية لبعض وكالات الأنباء والصحف اليومية، وأشار الباحثان إلى التركيز "priming" كأحد مظاهر التعرض لأخبار التلفزيون، ويعني التركيز أن تأكيد التلفزيون على مسائل محددة لا يضيفي فقط مرتبة بروز متزايد، وإنما يوقظ في المشاهدين ذكريات المعلومات التي تحصلوا عليها سابقا حول هذه المسائل، وأن هذه المعلومات كثيرا ما تستعمل في تكوين الآراء حول الأشخاص والجماعات والمؤسسات المرتبطة بهذه المسائل.¹

✓ **السمة البارزة في الموضوع:** تأثير وسائل الإعلام لا يتم من خلال التركيز على موضوع ما فحسب وإنما أيضا عن طريق إبراز بعض سمات الموضوع والتركيز عليها، بمعنى أن السمات التي تركز عليها وسائل الإعلام في المواضيع والأشخاص والوضعيات هي التي تترسخ في أذهان الجمهور.

وبخصوص ذلك قال "Mccombs" و"Al": "مثلما يرسم الرسام الألوان والأشكال من الواقع لينشئ تمثيلا لم يعد واقعا في حد ذاته وإنما صورة عنه، تختار أخبار وسائل الإعلام صفات المترشحين لتبني صورة ملائمة للقصص الإخبارية حول الانتخابات، بينما الأحزاب تختار صفات المترشحين لتبني صورة في إشهارها السياسي الهادف إلى كسب أصوات الناخبين"، ومن هذا المنطلق فإن تأثير أخبار وسائل الإعلام يكمن في تركيزها على مشاكل محددة دون أخرى وفي إبراز بعض أسباب هذه المشاكل وإهمال أخرى، ففي دراسة ويفر للانتخابات عام 1976 لم يكن التركيز فقط على جدول أعمال المترشحين، بل تم التركيز على سمات كل مترشح في عرضه للحملة حيث تشكل وسائل الإعلام صورة لكل مترشح.²

2.4. تطبيقات وضع الأجندة في الإعلام الجديد :

¹. عبد الرحمان عزي، السعيد بومعيزة، مرجع سابق، ص ص 125، 126.

² Maxwell E. McCombs. Donald Shaw, The Evolution of Agenda-Setting Research: Twenty-Five Years in the Marketplace of Ideas *Journal of Communication*, Volume 43, Issue 2, June 1993.p 62.

أضحت التطورات التكنولوجية المتسارعة في عالم الإعلام والاتصال تمثل تحدياً لوسائل الإعلام التقليدية فيما يتعلق بتعرض الجمهور لرسائلها، خاصة لما تمتلكه الوسائل الجديدة من سرعة فائقة في إيصال الأحداث حال وقوعها للمتلقين، ما دفع الباحثين للتساؤل عما إذا كانت نظرية وضع الأجندة لا تزال ملائمة ويمكن اختبار فرضياتها وابتكار تطبيقات إمبريقية لها في ظل وسائل الإعلام الجديدة مقارنة بما كان عليه الحال في وسائل الإعلام التقليدية؟¹

يعتبر الباحث دانيال كارل "Daniel Karell" * أن من المشاكل التي تعترض بحوث الأجندة ضمن بيئة الوسائط الجديدة هي إقامة علاقة سببية بين الوعي العام والتغطية الإعلامية. ويضيف "في عام 2018 مع التأثير العالمي للإنترنت والوسائط الاجتماعية، حيث يمكن لأي شخص العثور على الأخبار التي يبحث عنها بدلاً من الاعتماد فقط على مصدر أو مصدرين.. فيصبح من الصعب إقناع الآخرين بجدول الأعمال"² فبالنسبة إليه لا تعمل نظرية وضع الأجندة للأشخاص الذين اتخذوا قرارهم بالفعل فمثلاً قد يعتقد أحدهم أن ممثله المنتخب هو الخيار الصحيح لهذا المنصب، على الرغم من التقارير العديدة التي تعرضها وسائل الإعلام.

وفي سياق متصل، ترى الباحثة جيسيكا فيزال Jessica T. Feezell أن تصميم النماذج التقليدية لوضع جدول الأعمال كان مبنيًا على فرض أن وسائل الإعلام الرئيسية تؤثر على الأجندة العامة من خلال توجيه انتباه الجمهور، والأهمية المتصورة لبعض القضايا، ومع ذلك فإن تزايد الانتقائية وتجزئة الجمهور في بيئة الوسائط الرقمية الحالية يهددان القوة التقليدية لجدول الأعمال في وسائل الإعلام، فمن التطورات الهامة التي يجب أخذها بعين الاعتبار في ضوء هذا التغيير هو الاستخدام المتزايد لوسائل الإعلام الاجتماعية للترفيه والمعلومات.³

¹. ليلي بولكعيبات، انتقاء الأخبار في وسائل الإعلام: خدمة هادفة للجمهور أم إستراتيجية للتلاعب بالعقول، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 38، ديسمبر 2012، ص 111.

* أستاذ مساعد في البحوث الاجتماعية والسياسة العامة بجامعة نيويورك أبو ظبي متخرج من جامعة واشنطن.

² Karell, Daniel. The Agenda-Setting Theory in Mass Communication. Alvernia Online. *Alvernia University* Online, 20 Feb. 2018, online.alvernia.edu/agenda-setting-theory/.

³ Jessica T. Feezell. Agenda Setting through Social Media: The Importance of Incidental News Exposure and Social Filtering in the Digital Era. Published December 26, 2017.at:

8/2012 <https://www.researchgate.net/publication/322081120>. available at 07/0

1. اختبار وضع الأجندة في المواقع الإخبارية على الانترنت:

ترجع بدايات تطبيق نظرية وضع الأجندة على وسائل الإعلام الجديدة التي خلقتها الشبكة العالمية الانترنت إلى عام 1998، حينما قام الباحث "يون" Yoon بدراسة لاختبار وضع الأجندة في مواقع الصحف الكورية على الانترنت، أراد من خلاله معرفة ما إذا كان استخدام الطلاب الكوريين بجامعة تكساس لمواقع الصحف الكورية يؤثر على ترتيب القضايا الاقتصادية الكورية لديهم... وتوصلت الدراسة المقارنة بين أجندة الجمهور والأجندة الإعلامية لمواقع الصحف الكورية إلى تدعيم حدوث أثر وضع الأجندة بفعل المواقع الإخبارية على الانترنت.¹

وتركز البحوث الجديدة في وضع الأجندة على تحديد سمات المحتوى الإعلامي عبر شبكة الواب والتي تجعل القضية بارزة أو تكتسي أهمية بالغة على غرار الروابط المتشعبة والتي تعتبر آلية من آليات التأطير أو مؤشر على الأهمية التي توليها الوسيلة الإعلامية للقضية، وفي هذا الإطار، قامت الباحثة "وانج" Wang بدراسة لقياس دور الروابط المتشعبة في تقدير الجمهور لأهمية القضية المنشورة على صحيفة على الانترنت.. وخلصت إلى أن استخدام الروابط المتشعبة لنقل القصة الإخبارية جعلها ذات أهمية لدى الجمهور، مقارنة بالقصص التي تم تداولها في المواقع دون روابط بحيث ظهرت للمستخدمين أنها لا تكتسي أهمية لدى الموقع الإخباري نفسه.²

وفي دراسة عام 2007 أجراها الباحث يونج حول دور المواقع الإخبارية المستقلة على الويب في بناء الأجندة الخاصة بالتظاهرات المناهضة للولايات المتحدة الأمريكية في كوريا الجنوبية والتي اندلعت على خلفية مقتل طالبين بواسطة سيارة عسكرية أمريكية سنة 2002، مقارنا ذلك بدور الصحف التقليدية، وتوصل إلى وجود اختلافات واضحة بين تغطية المواقع الإخبارية وتلك الخاصة بالصحف التقليدية سواء من حيث عدد الموضوعات، أو استخدام المصادر الخبيرة، وأطر المعالجة، وأكد الباحث أن المواقع الإخبارية لعبت دور مهم في بناء أجندة الجمهور وتصيد ردود الفعل الجماهيرية الغاضبة التي تحولت إلى مظاهرات مناهضة للولايات المتحدة الأمريكية.³

¹. حسني محمد نصر، نظريات الإعلام، 2015، مرجع سبق ذكره، ص 322.

². نفس المرجع، ص 323.

³. حسني محمد نصر، اتجاهات البحث والتنظير في وسائل الإعلام الجديدة، بحث مقدم إلى مؤتمر وسائل التواصل الاجتماعي: التطبيقات والإشكالات المنهجية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 10، 11 مارس 2015، ص 20.

وأجرى كل من "ماكوبس" و "يونغ" و "لي" خلال سنة 2014 اختبارا لوضع الأجندة في الإعلام الجديد، وخلصت نتائجهم إلى تأكيد صحة الفرضية التي تقول بوجود علاقة إيجابية بين أجندة القضايا المعروضة في وسائل الإعلام المختلفة بما في ذلك الصحف والتلفزيون والراديو، والميديا الجديدة خلال الفترة من 2007 حتى 2011، واعتمد الباحثون على التقارير الأسبوعية التي يعدها معهد "بيو" والذي يتابع أكثر الموضوعات التي تغطيها نحو 40 وسيلة إعلامية من صحف ومواقع ويب إخبارية وشبكات تلفزيونية وشبكات الراديو، وكذلك نتائج استطلاعات معهد "جالوب" للرأي العام خلال نفس الفترة، وهو ما يشير إلى أن وسائل الإعلام الجديدة أصبحت تلعب تقريبا نفس الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام التقليدية في وضع الأجندة، وتعتبر هذه الدراسة المرجع لدراسات المستوى الثالث لوضع الأجندة، حيث يركز هذا المستوى على جزء من عناصر الرسالة المقدمة في الإعلام الجديد والتي تبني عليها تأثيرات وضع جدول الأعمال وفقا للمنظور الذي اقترحه ليبمان بقوله "أن وسائل الإعلام تبني بيئة زائفة للعالم بالخارج والصور الموجودة في رؤوسنا".¹

2. اختبار وضع الأجندة في وسائل التواصل الاجتماعي :

غيرت الوسائط الجديدة من المشهد الإعلامي والاتصالي بمقدار 180 درجة، حيث تسمح وسائل التواصل الاجتماعي بفضل الوسائط المتعددة وبيئتها التفاعلية بمنح المواطنين مزيد من المعلومات ومشاركتها دون الحاجة للجوء للمهنيين أو الصحفيين، كما أنها أفرزت منصات إعلامية جديدة نافست وسائل الإعلام التقليدية التي أضحت تعاني من الصعوبات الاقتصادية والمالية .

وهذه التحولات دفعت بالباحثين لتحليل العلاقة بين الوسائط التقليدية والمساحات الافتراضية الجديدة من منظور إعداد جدول الأعمال، وقد شهدت هذه الدراسات زخما متناميا منذ عام 2005، وهو تاريخ نشر أطروحة دكتوراه للباحث " لي Lee" حول استخدامات وتأثيرات وسائل الإعلام عبر الانترنت على الرأي العام، والتي بحث فيها عن

¹ Hong Tien Vu, Lei Guo and Maxwell E. McCombs, Agenda-Setting Study Exploring "the World Outside and the Pictures in Our Heads": A Network, Journalism & Mass Communication Quarterly, published online 9 September 2014, pp14,15.

دور المدونات والشبكات في تداول المعلومات وعما إذا كانت وسائل الإعلام الجديدة تتنازع على جدول أعمالها مع وسائل الإعلام القديمة أو ما إذا كانت تنسخ أجنداتها، وخاصة ما إذا كانت لديها القدرة على إنشاء رأي عام.¹

انخرفت الدراسات التي اهتمت بالكشف عن العلاقة المتبادلة بين وسائل الإعلام القديمة والجديدة منها المدونات وتويتر بشكل حاد عن أطروحة تشابل هيل الأصلية لعام 1968 والتي اهتمت بتحديد قوى القوة الناجمة عن تلك العلاقة، حيث أن الوجود البسيط لمحتوى جدول أعمال واحد ضمن جدول أعمال آخر لا يعطي معلومات حول قدرته على التأثير، وأضحى السؤال الذي تطرحه هذه البحوث هو من يقود عملية وضع جدول الأعمال؟ إذا أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي تتولى هذا الدور الرائد؟ وهل يجب تكيف مبادئ إعداد جدول الأعمال وفقاً لنموذج جديد؟²

يرى الباحثون أن الحديث عن الوقت اللازم لتأثير قضية ما على الجمهور في دراسات إعداد جدول الأعمال ضمن بيئة الوسائط الجديدة بات أمراً غير مجدي، خاصة أن الويب 2.0 يتيح إنتاج وتداول المحتوى الذي ينشئه المستخدم في الوقت الفعلي تقريباً. فضلاً على أن الثقافة التفاعلية الجديدة تتيح للجمهور المشاركة في المحتوى جنباً إلى جنب مع منتجي المعلومات، ليس فقط كمستهلكين للأخبار ولكن أيضاً كمنتجين، وهو ما يؤكد أن الفارق الزمني لوضع جدول الأعمال قد تفاوت بسبب ديناميات الاتصال الجديدة، وفي هذا السياق طرح "Thorndyke" خلال 2012 تساؤلاً مفاده "هل تمثل المحادثات الموجودة على مواقع التواصل الاجتماعي جدول الأعمال الذي حددته مصادر وسائل الإعلام الشعبية؟" وتوصل إلى أن الموضوعات الشائعة على تويتر Twitter تقوم بنسخ القضايا من عناوين بي بي سي ، نيويورك تايمز والجزيرة لتؤثر بعدها على الرأي العام.³

وفي دراسة "كوشن" 2010، أكد أنه لا يتم ملاحظة التأثير المباشر لوسائل الإعلام على Twitter ، ولكن تحدث عملية معلومات من خطوتين مثلما شرحها لازرسفيلد بعدما استقبل مستخدمو تويتر المعلومات من مجموعة من المصادر ليشاركوها فيما بعد. كما يكمن التحدي الذي تفرضه هذه الفرضية ليس فقط في حقيقة أن تجزئة الأجندات تحدد تأثير وسائل الإعلام الرئيسية ولكن هناك عودة إلى أطروحة التصور الانتقائي الذي افترضه لازرسفيلد وهوفلاند في أربعينيات القرن العشرين، من خلال التركيز على العناصر الداعمة للرسالة، وتوصل كوشن إلى أن تأثير وسائل الإعلام

¹ April, 2017. P37.1. Natalia Aruguete, The agenda setting hypothesis in the new media environment. N

² . Natalia Aruguete.op.cit.pp.38,39.

³ . ibid.

في تويتر قد لا يكون كما مباشرًا ويمكن أن يحدث في مراحل مختلفة، على سبيل المثال: من خلال المحادثات الشخصية أو من خلال البحث في المدونات الإلكترونية التي تستخدم منشوراتها محتوى مشتقًا من وسائط النخبة.¹

وطرحت الباحثة "فيزال" Jessica T. Feezell** في مقال لها سنة 2018 تساؤلًا هل الفيسبوك مسؤول بطريقة أو بأخرى عن ما يفكر فيه الناس وما يفكرون في السياسة؟ ولفتت إلى أن الفيسبوك ليس غريبًا عليه القدرة على اقتراح المشكلات التي يجب أن يحدها الأشخاص مهمة، لتقول "الأجندة موجودة منذ عقود قبل أن ينشئ مارك زوكرباغ الشبكة الاجتماعية بوقت طويل" فيما تعتبر أن تعريف جدول الأعمال لا يعني بالضرورة تغيير الرأي، أي من الصعب إقامة صلة واضحة بين ما يراه الناس على الفيسبوك وآراءهم السياسية وسلوكياتهم النهائية، لتقول أن تشكيل الرأي هو محصلة تفاعل دقيق بين عناصر مثل السياق الجغرافي والاجتماعي للناس، والقضايا السياسية التي يتلقونها، ومعرفتهم السياسية، فمن المحتمل حسبها أن تكون العلاقة بين الرأي والمعلومات الجديدة دورية بسبب عملية طويلة الأمد يدرسها متخصصون "التعرض الانتقائي" فالأشخاص أكثر عرضة للتركيز والبحث عن المعلومات التي تدعم آرائهم الحالية.²

لفتت الباحثة "Ewa Nowak" في دراسة لها سنة 2018 إلى أن ظاهرة وضع أجندة الوسائط تحدث بين أجندة وسائل الإعلام التقليدية وجدول أعمال المدونات "المكون للسياسة" أي جدول الأعمال الوسيط، أي أن الصحفيين من وسائل الإعلام التقليدية يستخدمون المدونات أو "تويتر كمصادر جادة للمعلومات (يضيفون عليها الشرعية)، في حين يعتمد المدونون على الوسائط التقليدية كمصادر معلومات، حيث يقدم العلاقات بين وسائل

¹. ibid.

² Jessica Feezell et Yanna Krupnikov, What's True, and Fake, About the Facebook Effect

3 avril 2018? At: <https://behavioralscientist.org/WHATS-TRUE-AND-FAKE-?>, B EHAVIORAL SCIENTIST

8/2014 [ABOUT-THE-FACEBOOK-EFFECT](#). available at 12/0

** باحثة من قسم العلوم السياسية في جامعة New Mexico متخصصة في بحوث الرأي العام والاتصال السياسي.

الإعلام التقليدية و وسائل الإعلام الجديدة في شكل "دورة مصدر الأخبار". لأنه يقوم على ملاحظة أن الأخبار يمكنها تمرير المحتوى من وسيط إلى آخر والعودة، على طول المسار التالي:¹

- ✓ تقرير وسائل الإعلام التقليدية حول قضية.
- ✓ يتم تناول هذه القضية من قبل المدونين عبر وسائل التواصل الاجتماعي.
- ✓ المدونون يتولون تعميم القضية من خلال إثارة اهتمام وسائل الإعلام (جعل القضية عصرية).
- ✓ الاهتمام الذي تحظى به القضية على الإنترنت يجعل وسائل الإعلام التقليدية تعود إلى الموضوع (أو فقط الجوانب المحددة - السمات).
- ✓ الطريقة التي يتم بها تغطية المشكلة من قبل وسائل الإعلام التقليدية مرة أخرى يثير اهتمام من المدونات وما إلى ذلك.

ومن ثم فإن خلط جداول الأعمال والتكامل المتبادل لمحتواها يساهم في تعزيز التغطية الإعلامية السائدة وزيادة تماسكها، حيث أن عملية وضع جدول أعمال الوسائط قد تكون أكثر مكثفة فيما يتعلق بجدول أعمال المواضيع وأقل كثافة فيما يتعلق بمجموعة السمات، واستنتج بذلك أن وسائل الإعلام على شبكة الإنترنت والاجتماعية تساهم في تعزيز قوة وضع جدول أعمال وسائل الإعلام فيما يتعلق بالرأي العام .

خاتمة:

تكشف المراحل المتعددة التي مرت بها دراسات وضع الأجندة على أن هذا المقترح لا يزال مجالا خصبا للعديد من الأبحاث والدراسات، فبعدما أثبت البحث الذي يقع في المستوى الأول من النظرية على أن وسائل الإعلام لديها القدرة على فرض أهمية معينة للمواضيع - القضايا على الرأي العام، حيث أن المواضيع التي تثيرها وسائل الإعلام تعتبر الأكثر أهمية، جاء المستوى الثاني الذي بين أن سمات الموضوعات والقضايا التي تناقشها وسائل الإعلام في أغلب

¹. Ewa Nowak, Agenda-setting theory and the new media ,January 2018.at:

[https://www.researchgate.net/publication/322602862_Agenda-](https://www.researchgate.net/publication/322602862_Agenda-setting_theory_and_the_new_media/download)

[setting_theory_and_the_new_media/download](https://www.researchgate.net/publication/322602862_Agenda-setting_theory_and_the_new_media/download). available at:12/05/2018.

الأحيان هي الأكثر وضوحاً والأبرز للجمهور، وأظهر كيف يمكن أن تؤثر وسائل الإعلام الإخبارية على آراء المواطنين، وتم ربط هذا المستوى مع عملية التأطير ومفهوم التركيز وتحولت بذلك نظرية وضع جدول الأعمال إلى نهج شامل للدراسات السياسية، وتأثير وسائل الإعلام الاجتماعية والثقافية.

وبسبب التغيرات الحاصلة في بيئة الوسائط الجديدة باتت نظرية وضع الأجندة تواجه تحديات جديدة ، ومن هذا المنطلق ميز الباحثون في دراساتهم بين ثلاث أشكال لوسائل الإعلام وهي وسائل الإعلام التقليدية، وسائل الإعلام عبر الانترنت، الشبكات الاجتماعية عبر الانترنت، ويمكن من خلال هذه الأشكال الدخول في علاقات مختلفة مع جدول الأعمال العام لتنتج تأثيرات مختلفة، ووفقاً لذلك فجوهر الإشكالية في نظرية وضع الأجندة سوف يتغير من "ما القضايا التي تخبر بها وسائل الإعلام الناس للتفكير فيها؟ إلى ماهي القضايا التي يخبرها الناس لوسائل الإعلام و التي يريدون التفكير فيها؟ " حيث يعتقد الباحثون أن وسائل الإعلام لن تكون قادرة لوضع جدول الأعمال العام ولكن بدلاً من ذلك سوف تضطر للخضوع لذلك، وهذا ناجم عن عملية التهجين وتسويق محتوى الوسائط وتطور سوق وسائل الإعلام إلى جانب المنافسة الشديدة، حيث يؤثر التسلسل الهرمي للقضايا الشائعة بين الجمهور على موضوع الاهتمام، وهو ما يستدعي مستويات أخرى من البحوث ليبقى النقد الموجه لهذه النظرية هو كون مسار البحوث التي أجريت لحد الآن غير قادرة على توضيح العلاقة السببية بين تأثير التغطية الإعلامية والتغيرات في الرأي العام.

قائمة المراجع:

الكتب باللغة العربية:

1. أحمد زكرياء أحمد، نظريات الإعلام: مدخل لاهتمامات وسائل الإعلام وجمهورها، المكتبة العصرية، مصر، الطبعة الأولى، 2012.
2. بسيوني إبراهيم حمادة، دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأي العام، عالم الكتب ط1، القاهرة، 2008.
3. محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب القاهرة، ط4، 2015.
4. حسني محمد نصر، نظريات الإعلام، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، الجمهورية اللبنانية، ط1، 2015.

5. عبد الرحمان عزي، السعيد بومعيزة، الإعلام والمجتمع، رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية والإسلامية، الورسم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2010.
 6. محمد فضل الحديدي، نظريات الإعلام: اتجاهات حديثة في دراسة الجمهور والرأي العام، مطبعة ناس دمياط، مصر. 2006 .
 7. يوسف محمد، النظريات النفسية والاجتماعية في وسائل الاتصال المعاصرة والالكترونية، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2012.
 8. سالم عيسى بالحاج، الإعلام والرأي العام: دراسة في ترتيب الأولويات في المجتمع الليبي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003.
- مقالات وأبحاث:**
9. نسرین محمد عبده حسونة، نظريات الإعلام، نظرية وضع الأجندة، نظرية تحليل الإطار الإعلامي ، محاضرات بجامعة القاهرة، 2015.
 10. . ليلي بولكعبيات، انتقاء الأخبار في وسائل الإعلام: خدمة هادفة للجمهور أم إستراتيجية للتلاعب بالعقول، مجلة العلوم الإنسانية، عدد38، ديسمبر 2012.
 11. حسني محمد نصر، اتجاهات البحث والتنظير في وسائل الإعلام الجديدة، بحث مقدم إلى مؤتمر وسائل التواصل الاجتماعي: التطبيقات والإشكالات المنهجية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 10، 11 مارس 2015.

مراجع باللغة الأجنبية:

الكتب:

.Grégory Derville. Le pouvoir des médias. presses universitaires de
12Grenoble, janvier 2017

مقالات ودراسات:

.Jian-HuaZhu,Deborah Blood, Media agenda-setting theory, 13
University of Newyork.press.

14. Maxwell E. McCombs. Donald Shaw. The Evolution of Agenda-Setting Research: Twenty-Five Years in the Marketplace of Ideas *Journal of Communication*, Volume 43, Issue 2, June 1993.
15. Hong Tien Vu, Lei Guo and Maxwell E. McCombs. Agenda-Setting Study Exploring "the World Outside and the Pictures in Our Heads": A Network , *Journalism & Mass Communication Quarterly* , published online 9 September 2014.
16. Natalia Aruguete, The agenda setting hypothesis in the new media .April, 2017. *1environment .N*

الوثائق على الواب:

17. M .sanchez. agenda setting.spring2002.
at: <https://www.comprofrssor.com/2012/10/media-agenda-setting.html>.
18. Maxwell Macombs, The agenda-setting role of the mass Media in the shaping of public opinion, University of texas at Austin ,p1. at
https://www.researchgate.net/publication/237394610_The_Agenda-Setting_Role_of_the_Mass_Media_in_the_Shaping_of_Public_Opinion
19. Ameber Freeland. An Overview of agenda-setting theory in mass communication. University of North Texas. november 2012.
at: https://www.academia.edu/3355260/An_Overview_of_Agenda_Setting_Theory_in_Mass_Communications
20. Mass media and its influence on behaviour (Agenda-setting theory) at:
https://www.academia.edu/30159346/Mass_media_and_its_influence_on_behaviour_Agenda-setting_theory.

21. Anne Marie. Agenda Setting Definition, Function, Process & Examples
At : <https://study.com/academy/lesson/agenda-setting-definition-function-process-examples.html>
22. M. Sanchez. Agenda Setting 2002 .at :
<http://zimmer.csufresno.edu/~johnca/spch100/7-4-agenda.htm>.
23. Jamie Baird. An Examination of Agenda Setting Theory and Its Importance in the Public Relations Industry.
At: <https://sites.psu.edu/jamiebaird/agenda-setting-theory/>
24. Anna Raichuk. Framing, Agenda-Setting and Priming Effects at:
https://www.academia.edu/9827598/Framing_Agenda-Setting_and_Priming_in_Media?auto=download.
25. Karell, Daniel. The Agenda-Setting Theory in Mass Communication. Alvernia Online. *Alvernia University Online*, 20 Feb. 2018, online.alvernia.edu/agenda-setting-theory/.
26. Jessica T. Feezell. Agenda Setting through Social Media: The Importance of Incidental News Exposure and Social Filtering in the Digital Era. Published December 26, 2017.at:
<https://www.researchgate.net/publication/322081120>.
27. Jessica Feezell et Yanna Krupnikov, What's True, and Fake, About the Facebook Effect

?, B EHAVIORAL SCIENTIST ,3 avril 2018? At:
<https://.behavioralscientistorg/WHATS-TRUE-AND-FAKE-ABOUT-THE-FACEBOOK-EFFECT>.

دور التفاعل الاجتماعي في بناء الشخصية الاجتماعية

دراسة نظرية توضح أهمية التفاعل الاجتماعي في الحفاظ على بناء التنظيمات الاجتماعية

والمساهمة في استمراريتها

د: ريم نواري: جامعة الجزائر -2-

ملخص:

لا شك أن نمط الثقافة إنما يكون له رد فعله العميق في تركيب سمات الشخصية، و قد يطرأ التغير على مستوى الشخصية خلال احتكاك الانسان بالآخرين و أثناء تكيفه مع الثقافة التي يعيشه فيها.

وقد تضعف الشخصية و تمرض كما يؤكد علم النفس المرضي حين تعاني اضطرابا نتيجة لعدم التكيف الثقافي اثر عملية التفاعل الاجتماعي في سيورتها و حتميتها و ديناميتها في اتصال الفرد بثقافته او بثقافات أخرى مما يؤدي أحيانا الى احداث خلل في التوازن تحت وطأة أنماط الثقافة مما يكون له صداه في سيكولوجية الانسان وفي شكل البناء الاجتماعي او الجماعة التي ننتمي اليها وهذا ما نحاول ايضاحه في هذه الدراسة النظرية.

الكلمات المفتاحية: التفاعل الاجتماعي، الجماعة الاجتماعية، العلاقات الاجتماعية، التفاعلية الرمزية.

Résumé :

Il ne fait aucun doute que le style de culture a une profonde réaction la composition des traits de la personnalité et le niveau la personnalité peut changer lors du contact de la personne avec les autres et lors de son adaptation a la culture dans laquelle elle vit. la personnalité peut s'affaiblir et tomber malade comme le confirme la psychopathologie lorsque vous souffrez des troubles dus au manque d'adaptation culturelle en raison du processus d'interaction sociales de son inévitabilité et son dynamisme dans le contact de l'individu avec sa culture ou avec d'autres cultures ; ce qui conduit parfois à un déséquilibre sous le poids des modèles culturels qui peut résonner en psychologie humaine et sous forme de structure sociale ou

du groupe sociale auquel nous appartenons et c'est ce que nous essayons d'expliquer dans cette étude théorique .

Mots clés : Groupesocial,relationsociale, interactionsociale,interaction symbolique.

مقدمة:

إذا كانت العلاقة الجدلية بين الثقافة والشخصية أكدت على أن كلا منهما جزء لا يتجزأ من الآخر، وأنها وجهان لعملة واحدة كل منهما يصب في الآخر فإنه ينتج أيضا عن التأثير و التأثير الذي يحدث بينهما ما يسمى بالفاعل الاجتماعي وأهميته في دراسة الحياة الاجتماعية وفهمها ونقصد بالفاعل الاجتماعي التأثير والتأثر أو الأخذ والعطاء بين فردين أو شخصين أو جماعتين ، وقد يكون مباشرا أو وجها لوجه، وقد يحصل بشكل غير مباشر أي عبر وسائل الإعلام . وقد يحصل التفاعل بعد إقامة علاقة اجتماعية وهذا غالبا ما يحدث في مجتمع المدينة المتحضرة بسبب المجهولية الطاغية على مجتمع المدينة ، بينما يحصل التفاعل قبل إقامة علاقة اجتماعية في المجتمع القروي والبدوي بسبب استباق العلاقة القرابية على تفاعل الأفراد¹

الاطار المفاهيمي للدراسة:

مفهوم التفاعل الاجتماعي:

تكمن القيمة الحقيقية لمفهوم التفاعل الاجتماعي Interaction sociale في كونه مرتبطا باستمرار الحياة الاجتماعية للجنس البشري.

وما يتردد من مفاهيم و مصطلحات بين عملاء التاريخ والانتروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي، وغيرها من العلوم الاجتماعي، تلك المفاهيم المتمثلة في التنظيم الاجتماعي، والمجتمع والسلوك والفعل والاتجاهات والعلاقات والوعي والذاتية الباطنية....² الخ ما هي الا تعبير عن تميز الكائن البشري بالفاعل الاجتماعي المنظم والمستمر.

فإذا ما تناولنا تحليل التنظيم الاجتماعي للجماعة أو المجتمع المحلي والأنشطة التي يقوم بها أعضاء تلك التنظيمات الاجتماعية بمختلف مستوياتها، والتعاون بين أنشطة أعضائها بتعاون أدوارهم ومراكزهم داخل تلك التنظيمات للكشف لنا على الفور شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة بين تلك الأدوار والأوضاع والكيفية التي يتفاعل

¹معن خليل عمر، البناء الاجتماعي ، دار الشروق للنشر ، عمان 1992 ، ص (83-84) .

²د. السيد علي شتا، التفاعل الاجتماعي و المنظور الخارجي، منشأة المعرفة، الاسكندرية ص 19

بها شاغلي تلك الأدوار والأوضاع مع بعضهم البعض من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية تلك والأفعال التي تصدر عنهم وردود أفعالهم المباشرة وغير المباشرة لتلك الأفعال.

ولا تقتصر أهمية التفاعل الاجتماعي بذلك عن مجرد خلق التنظيمات الاجتماعية والحفاظ على استمرارية وجودها إذ أن عملية التفاعل تلك لها دور فعال في تكوين الشخصية وتزويدها بالمثاليات الاجتماعية العامة، والمعايير والقيم والإيمان والحرية والتي تنشرها الشخصية من خلال تفاعلها مع الجماعات الأولية داخل التنظيمات الاجتماعية بمختلف أنماطها و مستوياتها¹ فضلا عما تزودها بها الجماعات الثانوية من آليات الضبط الرسمية المنظمة للتفاعل داخل التنظيمات الاجتماعية والموجهة لسلوك أعضائها وتوقعات كل منهم من الآخر الذي يقاسمه مخزون المعرفة والحس العام.

إذا كانت النظم الاجتماعية هي مجموعة توقعات أو أنماط للسلوك، أو قوالب للفكر أوجدها المجتمع قبل أن يولد الإنسان ، ثم نقلها جاهزة أو كما هي ، حيث فرضت على الإنسان فرضا. فإن البناء الاجتماعي هو مجموعة النظم و الأنساق التي تتعاقد و تتساند من أجل بقاء الصورة الاستاتيكية للمجتمع.

حيث يميز راد كليف براون بين " البناء الصوري للمجتمع والبناء الديناميكي المتغير فالأول هو بناء استاتيكي ثابت نسبيا ولا يتغير إلا قليلا أما البناء الديناميكي فهو البناء الواقعي المحسوس كما يظهر في المجتمع شحمه ولحمه"².

إذا أردنا أن نسلط الضوء على التفاعلات الاجتماعية التي تحدث بعد إقامة العلاقات الاجتماعية والتي غالبا تصدر من أشخاص يشغلون مواقع ويمارسون أدوارها إذ أنها تخضع للمؤثرات التالية :

أ -القواعد الاجتماعية:

وهي عبارة عن سلوك سوي منمط يمارسه المعدل العام من الناس اعتاد على ممارسته ، وتعد القواعد الاجتماعية أحد منظمات السلوك الإنساني و إحدى الظواهر الاجتماعية وليست الفردية ، وظيفتها تحديد سلوك الشخص و توجيهه في ارتباطه نحو الآخرين و الجماعات الاجتماعية علاوة على توجيه ارتباط الجماعة الاجتماعية الواحدة مع الأخرى و تنظيم علاقة نفسية بين الأفراد ، وهذا ما حاولنا إيضاحه في الجانب السابق في تحليل العلاقة بين الثقافة والشخصية من حيث أن الشخصية تستمد كل قواعدها الاجتماعية من الثقافة التي تنتمي إليها .

¹ نفس المرجع ص 20.

² محمد إسماعيل قباري، أسس البناء الاجتماعي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص 39 .

ب-العامل الزمني :

أن الفرد يعيش في عالم من الرموز و من جملة الرموز الزمنية في اللغة هي العبارات التالية : حالا، من بعد ، الآن ، اليوم ، البارحة ، ... الخ .

وينقسم عامل الزمن إلى عدة أقسام رئيسية تبدأ من اللحظة والثانية والدقيقة والساعة واليوم والأسبوع والشهر والسنة هذه الأقسام الزمنية تعمل على تعيين مدة التفاعل ، فالمجموعة الأولى توضح رموزا زمنية مشيرة إلى بدا التفاعل الاجتماعي ونهايته، إضافة إلى ذلك فإنها تعكس درجة اهتمام المجتمع بعامل الزمن مدى احترامه له و بالتالي تعكس تمدنه لأن الزمن إحدى منظمات سلوك الفرد المتمدن .

أما حالات التفاعل الاجتماعي في ضوء العامل الزمني فهي كما يأتي :

- استمرار عملية التفاعل خلال فترة زمنية محدودة دون تدخل عوامل عارضة .
- تقطيع عملية التفاعل وعدم استمرارها في وقت واحد .
- تفاعل جزئي من خلال فترة زمنية محدودة مع جانب اجتماعي واحد لإحدى الظواهر الاجتماعية بدون تقطع .

ج -العامل المكاني :

ونقصد به الحيز المكاني فإن كل تفاعل اجتماعي يحدث في بقعة جغرافية معلومة الأبعاد . وإذ أن مساحتها و حدودها تؤثران على عامة التفاعل ، فهناك مناطق رموز اجتماعية و حضارية يخضع لها الشخص في عملية تفاعله ، إضافة إلى ذلك فإن المساحة الجغرافية تحدد أوضاع التفاعل (وضعية الجلوس مثلا داخل القطار أو الحافلة بشكل جانبي يعيق عملية تفاعل الأشخاص داخلها) .

مفهوم العلاقات الاجتماعية:

يمكن تعريف العلاقة الاجتماعية على أنها نتيجة التفاعل الاجتماعي (التأثير والتأثر) أو (الأخذ والعطاء) بين شخصين يشغلان موقعين اجتماعيين أو بين فرد ومؤسسة ثقافية ...الخ. وغالبا لا تقام العلاقة من الفراغ بل هناك عوامل تكون السبب في تشكيلها وهي:

- الإشباع الذاتي: ترى أحيانا أشخاصا ينمون ويطورون من علاقاتهم الاجتماعية من خلال اشباع حاجات ذاتية لكلا الطرفين المشتركين في العلاقة.

- الأهداف والمصالح العامة: بغض النظر عما إذا كان المساهمون في عملية التفاعل مهتمين بعضهم ببعض فإن هناك مصالح واهتمامات مشتركة تعمل على تقاربهم وعلى بناء قاعدة أساسية لعلاقتهم القائمة، فهم يهدفون إلى التعاون والتنسيق فيما بينهم لإنجاز وتحقيق أهداف مشتركة.
 - الالتزامات والتوقعات: لكل فرد مشترك في عملية التفاعل الاجتماعي التزامات وتوقعات يشعر بها للطرف الآخر ويلتزم بها مما يؤدي ذلك إلى تكوين علاقة فيما بينهما، وتكون هناك علاقة قائمة على الالتزام الموجود فيما بينهما بغض النظر فيما إذا احترم أو لم يحترم كل منهما الآخر، أو أن تكون هناك أهداف مشتركة أو لا تكون نية الأشخاص المشتركين في عملية التفاعل، فهناك علاقة قائمة بين الطبيب والمريض، بين الأستاذ والطالب ...
 - التساند المشترك: الصورة عامة عند المجتمعات المعقدة الهيكلي (الرأسمالية والصناعية) تجد تساندا لعناصر الحياة الاجتماعية الواحدة مع الأخرى ونجد هذا التساند بشكل واضح في العلاقات الاقتصادية التي تتضمن سلسلة من العلاقات التي تسبقها معرفة اجتماعية أو قرابية .
 - القسرية: هذا النوع من العلاقات موجود في المؤسسات العقابية والقسرية كالسجون والمعتقلات التي تستخدم الأساليب العقابية مع نزلائها من خلال استخدام التهديد أو الإيذاء النفسي والجسدي.
- هذه هي إذا أهم الدوافع الكامنة للعلاقات الاجتماعية بين الأشخاص داخل الكيانات الهيكلية، و التي ينتج عنها ما نسميه بالجماعات الاجتماعية بكل أنواعها و خصائصها.

مفهوم الجماعة الاجتماعية:

- يعتبر موضوع الجماعة من أهم الموضوعات التي تنال الاهتمام الشديد في مختلف العلوم الإنسانية، و يمكن تحديد أهم الأسباب التي تدعو إلى الاهتمام بدراسة الجماعة الاجتماعية في الآتي:
- القرارات التي تتخذها تلك الجماعات لها تأثير حاسم وخطير على المجتمعات.
 - إن ديناميات هذه الجماعات تؤثر على أسلوب وطريقة أعضائها في تسيير حياتهم و حياة مجتمعاتهم و لاسيما إذا كان هؤلاء الأعضاء يمثلون مراكز قيادية في تلك المجتمعات⁽¹⁾.

(1) د. ضياء الدين إبراهيم نجم، الجماعات الاجتماعية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية 2000، ص20.

- إن الجماعات التي تحيط بالفرد في حياته اليومية لا تقتصر كونها للحصول على الاحترام والتقدير والحب بل يمتد أيضا لتكون مصدرا للضغوط والصراعات والاحباطات، ومن ثم فإن هذه الجماعات تمثل مضمونا صالحا يمكن إخضاعه للملاحظة وإجراء التجارب للوصول إلى قوانين وحقائق عامة بشأن العمليات النفسية من أجل علاج ما يضر بأعضائها⁽¹⁾.
 - الاهتمام بالجماعات وإجراء الدراسات والبحوث عليها يساعد على فهمها في أوضاعها الطبيعية والحقيقية والتوصل إلى نظريات امبيريقية تقود إلى المزيد من التقدم في مجالات العلوم الإنسانية.
 - العديد من علماء الاجتماع والنفس والتربية ينظرون إلى الجماعة باعتبارها نسقا مصغرا يمثل المجتمع العام ويقدم صورة مصغرة دقيقة للعمليات المجتمعية، كتقسيم العمل والدستور والأعراف والأيدولوجية، ومن خلال دراسة الجماعة (النسق المصغر) يمكن الوصول بها إلى نموذج يمكن تطبيقه على المجتمع الأكبر.
- وأهم الخصائص التي تميز الجماعات في طريقة العمل مع الجماعات أنها جماعة منظمة تضم مجموعة من الأعضاء الذين تجمعهم احتياجات واحدة، وصفات مشتركة ويسعون إلى تحقيق أهداف محددة وذلك بمساعدة ومساندة أفراد الجماعة لبعضهم البعض من خلال جميع عمليات التفاعل، التبادل، والتضامن وحتى عملية التناقض فيما بينهم.
- ومن خصائص الجماعة صغر حجمها وذلك حتى يتمكن أعضاء الجماعة من معرفة بعضهم البعض معرفة قوية تمكنهم من الاسهام في الحياة حياتهم الاجتماعية اسهاما إيجابيا بصورة فعالة.
- التماسك:** إذ يجب أن تكون الجماعة على درجة من التماسك ولها هدف واضح يربط أعضائها بعضهم البعض الآخر وأن يكون هذا الهدف ملائما لاستعدادات الأعضاء وقدراتهم وخبراتهم.
- التفاعل:** فالأفراد الذين لا يتفاعلون في لقاءهم لا يكونون جماعة، ولن يستقيم هذا التفاعل إلا إذا كان النشاط الداخلي للأفراد أكثر من نشاطهم الخارجي.
- التنظيم:** فالجماعة يجب أن تكون على درجة من التنظيم الذي يحدد مسؤوليات وواجبات كل عضو، كما يحدد كيفية اتخاذ القرارات داخل الجماعة، فعند تكوين الجماعات فإن الأعضاء تكون لديهم الرغبة في معرفة بعضهم

(1) نفس المرجع ص 20.

البعض والسعي لتحمل مسؤولية وإجراءات العمل كما أنهم يسعون إلى تطوير علاقاتهم الاجتماعية وتنظيم بناء الجماعة، ويأخذ كل عضو المركز والمكانة في شبكة العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة.

الاطار النظري للدراسة:

إن الجماعة تعني تطابق إدراك عدد من الأفراد لها كمصدر لإشباع الحاجات الخاصة لكل منهم. فهنا تتلاقى هذه الحاجات الخاصة، ونتيجة تلاقئها ومن خلال عمليات التأثير الاجتماعي المتبادلة بين أصحابها يتم إيجاد قاسم مشترك بينها يشكل هدف الجماعة يسعى الأعضاء مجتمعين لتحقيقه. لكن هذا لا يكفي لكي تستمر الجماعة ويحقق أعضاؤها هدفها، إذ يتطلب الأمر هيئة أو شكل ويسمى هذا الشكل بناء الجماعة، أو نمط العلاقات المتبادلة بينهم.

ولأن الأفراد يتعاونون في خصائصهم وقدراتهم ولأن تفاعلهم معا يختلف سياقه من موقف لآخر، فإن تباينا يحدث في إدراك كل منهم للجماعة كمصدر لإشباع حاجاته، وفي درجة تأثيره في الآخرين وتأثره بهم ومن ثم يؤثر هذا التباين في نمط العلاقات المتبادلة. أي في بناء الجماعة و الذي يتم فهمه من خلال إدراك أبعاد هذا البناء وهي التدرج الهرمي:

- التعاون في القدرة على التأثير.
- التعاون في التجاذب.
- التعاون في القدرة على إصدار المعلومات أو تلقيها.
- التعاون في الالتزام بمعايير الجماعة.

أما التدرج الهرمي:

فيعني أنه لا يكفي لتكوين جماعة ما تفاوت أعضاؤها في قدرتهم على التأثير المتبادل وإنما تشترط لذلك وجود هدف يلتف أعضاؤها حوله ووجود قائد ينظم جهودهم ويوجهها نحو تحقيق هذا الهدف⁽¹⁾.

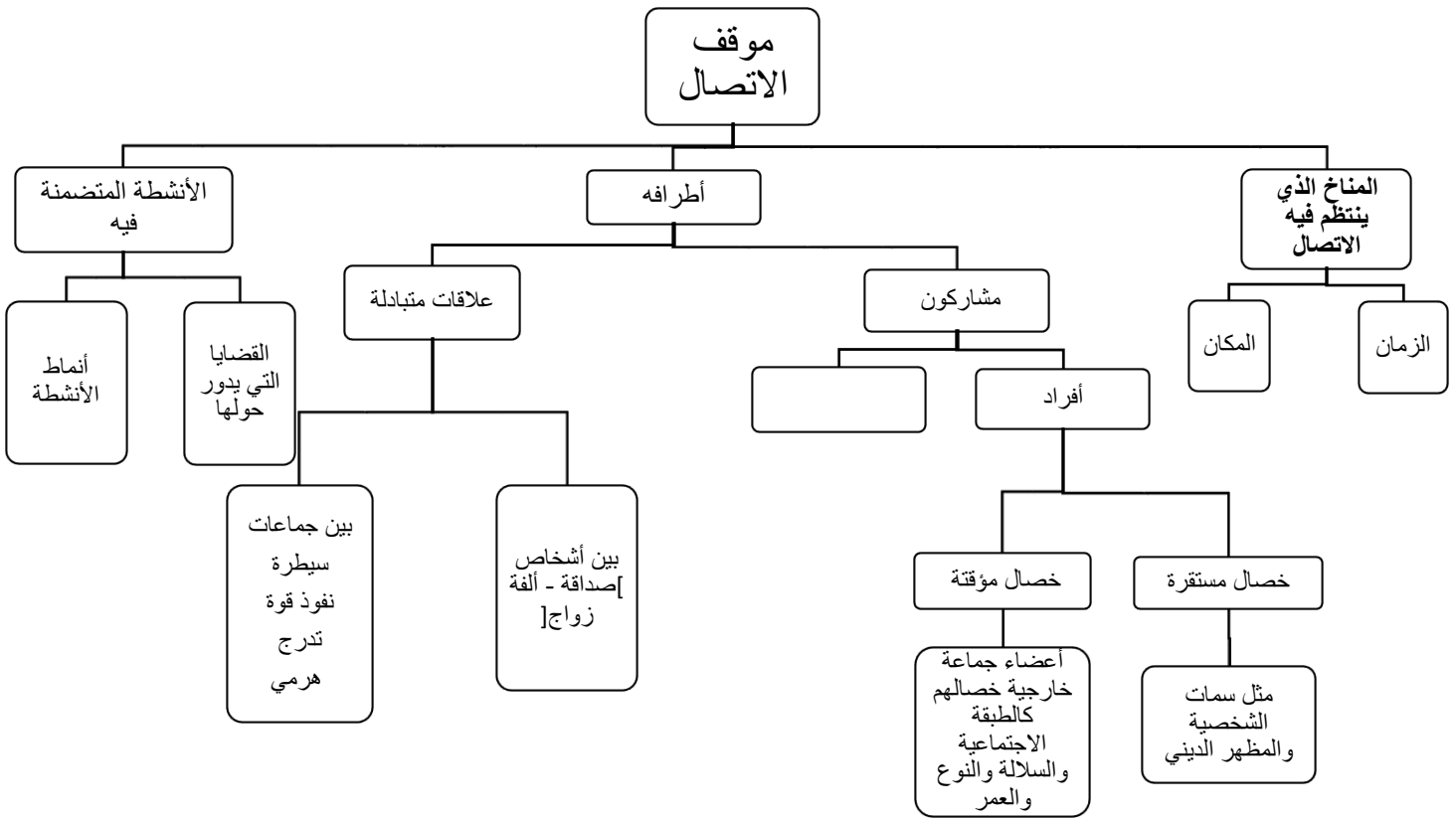
⁽¹⁾ عبد المنعم شحاته، أنا والآخر (سيكولوجية العلاقات المتبادلة)، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 74.

ونقصد بالقوة الاجتماعية أو تفاوت الأفراد في القدرة على التأثير فيما بينهم، بما في ذلك قدرة أي منهم على تقديم إثابة للآخر أو الحاق العقاب به، أي قدرة أحدهم على تقديم دعم إيجابي للآخر إذا قام بمماراته ومسايرته، أو العكس أي قدرة أحدهم على الحاق العقاب بفرد آخر سواء كان العقاب ضمنيا مثل التجاهل أو صريحا مثل توجيه النقد أو اللوم أو التجريح أو حتى الطرد من الجماعة.

أما قوة الاتصال أي تفاوت الأفراد إما في إصدار المعلومات أو في تلقيها ويعد هذا التفاوت مظهرا للتفاعل المتبادل بين مجموعة من الأفراد وخطوتهم الأولية لبناء الجماعة واستمرارها. وتمثل القدرة على إرسال المعلومات أو تلقيها محور الاتصال (التخاطب) سواء كان مباشرا بالمواجهة أو غير مباشر أي عن بعد وعبر وسائط التقنية الحديثة. وفي كلتا الحالتين: يعتمد مصدر المعلومات على خصال شخصيته وخصائص مضمون مخاطبته كمدعمات لاستمالة المتلقي نحو أداء أفعال يريد القيام بها. يشمل موقف الاتصال عدة عناصر تتفاعل فيما بينها وتتبادل التأثير، بمعنى أن أي تغيير بأحدها يؤدي إلى تغيير في الموقف ككل وهي: -المصدر -الرسالة أو مضمون الخطاب -الوسيلة التي من خلالها يتم نقل الرسالة -المتلقي -الهدف من التفاعل أو التخاطب أو الاتصال أي الأثر المتوقع منه سواء كان تدعيما للاتجاهات والاهتمامات أو تغييرا في أحد مكونات الاتجاه

يوضح الشكل الآتي عناصر موقف الاتصال¹:

¹ عبد المنعم شحاته، مرجع مذکور، ص 79.



وتلعب عوامل عديدة دوراً في تشكيل عملية تبادل المعلومات داخل الجماعة، من هذه العوامل:

- أهداف الجماعة.
- موقع الجماعة بعضهم من بعض أو الدور المنوط بكل منهم.
- القواعد المنطقية التي تحكم تبادل الحقائق.
- التدرج الهرمي داخل الجماعة.
- مدى الائتلاف بين الأفراد.
- المشاعر المتبادلة بين أفراد الجماعة.

فإن الأهمية التي يحظى بها الاتصال لا تقتصر على الفرد بل أنه أكثر أهمية للمجتمع. إن الاتصال أساس قيام المجتمع فقد عرف الاتصال طريقه إلى كل البيئات واحتل مكانة في كل العصور إذ أنه لم يكن وليد عصر من العصور

أو حضارة من الحضارات، فلا يوجد مجتمع من المجتمعات مهما تفاوتت درجة تقدمه أو تخلفه، كما لا يوجد زمن من الأزمنة قديما أو وسيطا أو حديثا إلا واحتل الاتصال مكانا فيه لأن الإنسان بطبيعته لا يستطيع الاكتفاء بأخباره الشخصية أو أخبار المجتمع المحدد الذي يعيش فيه فالشخص يدخل في علاقات اتصالية مع غيره لأنه يريد أن ينتسب إلى البيئة وبالأخص البيئة الإنسانية من حوله، وهذا ليس فقط بل "أن المجتمع عبارة عن شبكة معقدة من العلاقات التي يحافظ عليها الاتصال"¹.

وفي هذا الصدد لابد ان نوضح أهمية التفاعلية الرمزية لهذه الدراسة اذ إن التفاعلية على الرغم من أخذها للفرد كقاعدة في مقارنة الوقائع والظواهر الاجتماعية، إلا أنها لا تأخذه كمبدأ في التحليل، بل أنها على مستوى التحليل تأخذ الفرد في فعله المتبادل مع الآخرين.. إن التفاعل هو حقل للتأثير المتبادل لأن الاجتماعي لا يوجد كمعطى سابق عن الأفراد/ الفاعلين، بل إن الاجتماعي هو شكل مستمر أو انه نظام متفاوض عليه.

إن التفاعلات بين الأفراد ليست عمليات ميكانيكية يتم ربطها بالأدوار الاجتماعية للأفراد أو وضعياتهم، إن الحديث عن التفاعل بين الطبيب والمريض، المحامي و الزبون، هي علاقة تحتمل فقط على الإطار الشكلي للتفاعل، ولا تعكس قط عملية التفاعل و مضمونها ومعناها أو كيف يلعب الفاعل دوره، و ما نتائج فعله، لأن التفاعل بين شخصين أو أكثر لا يمكن توقع نتائجه، بل إن أولئك الأشخاص انفسهم لا يعرفون مسبقا مراحل علاقة تفاعلهم، وبالتالي فهي تتأسس على إطار من الإنتظارات المتبادلة.

كما ان الفاعل لا يشمل الفاعلين الحاضرين في لحظة الفعل فقط، بل عناصر أخرى غير مرئية ساعدت أو ساهمت في صياغة علاقة أحد الفاعلين أو كلهم مع العالم، إن الشخص الفاعل ينبنى اجتماعيا في سلوكنا اليومي و أفعالنا، يتمثل الآخرين بشكل ملموس مباشر أو ضمنا من خلال حضورهم المعنوي.

التفاعل الاجتماعي هو عملية تشكل مستمر و ليست استجابة لمعايير وقواعد يحكمها الفاعلون و تملي عليهم سلوكهم و مواقفهم، إن الانا في إصلاح و تاويل و و إعادة بناء مستمرة فيتحدث ستروس عن عملية التراكم و نمو الأنا من خلال التفاعل ، و التفاعل لا يتم من خلال اللغة و الخطاب فقط، بل يتعلق كذلك برمزية الحركات الجسدية المرافقة للكلام أو بدونه.

¹د. جمال الدين وآخرون، مدخل إلى الاتصال الجماهيري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص21.

آليات رقابة ومتابعة العمال في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية

(المؤسسة الوطنية للمنظفات أنموذجا)

د: مهدي تواتي - جامعة البليدة 2-

الملخص:

يشكل موضوع الرقابة الادارية في المؤسسات إحدى أهم الإشكالات المطروحة في مجال تسيير المؤسسات، خاصة في العصر الحديث المتسم بالتطور والتنوع في طرائق وأساليب التسيير، ونظرا لطبيعة العنصر البشري والذي يمثل أهم عناصر البناء التنظيمي، وبالنظر لطبيعته البشرية التي تحتل النقص في بعض الجوانب، فقد يعتري آداء التذبذب والاضطراب، مما يدفع بالمسؤولين عن المؤسسات إلى اللجوء لاستخدام نوع من الرقابة على العمال بغرض استدراك النقائص والتأكد من السير الحسن للأعمال كما خطط لها والكشف عن الاختلالات المحتملة التي تشوب أداء المؤسسة بهدف تحقيق الصالح العام من خلال التأكد من دقة الأداء وكفاءة النشاط، وفعالية التخطيط، وحسن التنظيم، والرشد في عملية اتخاذ القرارات، والاستخدام الأمثل للموارد المادية والبشرية المتاحة بالإضافة إلى تقويم سير النشاط الإداري نحو تحقيق أهدافه.

Summary

Is the subject of administrative control in one of the institutions most important problems raised in the conduct of the institutions, especially in the modern characterized by development and diversity in the ways and methods of management era, and Sight to the nature of the human element, which represents the most important organizational structure elements, and given human nature, which brook shortages in some aspects, it is going on performance volatility and turbulence, forcing those responsible for the institutions to resort to the use of the type of control over the workers in order to rectify shortcomings and make sure Sir Hassan

works as planned and detect potential imbalances that mar the organization's performance in order to achieve the public interest by ensuring the performance and efficiency of activity accuracy, and effectiveness planning, good organization, and the majority in the decision-making process, and the optimal use of available human and material resources as well as the conduct of the administrative activity calendar to achieve its objectives.

مقدمة

إن الرقابة هي نشاط بحثي بالدرجة الأولى، لا تهدف إلى العقاب أو الثواب لكنها تستهدف التعرف على أسباب الاختلالات الموجودة في المؤسسة وكيفية علاجها وتقويمها، وتحقيق الرّسكلة الجيدة لأداء العمال وضمان استمراريته بالكيفية المطلوبة، فالرقابة قد تؤدي إلى شعور العاملين بالإحباط إذا لم يتم توضيح أهميتها والهدف منها وشرح جدواها للعاملين، فتوفر المعلومات هو أساس الرقابة الجيدة التي تمكن من معالجة المشكلة قبل تفاقمها.

تكتسي الرقابة الإدارية أهمية بالغة في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية الحديثة، وذلك من أجل متابعة سير المؤسسة وتنظيم العلاقات بين المسئول والموظف، فالرقابة الادارية تساهم في "تدعيم الالتزام بالسلوك الصحيح وتجنب العوامل التي تؤدي إلى الإدراك الخاطئ للمواقف والتي تشوه عملية الاتصال أو التعرض لمستوى غير ملائم من الضغوط أو عدم التفاعل والاستجابة الغير صحيحة للزملاء والإدارة"¹

ومن هنا يمكن إثبات أن نجاعة وصرامة الرقابة راجع أساسا إلى مدى إلمامها بكل جوانب ووظائف ونشاطات المؤسسة، مع إقرار الأخطاء إضافة إلى ردع مرتكبيها قانونيا، مما يستوجب تجنبها مستقبلا، فالإلمام بهذه الجوانب يمكن من تحديد فعالية الرقابة، وتحديد ما يتعلق بصورة مباشرة بمدى تحقيق الأهداف المسطرة ومدى مقدرة الرقابة على تأطير وتثبيت النزاهة وبالتالي إمكانية أن تلعب دورا هاما وأساسيا في السيورة الايجابية والمتجانسة للمؤسسة.

¹ شهرزاد مشاد، دور الرقابة في السلوك التنظيمي للعامل، دراسة ميدانية مصنع أميانت اسمنت مفتاح، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة البليدة، سبتمبر 2007، ص 49.

ترمي الرقابة الإدارية إلى فرض احترام تطبيق القوانين والتزام حدودها وضمان قيام الموظفين بأعمالهم وفقا للقانون الذي تخضع له المؤسسة سواء كانت هذه المؤسسة تابعة للقطاع العمومي أو الخاص، وذلك ضمانا لحماية حقوق الأفراد وحررياتهم من جهة، وضمان سيرورة نشاطات المؤسسة من جهة أخرى، علاوة على تحقيق مصلحة الإدارة في ذات الوقت، هذا ما يميز الرقابة الإدارية ببعض الخصائص التي تجعل منها أمر لاغنى عنه ولا يجوز الاستغناء عن وجوده، كما أن الرقابة الادارية تتعدد وتنوع، حيث أنها تتمثل في الرقابة القانونية على مشروعية العمل الإداري علاوة على رقابة الملائمة التي تمتد إلى بحث كافة الظروف الاجتماعية والإنسانية التي تحيط بالقرار وظروف إصداره.

من هذا المنطلق وعن طريق القيام بدراسة ميدانية باستخدام دليل المقابلة سنستعرض في هذه المداخله أهم طرق انتقاء وتوظيف ومتابعة العمال في المؤسسة الوطنية للمنظفات(مركب سور الغزلان بالبويرة نموذجاً).

مناهج الدراسة:

لابد لكل بحث علمي أن يستند إلى مناهج وطرق علمية منظمة يستخدمها الباحث لتطبيق بحثه من أجل الوصول إلى نتائج علمية دقيقة لتفسير الظاهرة محل الدراسة تفسيرا علميا يستبعد التفسيرات الذاتية والأحكام المسبقة التي لا تستند على أي أساس علمي.

فالبحوث العلمية "تبني نتائجها على النتائج التي نصل إليها فعلا بالقياس والإحصاء بصرف النظر عن المفاهيم الشخصية أو الذاتية السابقة يتسع الأفق الفكري للباحث للتسليم ببعض النتائج التي قد تخالف معتقداته وآرائه الخاصة"¹

منهج دراسة الحالة:

لقد استخدمنا في هذه الدراسة منهج دراسة الحالة بالإضافة إلى الاستعانة بمنهج تحليل المضمون لتصنيف الكلمات المتشابهة وكذلك استعملنا المنهج الاحصائي التحليلي كتقنية مساعدة لقياس وتفسير المعلومات الاحصائية.

هذا المنهج يهتم بدراسة الظواهر والحالات الفردية والثنائية والجماعية والمجتمعية، ويركز على تشخيصها من خلال المعلومات التي جمعها وتتبع مصادرها في الحصول على الحقائق المسببة للحالة، ويصل إلى نتائج ومعالجات من خلال دراسته المتكاملة، وتتفق أغلب التعاريف على أن منهج دراسة الحالة هو المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية

¹ محمد خليفة بركات، مناهج البحث العلمي، دار القلم، الكويت، 1984، ط 2، ص 17.

المتعلقة بأية وحدة سواء كانت فردا أو أسرة أو جماعة أو مؤسسة أو نطاقا اجتماعيا أو مجتمعا محليا أو مجتمعا عاما، ويقوم على أساس التعمق في دراسة مرحلة معينة من تاريخ الوحدة أو المؤسسة أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها¹. إذن تتضمن دراسة الحالة، حالة واحدة أو بعض الحالات دراسات معمقة مع تحليل كل عامل من العوامل المؤثرة، والاهتمام بكل شيء خاص عن الحالة المدروسة².

ولا شك أن أي دراسة علمية يتوقف نجاحها ومدى موضوعيتها على طبيعة المنهج أو المناهج المستخدمة في البحث حيث أن المنهج هو الذي يضفي الصبغة العلمية على البحوث في مختلف العلوم.

تصميم العينة:

وتتمثل العينة في ذلك الجزء الذي يختاره الباحث من المجتمع الأصلي لإجراء دراسته عليها وتعميم نتائجها على المجتمع الأصلي وتختلف حسب المجتمع المأخوذة منه وهذا الجزء يتمثل "في أخذ نسبة معينة من المجتمع الأصلي للدراسة"³، ولكي تمثل العينة المجتمع تمثيلا صحيحا لا بد أن تكون خصائصها تحمل نفس خصائص مجتمع البحث المستهدف بالدراسة، لكي نستطيع تعميم فرضيات دراسة العينة على المجتمع المستهدف⁴.

وقد استخدمنا العينة القصدية بمقابلة مسئولي مصالح المؤسسة الوطنية للمنظفات (وحدة سور الغزلان)، حيث اخترنا خمس مصالح وهي مصلحة الموارد البشرية، ومصلحة البحث والتطوير، ومصلحة التسويق، ومصلحة مكافحة التلوث، ومصلحة مراقبة النوعية، وقد اخترنا هؤلاء لدرايتهم ومسئوليتهم في اختيار ومتابعة العمال في هذه المؤسسة الاقتصادية.

أدوات جمع المعلومات:

¹ عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع د بلد، 1999، ص 129.

² محمد الصاوي، محمد المبارك، البحث العلمي أسسه وطرق كتاباته، المكتبة الأكاديمية، د بلد، 1992، ط 1، ص 32.

³ عبد الناصر جندلي، تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، ديوان م. ج، الجزائر، 2007، ط 2، ص 39.

⁴ André Pierre Contandriopoulos et des autres, Savoir préparer une recherche, les presses de L'université de Montréal, Canada, 1990, p 57.

دليل المقابلة: استخدمنا في هذه الدراسة دليل المقابلة وهو "نموذج يضم مجموعة من الأسئلة التي توجه إلى الأفراد أثناء المقابلة بغية الحصول على بيانات معينة وللاستمارة دور كبير في إنجاح أي بحث علمي، فهي تفرض على المبحوث التقيد بموضوع البحث وعدم الخروج عن أطره العريضة ومضامينه التفصيلية ومساراته النظرية والتطبيقية"¹

1- مفهوم الرقابة:

هناك الكثير من التعاريف التي تطرقت إلى مفهوم الرقابة الإدارية وميادينها وذلك حسب الميدان الذي يستخدم فيه هذا المصطلح، حيث يعرفها الدكتور فؤاد العطار: «هي وظيفة تقوم بها السلطة المختصة بقصد التحقق من أن العمل يسير وفقا للأهداف المرسومة بكفاية وفي الوقت المحدد لها»، ويمكن القول أن الرقابة تعني التحقق والتأكد من التزام الإدارة بالقوانين والأنظمة والتعليمات في أدائها بعملها لتحقيق الأهداف المرسومة وفق الخطط الموضوعة بكفاءة وفعالية والوقوف على نواحي القصور والخطأ، ومن ثم العمل على علاجها ومنع تكرارها²

كما تعرف الرقابة الإدارية كذلك بأنها "ملائمة النشاط الإداري للمعايير الأساسية التي تضعها السلطة الإدارية"³.

وتعرف الرقابة أيضا على أنها: "هي الرقابة الجارية التي تتزامن مع وقت حدوث الأنشطة والعمليات الانتاجية المختلفة في المنظمة، من أدائها التوجيه الفعال للعاملين للأداء الأفضل والقيادة للتأثير عليهم"⁴

2- الرقابة والأداء:

ترتبط الرقابة بتقييم الأداء ارتباطا وثيقا، فتقييم الأداء يعتبر جزءا من نظام الرقابة، وإذا كانت الرقابة تنطوي على عملية قياس الأداء وتصحيحه فإن تقييمه هو عبارة عن دراسة وتحليل جوانب القوة والضعف التي تكتنف إنجاز الأنشطة سواء الفرد أو المنظمة أو أي جزء من أجزائها، ولاشك أن الهدف من تقييم الأداء بهذا التعريف هو التعرف أو الحكم على مدى فعالية المنظمة أو قياس إنتاجيتها.

¹ حسن محمد حسن، الأسس العلمية لمناهج البحث العلمي، دار الطليعة، بيروت، 1986، ص 93.

² حمدي سليمان سميجان القبيلان، الرقابة الإدارية والمالية على الأجهزة الحكومية، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1998، ص 13-14.

³ Debbaschcharle, science administrative, 2^{em} edition, dalloz 1972, p 575.

⁴ جازية زعتر، أصول التنظيم والإدارة، دار الفكر العربي، القاهرة، د سنة، د ط، ص 240.

ويساعد تقييم الأداء في تحقيق عدة فوائد للمؤسسة من أهمها:

2-1- بالنسبة للفرد:

تحسين إدراك الفرد وتطوير مفاهيمه المرتبطة بتقييم الأداء (أساليب التقييم، الأداء الماضي والأداء المتوقع... وغير ذلك) بالإضافة إلى توضيح الفرص المتاحة للفرد لتحسين وتطوير أدائه، ودعم ثقته في نفسه وتشجيع الإدارة له.

2-2- بالنسبة للمدير:

يمكن المسؤول الأول في المؤسسة من التحكم الجيد في سير مؤسسته وتعريفه بطرق تدعيم وتحفيز الأفراد وتشجيعهم سلوكاً وأداءً، وأيضا مساعدة المديرين في تنظيم وتخطيط القوى العاملة وتحسين أدائهم، ودعم ثقته بأنفسهم وبمروءيتهم... الخ.

2-3- بالنسبة للمنظمة:

يساعد تقييم الأداء في تحسين طرق التنبؤ بالأداء المتوقع، تحديد جوانب الضعف وطرق علاجها وتوفير المعلومات الإدارية الضرورية لاتخاذ القرارات أو التحفيز بالإضافة إلى تحديد متطلبات أو برنامج التدريب والتنمية للموارد البشرية والمادية والتكنولوجية وكذلك اختيار العمالة الجيدة وغيرها.

ومن هنا فإن التداخل والارتباط بين عملية الرقابة وتقييم الأداء يعتبر حقيقة لا يمكن القفز عنها، فتقييم الأداء يساعد على تحديد الانحرافات وتوضيح طرق وأساليب علاجها وذلك في مختلف المستويات التنظيمية، والرقابة تشترك معه في هذا الهدف، كما أن نظام الرقابة الجيد لا بد أن يحتوي نظاما جيدا لتقييم الأداء.

أولاً: أنواع الرقابة على حسب المدى الزمني للتنفيذ:

وتقسم لثلاثة أنواع:

1- الرقابة المستمرة الموجهة:

وتسمى أيضاً بالرقابة السابقة والرقابة المانعة والرقابة المباشرة، وهي الرقابة التي تصاحب عملية التنفيذ وتتم في المراحل الأولى من العمل وقبل اكتمال النتائج والإنهاء من التنفيذ وتهدف إلى منع وقوع الأخطاء منذ البداية وتمارس من المدير المباشر أو رئيس الوحدة إلى مكان التنفيذ وتصحيح الخطأ بالتوجيه أو الممارسة.

وهي من أفضل أنواع الرقابة وأدقها (لماذا) في أعمال المستويات الدنيا وسلوك أفرادها إلا أنه من سلبياتها عند المغالاة في استخدامها ما يلي:

1- قد تؤدي إلى نتائج عكسية بسبب المضايقات التي يشعر بها الموظفون.

2- وضياح وقت الإدارة العليا وابتعادها عن القيام بوظائفها الرئيسية.

الحل: أن يقوم المدير المباشر الرقابة المباشرة (داخلية سابقة)، وتعتمد الإدارة العليا على الرقابة غير المباشرة (عن طريق التقارير التي ترفع من الرئيس المباشر) مع القيام بزيارات تفتيشية من فترة لأخرى، ومن أمثلتها الرقابة على الميزانية للمنظمات العامة (خارجية سابقة)، والرقابة على كشوف الدرجات النهائية قبل إعلان النتائج (داخلية سابقة)، وأيضاً لا يجوز لأي وحدة إدارية صرف أي مبلغ من الميزانية قبل الحصول على الموافقة من الجهة المختصة بالرقابة.

2-الرقابة المرحلية:

هي الرقابة على كل مرحلة من مراحل الخطة بعد تنفيذها، حيث تقسم الخطة إلى مراحل ثم يتم قياس نتائج التنفيذ الفعلي بعد اكتمال كل مرحلة ومقارنتها بالمعايير، ولا يتم تنفيذ المرحلة التالية إلا بعد التأكد من أن المرحلة السابقة قد نفذت كما خطط لها، وتسمى بالرقابة التخطيطية (لأنها تتم على فترات دورية وفقاً لفترات الخطة للتأكد من أن كل جزئية من الخطة قد تمت في الوقت المناسب والطريقة المناسبة وتعتبر من أفضل أنواع الرقابة لأنه:

1- يتوقف اتخاذ كل إجراء على الإجراء السابق له.

2- تساعد على التساؤل عن أسباب ومبررات وجود كل خطوة من خطوات التنفيذ، مما يساعد على اكتشاف نقاط الضعف في الإجراءات والتعرف على الخطوات غير الضرورية فيها وعلى أماكن وجود أسباب الاختناقات التي تعرقل سير المعاملة وتستخدم في حالات معينة مثل الإجراءات المكتبية القانونية على العقود مثل جداول جانت وتخطيط وتقييم ومراجعة البرامج وخريطة سير الإجراءات.

3- الرقابة بعد التنفيذ:

وهي الرقابة التي تتم بعد تنفيذ العمل كله أو بعد انجاز جميع مراحل لمقارنة النتائج الفعلية بالمخططة، أي مراجعة ما تم انجازه ومقارنته بما هو مطلوب والتعرف على الأخطاء وتصحيحها.

من مميزاتهما: أنها تتيح الفرصة لمراجعة نشاطات المنظمة مراجعة شاملة ودقيقة (لماذا)، وتكشف الأخطاء مما يساعد على تحديد المسؤولية ومساءلة المقصرين، ومن عيوبها أنها تفتقر للفاعلية (لماذا) وتعتبر رقابة سلبية (لأنها لا تمنع وقوع الأخطاء ولا يستفاد منها إلا عند إعداد خطة مماثلة جديدة، وتسمى أحياناً بالرقابة غير المباشرة، والرقابة اللاحقة والرقابة البعدية من أمثلتها الرقابة على المصروفات والإيرادات.

أنواع الرقابة حسب أهدافها:

1- الرقابة السلبية:

وهي الرقابة التي تركز على اكتشاف الأخطاء والانحرافات، دون التركيز على نقاط القوة والضعف في التنفيذ أو تقديم الحلول لمعالجة مشاكل العمل، تهدف إلى منع حدوث المخالفات، ومنع سوء استخدام السلطة ومعاقبة مرتكبيها.

وتهدف إلى اكتشاف الانحرافات والأخطاء بطريقة يقصد بها إطلاع المسؤولين على تلك الأخطاء دون توجيه انتباهه العاملين إلى أوجه القوة والضعف أثناء عملية التنسيق ودون تقديم الافتراضات والحلول لمعالجة المشكلة القائمة وتلافي تكرار حدوثها وهذا النوع من الرقابة غير بناء لأنه يعني... الخوف والتأثير في نفوس أفراد التنظيم.

2- الرقابة الإيجابية:

وهي الرقابة التي تتأكد من أن التصرفات والإجراءات تسير وفقاً للوائح والأنظمة والتعليمات بما يكفل تحقيق الأهداف وتحليل ودراسة العمل لمعرفة الانحرافات المحتملة لمنع حدوثها.

إذن فالرقابة الإيجابية تضمن حسن سير العمل والرقابة السلبية تتصيد الأخطاء والانحرافات، ويجب أن يكملان بعضهما، ومن الملاحظ أن الدول النامية تركز على الرقابة السلبية وتتجاهل الرقابة الإيجابية.

والفرق بين الرقابة الإيجابية والرقابة السلبية هو أنّ الرقابة الإيجابية تهدف إلى ضمان حسن سير العمل وليس تصيد الأخطاء كما تهدف الرقابة السلبية.

أهمية وشروط نجاح الرقابة:

1- إن الرقابة هي نشاط بحثي بالدرجة الأولى، أي أن الهدف منها ليس العقاب أو منح الثواب بقدر ما تستهدف التعرف على أسباب الانحرافات وكيفية علاجها إذا لزم الأمر.

- 2- أنها تهدف إلى تحقيق الرقابة الجيدة على الأداء الحالي وضمان استمراريته بالمستوى المرضي، فالرقابة قد تؤدي على شعور العاملين بالإحباط إذا لم يتم توضيح أهميتها والهدف منها وشرح جدواها للعاملين.
- 3- تنمية الرقابة الذاتية تساهم بدرجة كبيرة في تخفيض عبء العمل المرتبط بأنواع الرقابة الأخرى.
- 4- إن الرقابة وسيلة وليست غاية والمشكلة تختلف عن مظاهر المشكلة.
- 5- ضرورة أن تتواءم الأنشطة والأساليب الرقابية مع طبيعة الموقف وكلما أمكن محاولة استخدام مزيج من أنواع الرقابة المختلفة (المتزامنة، التاريخية والداخلية..... الخ).
- 6- ضرورة محاولة استخدام الرقابة لتحقيق أكثر من غاية واحدة.
- 7- إن توافر المعلومات أساس للرقابة الجيدة، وإن النظام الرقابي الجيد هو الذي يوفر ويبلغ عن الانحرافات بسرعة قبل تفاقم المشكلة.
- 8- عوائد النظام الرقابي الجيد يجب أن تزيد عن تكلفته.
- 9- إن نظام الرقابة الجيد يجب أن يكون مفهوماً.
- 10- إن الحصول على تأييد الأفراد وكذلك الإدارة العليا للنظام وأسلوب الرقابة المطبق يعتبر ضرورة لنجاحه.

الجانب الميداني:

تحليل النتائج:

جدول رقم 1: يبين توزيع المسئولين المستجوبين حسب نوع المصلحة:

المصلحة الرتبة	دائرة الموارد البشرية	مصلحة مراقبة النوعية	مصلحة البحث والتطوير	مصلحة مكافحة التلوث	مصلحة التسويق	المجموع
رئيس مصلحة	1	1	1	1	1	5
مساعدين	2	3	1	3	2	11

المجموع	3	4	2	4	3	16
---------	---	---	---	---	---	----

يبين الجدول المبين أعلاه رؤساء المصالح ومساعدتهم الذين تم إجراء مقابلة معهم بخصوص آليات اختيار وضبط ومتابعة العمال بالمؤسسة الوطنية للمنظفات (وحدة سور الغزلان بالبويرة)، والتي تم إجراء هذه الدراسة بها، حيث قمنا بمقابلة رؤساء خمسة مصالح وبعض من مساعدتهم بهذه المؤسسة الاقتصادية (مساعد على الأقل من كل مصلحة)، ويتمثل رؤساء المصالح في كل من الدوائر التالية:

دائرة الموارد البشرية.

مصلحة مراقبة النوعية.

مصلحة البحث والتطوير.

مصلحة مكافحة التلوث.

مصلحة الاعلام.

ويمثل رؤساء المصالح الخمسة أهم مناصب المسؤولية في الشركة ويضطلعون بدور مهم في انتقاء وتوجيه ومتابعة العمال كل حسب دائرة تخصصه ومسئوليته.

جدول رقم 2: يبين طريقة اختيار العمال في المؤسسة:

الطريقة	التكرار	النسبة %
الشهادة	5	25%
الخبرة	3	15%
اختبار الكفاءة	5	25%
التخصص المطلوب	3	15

الوساطة	4	20%
المجموع	20	100%

ملاحظة: المجموع المبين في الجدول لا يعبر عن عدد المستجوبين، وذلك نظرا لتعدد الاجابات عند المسئول الواحد من المسئولين المستجوبين.

يتبين لنا من خلال الجدول رقم (2) المبين أعلاه أهم الطرق المستخدمة في انتقاء العمال في المؤسسة الوطنية للمنظفات (مركب سور الغزلان بالبويرة)، حيث يمثل معيار الشهادة ومعيار اختبار الكفاءة أهم طريقة في انتقاء العمال بنسبة 25٪، ويمثل معيار الوساطة ما نسبته 20٪، فيما يمثل كل من معيار التخصص والخبرة والوساطة ما نسبته 15٪ من الإجابات الواردة في الجدول.

وما تجدر الإشارة إليه في هذا الجدول أن نسبة 50٪ من طرق توظيف العمال وانتقائهم في هذه المؤسسة الصناعية تتمثل في استخدام معياري الشهادة واختبارات الكفاءة، فيما معايير الخبرة والتخصص والوساطة نسبة الـ 50٪ الأخرى. كما يتبين لنا من خلال الجدول أيضا اعتراف بتدخل عوامل غير موضوعية في انتقاء وتوظيف العمال وهي الوساطة والتي تمثلت في نسبة معتبرة نوعا ما وهي 20٪.

جدول رقم 3: يبين الآليات المستخدمة لضبط العمال:

الآلية	التكرار	النسبة٪
الإمضاء اليومي	2	10٪
الخصم من الأجر	8	40٪
المساءلة	2	10٪
لجنة التأديب	2	10٪

اتفاقية العمل	2	10%
القانون الداخلي	4	20%
المجموع	20	100%

ملاحظة: المجموع المبين في الجدول لا يعبر عن عدد المستجوبين، وذلك نظرا لتعدد الاجابات عند المسئول الواحد من المسئولين المستجوبين.

يبين لنا الجدول رقم (3) أعلاه أهم الآليات المستخدمة في ضبط ومتابعة العمال في المؤسسة الوطنية للمنظفات (مركب سور الغزلان بالبويرة)، حيث يمثل الخصم من الأجر أحد أهم الآليات المستخدمة في ضبط ومتابعة العمال في هذه المؤسسة بمقدار بنسبة 40٪، فيما يمثل تطبيق القانون الداخلي نسبة مقدرة بـ 20٪، وتمثل الآليات الأخرى المتمثلة في كل من الامضاء اليومي والمساءلة والإحالة على لجنة التأديب وتطبيق اتفاقية العمل ما نسبته 10٪ من الإجابات الواردة في الجدول.

ومن خلال هذه القراءة والأرقام المبينة في الجدول أعلاه نستنتج أنه ورغم تعدد وتنوع الآليات المستخدمة في ضبط العمال داخل هذه المؤسسة إلا أنها مستخدمة بنسب قليلة لا تتعدى الـ 10٪، إلا أن المسئولين يفضلون العقوبة المادية المتمثلة في الخصم من الأجر وهي نسبة عالية تمثل وحدها 40٪ من الآليات المستخدمة في ضبط العمال بهذه المؤسسة الاقتصادية.

جدول رقم 4: يبين مدى الرضى عن أداء العمال:

الرضا	التكرار	النسبة٪
راض	4	25٪
غير راض	4	25٪
نوعا ما	8	50٪

المجموع	16	%100
---------	----	------

يتبين لنا من خلال الجدول رقم (4) والخاص بمدى الرضا عن أداء العمال بمؤسسة المنظفات بسور الغزلان بولاية البويرة أن النسبة الأعلى من مسؤولي المصالح غير راضين تماما عن أداء العمال حيث سجلوا رضاهم إلى حد ما (راضون عن فئة قليلة فقط) وهي نسبة مقدرة بـ 50٪، فيما اقتصرت نسبة مسؤولي المصالح ومساعدتهم الراضين عن أداء العمال على نسبة 25٪ وهي نفس النسبة الخاصة بمن ليسوا راضين عن أداء العمال.

ومن خلال هذه قراءتنا للأرقام المبينة في الجدول أعلاه نستنتج أن نسبة قليلة فقط من المسؤولين المستجوبين كانوا راضين عن أداء العمال حيث يمثلون ما نسبته 25٪، بينما الغالبية منهم كانوا غير راضين إطلاقاً أو راضين (نوعاً ما) أي أنهم راضون عن فئة قليلة من العمال فقط، وهي نسبة معتبرة جداً (75٪)، وهذا راجع إلى عدة أسباب خاصة منها طرق انتقاء العمال في بداية التوظيف والتي لا تتماشى في الكثير من الأحيان مع متطلبات الوظيفة الواجب شغلها، كعدم مراعاة الكفاءة والخبرة وانعدام المعايير السليمة والموضوعي في اختيار العامل المؤهل وصاحب الكفاءة، وهذا ما سيتبين من خلال الجدول الموالي.

ويتبين لنا من خلال قراءة هذه النتائج أن نسبة عشرين في المئة فقط من رؤساء المصالح الإقتصادية بالمؤسسة كانوا راضين عن أداء العمال في حين نسبة ثمانون في المئة غير راضين عن أداء العمال في هذه المؤسسة الاقتصادية وهذا راجع إلى التضارب وعدم الموازنة في استخدام طرائق تقييم العمال ومتابعتهم حيث لاحظنا اعتمادهم الكبير على آلية الخصم من الأجر وهو إجراء يؤثر على معنويات العمال ولا يساعد على تحفيزهم لخدمة أهداف المؤسسة.

جدول رقم 5: يبين الإجراءات المتخذة في حق العمال الذين لا يحترمون آليات الضبط:

الإجراء المتخذ	التكرار	النسبة %
تطبيق القانون الداخلي	4	20%
عدم اتخاذ أي إجراء	1	5%
الخصم من الأجر	7	35%

مجلس التأديب	2	10%
الحرمان من الترقية	2	10%
توقيف مؤقت	2	10%
إنذار	2	10%
المجموع	20	100%

يتبين لنا من خلال نتائج الجدول أعلاه أن أهم آلية مستخدمة لضبط ومراقبة العمال هي آلية الخصم من الأجر والتي تمثل أعلى نسبة بالجدول مقدرة بـ 35٪/تليها نسبة 20٪ التي سجلت عند المسؤولين الذين يميلون إلى تطبيق القانون الداخلي للمؤسسة والذي يشتمل على عدة آليات، فيما سجلت نسبة 10٪ عند كل من يستخدمون طريقة مجلس التأديب والحرمان من الترقية والتوقيف المؤقت، وأخيرا نسبة 10٪ عند من يميلون إلى عدم اتخاذ أي إجراء.

أهم النتائج المتوصل إليها:

كشفت هذه الدراسة عن تعدد وتباين في طرق وآليات توظيف ومتابعة العمال في المؤسسة الوطنية للمنظفات (مركب المنظفات بسور الغزلان بولاية البويرة)، حيث توصلنا إلى عدة نتائج بهذا الشأن نلخصها فيما يلي:

- تبين لنا من خلال الدراسة اعتراف من بعض مسؤولي المؤسسة بتدخل عوامل غير موضوعية في انتقاء وتوظيف العمال متمثلة في الوساطة والتي تمثلت في نسبة معتبرة نوعا ما وهي 20٪.

- توصلنا أيضا إلى أنه ورغم تعدد وتنوع الآليات المستخدمة في ضبط العمال داخل هذه المؤسسة إلا أنها مستخدمة بنسب قليلة لا تتعدى الـ 10٪، إلا أن المسؤولين يفضلون العقوبة المادية المتمثلة في الخصم من الأجر وهي نسبة عالية تمثل وحدها 35٪ من الآليات المستخدمة في ضبط العمال بهذه المؤسسة.

- وجدنا أن الرضا عن أداء العمال له علاقة بطريقة اختيار العمال في بداية التوظيف، حيث يزداد الرضا كلما كانت طرق الانتقاء عقلانية ومدروسة، فيما ينقص الرضا عند استخدام الوساطة في انتقاء العمال والعكس بالعكس، وهذا ما

يؤكد على ضرورة استعمال الطرق المدروسة في انتقاء العمال بما يساهم في تسهيل متابعتهم ورسكلتهم خلال مسيرتهم العملية من أجل تحسين أدائهم.

ومن خلال هذه النتائج يمكننا الخروج بالتوصيات التالية:

- العنصر البشري من أهم الموارد التي يجب الاستثمار فيها وإيلاء العناية اللازمة بها للاستفادة قدر الإمكان من الموارد البشرية التي تمتلكها المؤسسة الاقتصادية.
- متابعة وتأهيل العمال شرط ضروري لاستمرار المؤسسة إلا أن ذلك لا ينبغي أن يكون دون احترام اليد العاملة أو إهانتها.
- يعتبر العنصر البشري المؤهل أحد أسباب رضا الزبون عن المؤسسة الاقتصادية ورضا المسئول عن العمال ذاتهم، ولا يكون العامل مؤهلا بالشكل المطلوب إلا إذا كانت أساليب المتابعة والرقابة فعالة وعقلانية ومرنة.

الخاتمة:

خاتمة قولنا أن اختيار العمال ومتابعتهم وإعادة تأهيلهم لم يعد أمرا اختياريا أو سهل المنال تلجأ إليه المؤسسات الاقتصادية، ولكنه أصبح ضرورة حتمية وملحة لتحقيق الاستمرارية والتكيف مع النظام العالمي الجديد الذي يتسم بالصرامة والكفاءة في الأداء والتنافسية في الخدمات.

قائمة المراجع:

- 1- درويش عبد الكريم وليمي تكللا، أصول الإدارة العامة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1980، ص 55.
- 2- شهرزاد مشاد، دور الرقابة في السلوك التنظيمي للعامل، دراسة ميدانية مصنع أميانت اسمنت مفتاح، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة البليدة، سبتمبر 2007، ص 49.
- 3- محمد خليفة بركات، مناهج البحث العلمي، دار القلم، الكويت، ط 2، 1984، ص 17.
- 4- عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع د بلد، 1999، ص 129.

- 5- محمد الصاوي، محمد المبارك، البحث العلمي أسسه وطرق كتاباته، المكتبة الأكاديمية، ط1، د بلد، 1992، 32.
- 6- عبد الناصر جندلي، تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، ديوان المطبوعات، الجزائر، ط2، 2007، ص39.
- 7- André PiereContandriopoulous et des autres, Savoir préparer une recherche, les presses de L'université de Montereale, Canada, 1990, p 57.
- 8- حسن محمد حسن، الأسس العلمية لمناهج البحث العلمي، دار الطليعة، بيروت، 1986، ص 93.
- 9- حمدي سليمان سمحان القبيلان؛ الرقابة الإدارية والمالية على الأجهزة الحكومية؛ مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع؛ عمان الأردن؛ 1998؛ ص 13-14.
- 10- Debbascharle, science administrative, 2^{em}edution, dalloz 1972, p 575.
- 11- جازية زعتر، أصول التنظيم والإدارة، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، د سنة، ص 240.

ضحايا الاجرام في المدن الجزائرية الجديدة

السعيدى رضوان – أ.د. عمارة فاتح جامعة باجي مختار عنابة

ملخص الدراسة:

تطرح هذه الدراسة موضوع ضحايا الاجرام في المدن الجزائرية الجديدة، كظاهرة اجتماعية صاحبت عملية التحضر، ووقوفها حجر عثر في تحقيق الأهداف المجتمعية والتنمية وراء انشاء هاته الأخيرة، وتبرز تداعيات الاجرام والعنف على الحياة اليومية للسكان في المدن الجديدة.

ولتحقيق اهداف الدراسة واستكمال مسعاها سيتم اتباع محاور رئيسية بالإضافة الى مقدمة وخاتمة، فالمحور الأول للتعريف بموضوع الدراسة والمحور الثاني تفصيل على اهم التفسيرات النظرية للإجرام في المدينة والمحور الثالث حول انعكاسات ثقافة اللأمن واللاتمدين.

الكلمات المفتاحية: التحضر - الضحايا - الاجرام - المدن الجزائرية الجديدة.

Les victimes de la criminalité dans les nouvelles villes algériennes**Résume :**

Cette étude aborde le problème des victimes de la criminalité dans les nouvelles villes algériennes comme phénomène social ayant accompagné le processus d'urbanisation et entrave ses objectifs sociaux.

Afin de réaliser cette étude on l'a subdivisé après l'introduction en trois principaux chapitres, le premier consiste à définir le sujet de l'étude le second traite en détail les différentes tendances explicatives de la criminalité urbaine et du changement social et on met en lumière dans le dernier chapitre les conséquences de la culture de l'insécurité et de l'incivilité.

Mot clés : les victimes – la criminalité – la civilité – les nouvelles villes algériennes

مقدمة:

شهد المجتمع الجزائري تحولات جذرية منذ الاستقلال على المستوى الثقافي والديمقراطي والاجتماعي خاصة تلك المسجلة في فترة التسعينات من القرن الماضي، كما سماها الاعلام الخارجي حربا اهلية وتعرف في الداخل بالعشرية السوداء ولعل اهم ما ميزة لها هي العنف بكل انواعه مما انتج بدوره جغرافيا جديدة للسكان، حيث حتم النزوح من الارياف والقرى صوب المدن -هجرة داخلية- بحثا عن الامن، وهذا ما اسهم في تغيير البيئة الاجتماعية والثقافية للسكان مما ولد ازمة على مستوى المدينة سواء من حيث المواصلات او السكن او فرص العمل، وأضحت المدينة من وقتها المكان الأكثر أمنا لغاية انفراج الوضع واستتباب الامن ولغرض فك الخناق على المدن الكبرى في الجزائر انتهجت سياسة تخطيط عمرانية تستهدف ضواحي المدن الكبرى لاجل اعادة توزيع السكان وفك الخناق على مراكز المدن، وهذا بانشاء مدن واحياء جديدة كأحزمة للمدن الكبرى، ففي السنوات الأخيرة اضحى مستوطنات الجرمية في البيئة الحضرية الجديدة سواء احياء او مدن ممثلا في أنماط جديدة للجريمة مثل العصب والاعتداء بالسلاح الأبيض وغلق الطرق، ناهيك عن جرائم اختطاف الأطفال الذي لايزال يورق مستفيدي هاته السكنات.

الا ان المشكلة تكمن في تداعيات اعمال العنف والعدوان سواء من ناحية معنوية او من ناحية مادية على الاشخاص او الممتلكات، فهي سلوكيات تعكس ثقافة لا تمدن التي تؤثر على الحياة الاجتماعية وتغذي الشعور باللا أمن لدى الأفراد والأسر على ابنائها وحتى فقدان الثقة وتنامي الخوف ما يعكس أسلوب حياة تسوده ثقافة فرعية وبالتالي لحالة من الفوضى واللامبالاة ولا مانع من الإشارة للانفتاح الإعلامي بكل انواعه على نقل ونشر اخبار الجريمة بطريقة كانت او أخرى مما يعطي ثقافة العنف منبرا إعلاميا يعزز تغلغلها في أوساط المجتمع.

ومما تقدم يمكننا طرح التساؤل حول ما الذي يجعل شخصا ما او مقيما في حي او مدينة معينة هدفا سهلا جاذبا للجريمة؟

وماهي الخصائص الشخصية والبيئية التي تجعل الفرد او الجماعة عرضة قابلة للاضحاء الاجرامي؟

–تحديد المفاهيم:

التحضر:

عرف التحضر على انه عملية تغير في النظم والعلاقات والتوزيعات للسكان من خلال انتقال السكان من أماكن استقرارهم الأولى نحو المدن والمناطق الحضرية، ويمكن تعريفه بصيغة أخرى على انه عملية نمو وتطور واتساع المدن والبيئات الحضرية من نمو للسكان والهجرة الداخلية وامتداد المدن (الهيبي، 2014: ص213).

اجتماعا: يعرف التحضر من الوجهة الاجتماعية على انه عملية من عمليات التغير الاجتماعي من طريق الانتقال من الريف الى المدينة والاستقرار فيها
احصائيا: هو مجموع السكان داخل تجمعات بشرية مصنفة كمدن (الهيبي، 2014: ص195).

ديمغرافيا: انتقال السكان من منطقة العيش التقليدية التي في الغالب منطقة قليلة الكثافة السكانية الى منطقة عيش أكثر كثافة.

سلوكيا: هو اكتساب عادات واعراف اجتماعية حديثة من حيث الممارسة ليومية للحياة ولعل أبرزها تغيير المهنة وطريقة اللباس والسكن.

ثقافيا: في اكتساب قيم جديدة وليدة البيئة الحضرية (الهيبي، 2014: ص196).

الضحايا:

جمع كلمة ضحية ويقد بها فرد (او تنظيم) يمتلك أحد او عدة عناصر جاذبة تم ايقاعها في شبكة الاحتيال او الاغتصاب، او حولت الى رهينة، او عن طريق عدوان ممارس ضدها.

بتعبير اخر انها نتاج صراع فردي (او تنظيم مع افراد) ينطوي على مضامين اجتماعية غير متكافئة وعلى قوى اقتصادية غير متكافئة (معن، 2009: ص63).

كما تقترب من مفهوم الفريسة لما تحمل صفات جاذبة يستهدفها المطارد ومتابعته لها لكي يوقعها في شركه (ن م، ص 64).

الاجرام:

- الجرائم مفردتها جريمة والجريمة من جرم، والجرم القطع. والجرم التعدي والجرم الذنب.

- فالجريمة تطلق في اللغة عن الكسب الاثم.

أصل كلمة جرم أي قطع وكسب، كما اشتق من ذلك المعنى اجرام وأجرموا.

كما يعرف اميل دوركايم على انها ظاهرة طبيعية تمثل الضريبة التي يدفعها المجتمع ويتحمل الفرد اثارها (معتوق، 2016: ص 11).

مفهوم

الجريمة:

يرى علماء الاجتماع بان الجريمة ظاهرة اجتماعية وان التجريم بحد ذاته هو الحكم الذي تصدره الجماعة على بعض أنواع السلوك بصرف النظر عن نص القانون وفي هذا الاتجاه ميز جارو فالو بين الجريمة الطبيعية التي لا تختلف عند الجماعات في الزمان والمكان لتعارضها مع المبادئ الإنسانية والعدالة كجرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال.

والجريمة المصطنعة التي تشكل خرقا للعواطف القابلة للتحويل كالعواطف الدينية والوطنية واعتبر الأولى بأنها تدخل في المعنى الحقيقي للإجرام ودراساته التحليلية ويقدر البعض الآخر بان الجريمة عبارة عن السلوك الذي تحرمه الدولة بسبب ضرورة ويمكن أن ترد عليه بفرض جزاء وهو بوجه عام يشكل السلوك المضاد للمجتمع والذي يضر بصاحه.

تعريف المدينة الجديدة:

تعريف هيربرت جانز: المدن الجديدة هي مجتمعات قديمة على ارض جديدة لا تختلف اختلافا كبيرا من الناحية الثقافية على أجزاء الضواحي ومناطق الجوار الحضرية التي يسكنها نفس النوع من الناس وتشبه لحد كبير من الناحية السياسية تلك المدن القائمة.

تعريف دائرة المعارف البريطانية: المدن الجديدة هي شكل من اشكال التخطيط الحضري، صممت أساسا لإعادة توزيع السكان خارج المدن الكبرى وذلك من خلال خلق مجتمعات محلية مستقلة تتجمع فيها المساكن والخدمات والصناعة ووسائل الثقافة والترفيه (بن غضبان، 2015: ص135).

الجريمة والمدينة:

علم **الاجرام** **في** **مفهومه** **المعاصر:**

يمكن تعريف علم الاجرام بانه هو العلم الذي يبحث في تفسير السلوك العدواني الضار بالمجتمع، وفي مقاومته عن طريق ارجاعه الى عوامل حقيقية. وهذه العوامل قد تتمثل في الظروف الاجتماعية المحيطة بالجرم، كما تتمثل في دوافع داخلية كامنه في نفس الجاني او المجرم.

وعلم **الاجرام** **ينقسم** **الى** **فرعين** **متكاملين** **وهما:**

علم **النفس** **العقابي:**

الذي يعد فرعا من علم النفس العام وهو متعلق بدراسة العوامل النفسية المحركة للسلوك الاجرامي وتلك المتصلة بأثر العقوبات في نفسيات اولئك الخاضعين لها.

اما **الفرع** **الثاني:**

علم البيولوجيا العقابية: وهو متعلق بدراسة التكوين الحيوي او الفطري للإنسان من ناحية صلته المحتملة بسلوكه الاجرامي (معتوق، 2016: ص25).

علاقة **علم** **الاجرام** **بالقانون:**

موضوع علم الاجرام هو دراسة الجريمة بوصفها ظاهرة طبيعية تستند الى نواميس ليس للفرد عليها أي سلطان بمعنى انها ليست من صنعه.

اما موضوع القانون الجنائي فهو دراسة مجموعه قواعد موضوعية لتحقيق اهداف اجتماعيه معينه.

والقانون الجنائي قد ينطوي على صور كثيرة في سلوك ممنوع، وان كان لا يمثل شذوذا اجتماعيا او نفسيا، وبالتالي لا يتطلب بحثا في حقيقة العوامل الكامنة وراء هذا السلوك.

أما علم الاجرام فموضوعه دراسة جميع صور السلوك غير الاجتماعي والتي تتطلب البحث في العوامل الكامنة وراءه. اذ بعلم الاجرام يهتم بتحليل دوافع السلوك الاجرامي او بالأدق بتحديد عناصر الاستعداد الاجرامي لمقارنة افعاله ضد المجتمع التي لا تمثل السلوك السوي للفرد سواء اسندت في النهاية الى عوامل داخلية كامنه في نفس المجرم ام عوامل خارجية عنه كامنه في البيئة التي يعيش فيها وتستوي في ذلك بيئته الطبيعية مع الاجتماعية.

أنماط الاجرام:

نستخدم هذا المفهوم للإشارة الى أنواع الجرائم المنتشرة في البيئة الحضرية وتنميطها حتى يتسنى لنا حصرها في بعض الجرائم وليس كلها وبالتحديد المدن الجديدة، كما تساعد على فهم العلاقة التي يرتبط بها نوع الجريمة بالمكان وما يجعل بعضها أكثر انتشارا عن أخرى.

الانماط كثيرة ومتنوعة ويصعب حصرها باختلاف جغرافيتها الا ان البيانات الإحصائية تصنفها الجرائم ضد الأشخاص والجرائم ضد الممتلكات.

أهم أنماط الجرائم الحضرية:

- المخدرات للتعاطي او للتجارة.
- سرقات المحلات التجارية والسطو على البيوت والمساكن.
- سرقة السيارات والمركبات او بعض مكوناتها.
- تخريب الممتلكات الفردية والجماعية او العمومية.
- المضاربات بين الشباب او العصابات في إطار تكوين عصب مسلحة.
- العنف الجماعي يتبع عادة حركة الاحتجاج بإضرام النار وغلق الطريق.
- الحرق العمدي للمركبات.
- الاعتداءات الفيزيكية واللفظية.
- الدعارة والفسق.

وتشير احصائيات الأمانة العامة للأمم المتحدة إلى 190.000 إلى 200.000 اعتداء في السنة.

يقابلها من 170.000 إلى 180.000 ضحية في السنة دون النظر للجرائم المسكوت عنها.

تحديد مفهوم المدينة:

تختلف تعريف المدينة في الدراسات العلمية نظرا لاختلاف وجهات نظر الباحثين، وأغلب التعريفات تكون نسبة إلى أساس اما احصائي كمقياس الكثافة، ومنها على أساس اداري وبأقي تبعا لمواقع الإدارات والهيئات الحكومية والدوائر الحساسة (الشواورة، 2014: ص80).

ومنها على أساس وظيفي سواء كانت وظائف تجارية او صناعية او تعليمية وخدمات.

كما هناك من صنف تعريفها من حيث الشكل أي من طراز البناء وشكله وهندسة الواجهات، يليه تصاميم الحدائق بما يعكس القيمة الثقافية والحضارية (الهيقي، 2014: ص68).

المدن الجديدة في الجزائر:

تبنّت الجزائر مشاريع المدن الجديدة بغية تحقيق أهداف تنموية ومجتمعية بغية توزيع السكان بشكل مؤطر ومنظم بين شمال مكتظ وجنوب شبه فارغ، بالإضافة إلى مواجهة التحضر السريع في المدن الشمالية وما نجم عن هذا الأخير من تكتل للسكان في المدن الكبرى خاصة بعد أحداث العشرية السوداء وعمليات الهجرة الداخلية (بودقة، 2012: ص8).

وفي إطار مشروع "الجزائر غدا" والاستراتيجية الشاملة للمخطط الوطني للتهيئة العمرانية الذي يرمي إلى إنشاء 17 مدينة جديدة موزعة جغرافيا لفك الحناق على المدن الكبرى على غرار كل من العاصمة وهران وقسنطينة.

ولكون هذا المشروع استراتيجي للحد من نزوح حوالي 15 مليون نسمة إلى المدن الكبرى في أفق سنة 2025م (التيجاني، 2000: ص75).

أهداف سياسة إنشاء المدن الجديدة:

- تخفيف العبء على المدن الكبرى بحزام من المدن الجديدة.

-إعادة التوازن في الشبكة الحضرية وترقية السكن والخدمات.

-حماية الأراضي من الزحف العمراني.

التوزيع المكاني للمدن الجزائرية الجديدة:

تتعدد خصوصية كل مدينة من حيث موقعها الجغرافي وعددها في 04 نطاقات مكانية:

النطاق الأول: يغطي هذا النطاق إقليم مدينة الجزائر العاصمة (ولايات: الجزائر، البليدة، تيبازة، بومرداس)، والهدف من انشاء المدن الجديدة بهذا النطاق هو التحكم في الزيادة السكانية والحد من الهجرة الى هذا الإقليم.

النطاق الثاني: يقع جنوب النطاق الثاني ويغطي (ولايات: بجاية، تيزي وزو، البويرة، عين الدفلى، الشلف).

واعطيت الأولوية لمدينة بوينان وسيدي عبد الله بالنطاقين الأول والثاني.

النطاق الثالث: ويغطي هذا النطاق منطقة الهضاب العليا:

- الهضاب العليا الشرقية تضم المدينة الجديدة علي منجلي (قسنطينة) والمدينة الجديدة نقرين والمدينة الجديدة بوخارة (تبسة).

- الهضاب العليا الغربية تضم المدينة الجديدة مولاي سليسن (تلمسان)، المدينة الجديدة غنم الرموش (سيدي بلعباس)، المدينة الجديدة خلف الله (سعيدة)، والمدينة الجديدة عين الذهب وقصر الشلالة (تيارت).

- الهضاب العليا الوسطى تضم المدينة الجديدة بوغزول.

النطاق الرابع: يغطي إقليم الصحراء متمثلة المدينة الجديدة واد بليل بجوار الموارد البترولية، المنصورة والمنيعه وواد ناشو ومثليبي (غرداية) (بن غضبان، 2015: ص138).

عين الحجاج وحاسي خنيق (عين صالح)، عراك وسيدي مولاي (عين مقل)، لعوني (تمراست)، عين قزام.

مجتمعات المدينة الجديدة:

يقصد به المجتمع الجديد من حيث المكان وبناء العلاقات ونوعية الإنتاج والاهداف التخطيطية التي يسعى اليها المجتمع الجديد، وهي كل تجمع بشري متكامل يستهدف خلق مراكز حضارية جديدة (بن غضبان، 2015: ص28).

حيث يشير جورج زميل في تحليله للعلاقات الجديدة بين افراد سكان المدينة على انها تتميز باللامبالاة والتحفظ الاجتماعي حيث تقل العواطف وهيمنة النفعية والوظيفية على العلاقات الاجتماعية وتراجعت عما كانت تتسم بالعمومية وبما اصطلح عليه اميل دوركايم بالتضامن الالي، أي العلاقات التلقائية والطبيعية في المجتمع القروي.

بالإضافة الى التفاعل فيما بين الافراد يقل كلما زادت الكثافة في المدينة الجديدة يتميز بالسطحية والبرودة.

ومن خلال مقابلات افراد العينة في دراستي الاستطلاعية لسكان حي عدل المدينة الجديدة سيدي عبد الله بعد سنة واحدة من عملية الإسكان كانت إجابات السكان بنسبة 73 بالمئة بعدم الثقة بدليل انهم لا يتعارفون اما 13 بالمئة يتعارفون لزماله أبنائهم بالمدرسة، 14 بالمئة تربطهم علاقة الجوار سابقا.

وما قلل من فرص تكوين علاقات الجيرة بحسب افراد العينة ارتباطاتهم للوظائف والمهن في اماكنها القديمة.

المقاربة النظرية:

نظرية الانتقال للفعل الاجرامي او الانتقال الى التنفيذ:

ظهرت جذور لهاته النظرية نهاية مرحلة الخمسينيات في شكل مقاربات مع كل من الباحث دو قرف (de greffe) والطبيب النفسي السويدي كيمبرج kimberg، إضافة الى باحثين اخرين gassin.r و chazel.j حيث يشير gassin.r الى ان نموذج الفعل الاجرامي هو بالأساس عبارة عن معرفة العمليات الأساسية للانتقال الى الفعل الاجرامي، وذلك انطلاقا من دراسة وفهم موقف ما قبل الجريمة على ضوء التفاعل الحاصل بين الجاني والضحية، حيث يشير الباحث ان عملية الانتقال للفعل الاجرامي لدى الجاني ليست الية بل نتاج التفاعل الحاصل بين الضحية والجاني (معتوق: 2014)، وان الجريمة في الغالب تقع فجأة، وبعد حدوث الفعل يعي الجاني بحجم ما اقترفه فهي في العادة تنحصر في الزمان والمكان والحدث وعلى حد تعبير راسين racine "الجريمة تتلخص في لحظة قصيرة جدا في هذا اليوم المأسوي"، وان الجرائم الصغيرة تسبق الجرائم الكبيرة أي ان المجرم الخطير لا يأتي بالصدفة، حيث ان الانتقال الى لتنفيذ يستند على توافر الشخصية الاجرامية وفق الظرف المعين لان هناك حالات تكون فيها الشخصية الاجرامية مهيأة لكن الفرصة والظرف غير مهيآن وبالتالي استحالة وقوع الفعل الاجرامي، مما مهد للبحث في علم الضحايا بالنظر لما تلعبه الضحية في اثاره الجاني او ما توفره من ظرف مساعد للتنفيذ.

اما عن الكوابح التي تمنع غير المجرم من الانتقال الى الفعل ان لكل فرد شخصية معينة ومشبعة بالعديد من المؤثرات الشريرة والتي هي محور بحث لعلماء الاجرام (الشخصية: تعني الطبع، المزاج، الميول، طريقة الحياة، والتفكير والتصرف امام الاحداث وهي الانا يصنفها علماء النفس)، تملك الشخصية بعدا جديدا حينما ينتقل الفرد المستعد للإجرام الى التنفيذ الفعلي للجريمة وتكتمل الشخصية الاجرامية هنا بعدما كانت ذات استعداد اجرامي فقط

في الطرح المعاصر لعلم الاجرام ان الانتقال الى التنفيذ ما هو الا مظهر للفجائية، الجريمة في الواقع تمر بفترة طويلة من التفاعلات العميقة جدا حيث تتمخض هذه التفاعلات في العقل الباطن وعند توفر الظروف المناسبة يخضع الفرد لهاته الظروف ويقع التنفيذ، حيث يرى بيناتل pinatel في هذا المنحى ان الجريمة هي رد فعل شخصية معينة على وضع معين او ظرف معين (الرازقي، 2004: ص 105).

كما يشير الباحث جان شازال chazel.j الى ان العوامل الخارجية والداخلية التي تركز انتباهنا تصيب عمل وظائف المراقبة الذاتية، وهذه الوظائف يكون عملها تحت تأثير غرائز عنيفة او تحت طاقة عصبية مكبوتة، وفي حالات أخرى تكون وظائف المراقبة الذاتية العليا كوعي المواقف وإمكانات الإرادة كون مصابة بعيب او نقص او جهل او تعطيل (شازال، 1980: ص 66).

التفسير الايكولوجي:

تناول كل من شو ومكاي توزيع الجريمة في الوسط الحضري بمدينة شيكاغو ووجد ان الافراد الجانحين يفضلون مناطق جغرافية معينة في المدينة كمركز الانطلاق، حيث تبدأ الجريمة بالتناقص كلما ابتعدنا عن مركز الانطلاق أي من المنطقة المحورية مفسرا ذلك بان غالبية السكان من المهاجرين الذين لم يتسنى لهم التأقلم مع المعايير والقيم الاجتماعية في المحيط الحضري مما يدفع الى كثير من الخلافات والصراعات القيمية والعرقية وذلك يؤثر على الضبط الاجتماعي (بإضعافه).

كما أشار الى الحالة المهنية للمهاجرين التي كان لها دور كبير في النمط السلوكي لسكان المنطقة المركزية، حيث غالبية العمال من غير المهرة مما عقد وضعهم الاجتماعي من بطالة وولوجهم نحو الانحراف ممثلة في عصب الشوارع او عصب الاحداث المنحرفين بكثرة في المنطقة المركزية (طالب: 2011، ص 32).

اما عند روبرت بارك الذي بدوره تأثر بيزمبل خاصة في تأكيده على البعد النفسي للحياة الحضرية داخل المدينة بوصفها اقل عاطفية وأكثر عقلانية عن الحياة في مكان اخر، الا انه لا ينفي اختفاء الروابط الاجتماعية وانما أشار الى روابط أخرى أساسها المصلحة، وهذا ما أشار اليه دوركهائم بمصطلح التضامن الالي والعضوي.

كما ان المدينة تتيح أكثر حرية بالنسبة لبارك.

اما بيرجس فقد طبق المدخل التصوري الايكولوجي في دراسته للمدينة وصاغ مفاهيم علمية في مجال الدراسات الحضرية في مقال له سنة 1925م نحو المدينة.

في تفسير منه للمدينة لا كبناء ثابت واستاتيكي بل كعملية ديناميكية للنمو السريع (النمو الفيزيقي) في توسع مكاني والى ابعد من ذلك في دراسة نتائج هذا النمو واثاره على التنظيم الاجتماعي، بالإضافة الى تفسير النمو السريع وبطرق غير معهودة الى ظهور مؤشرات التفكك وارتفاع معدلات الجريمة والانتحار.

وظف بيرجس الحراك والتنقل كمؤشر مفيد في هذا الصدد بينما يتخذ من قيمة الأرض مؤشرا ومقياس لهذا الحراك (السيد: 2011، ص 50).

وادمج هاته المقاربة النظرية في ادراج ضواحي العاصمة الجزائر على غرار جغرافيا المدينة الجديدة لسيدى عبد الله التي هي كذلك تعد من الضواحي وبالنظر الى خصائص التغير الاجتماعي على التركيبة السكانية ونزعة الصراع بين ثقافتين على أساس ان هناك ثقافة قائمة وثقافة الوافدين الجدد خاصة ما ميزته فترة العشرية السوداء بالجزائر.

نظرية الصراع الثقافي:

لتورستن سيلين Thorsten Sellin

يحلل سيلين الجريمة في ضوء التنازع الثقافي *conflit culturel* الناشئ عن تضارب قواعد السلوك والفرد، وتتحدد قواعد السلوك حسب من خلال الجماعة التي ينتمي اليها الفرد دون اهمال التضارب مع قيم جماعات أخرى، فالتضارب مع المعايير المنظمة للسلوك يحدث الجريمة وقد يكون الصراع مع ما جاء في نصوص وقوانين المجتمع والمعايير الخاصة بجماعة ما.

ويكمل السلوك الاجرامي عندما تكون الطاعة والامتثال لمعايير الثقافة الفرعية، على نقيض من الثقافة المنظمة للحياة الاجتماعية والتي تشكل الوحدة الأساسية في البناء الاجتماعي، كما قد يحدث هذا التضارب بفعل الهجرة حيث ينتقل المهاجر محملا بقيم وعادات غير تلك الموجودة في البيئة الاجتماعية الجديدة.

أراد سيلين بذكره للبناء الاجتماعي ان يرجع أسباب الاجرام الى التفكك الاجتماعي la désorganisation sociale الذي أصاب المجتمع المعاصر، واستدل بمعدلات الجريمة القليلة في مجتمع البداوة والريف (معتوق، 2016: ص335) وعلى النقيض من ذلك يزيد التعقيد الاجتماعي والثقافي وينعدم الأمان وتطغى الفردانية في المجتمعات المتحضرة.

فالملاحظ في مجتمعات المدن الجديدة انه في المجتمع الواحد نجد تضارب في الثقافات الفرعية تتموقع بدورها خارج الإطار القانوني او الرسمي الذي يضبط المجتمع، وهاته الثقافات ترجمة للتشبع بالعادات والتقاليد التي لم ترقى الى حد القانون.

نظرية الصراع الثقافية لا تفسر كل الاحداث الاجرامية بالضرورة فهي تقترب جدا من تفسير جرائم العصب والعصابات او المتطرفين بتوظيفها لمتغيري الثقافة والصراع.

التفسير الاجتماعي والثقافة الخاصة:

او كما تسمى كذلك الثقافة الفرعية، لصاحبها ألبرت كوهن Albert Cohen تنطلق فكرتها من ان المجتمع الواحد لا تسوده ثقافة واحدة وانه ليس من الضروري ان توجد كل السمات التي توحد الثقافة في البيئة الاجتماعية نفسها على أساس ان هناك الثقافة الام وهي القاسم المشترك بين جميع افراد المجتمع، ان الثقافة الفرعية بحكم تعريفها انما تتكون من انساق متميزة للقيم والمعتقدات بالنظر الى ان هناك مجموعة خاصة من النظم تختلف في مجموعها عما هو سائد في المجتمع، والتنوع في النماذج الثقافية للسلوك يجعل من المعايير الاجتماعية اتجاهها للانحراف وان الثقافة الفرعية تعمل على تدعيم السلوك المعادي وعدم الامتثال للقوانين المنظمة للحياة الاجتماعية كما انها قهرية تدفع الفرد للإجرام المباشر او غير المباشر حيث تسبقه العدائية والعنف من منطلق التفسير الثقافي ونظرة الافراد او الجماعات لنفسها يكون على أساس انها لا تختلف تماما عن باقي افراد المجتمع الذي يعيشون فيه وبالتالي تبرر لنفسها خرق المعايير والخروج عن ثقافة المجتمع السائدة (معتوق، 2016: ص345).

تفسر هاته النظرية سبب استمرار ارتكاب الجرائم في بعض المناطق الجغرافية هو نتيجة لانتقال معايير من جيل لآخر والتكوين الثقافي لكل جماعة من حيث التنشئة والضبط الاجتماعي (معتوق، 2016: ص243).

وفيما يتصل بنظريات الثقافة الخاصة فإنها تفترض تنوعات في اتجاهات الناس ويقوم هذا التنوع من الناحية الاجتماعية على أساس تنوع المعتقدات والطموحات والتوقعات ويتمسك اصحاب هذا الاتجاه بفكرة أساسية مؤداها أن صراع

المعايير الاجتماعية الذي يولد السلوك الإجرامي يرجع إلى الحقيقة التي تقول أن هناك عدة طبقات اجتماعية وعدة جماعات اجتماعية تتمسك بنماذج ثقافية تتعارض مع التشريعات والقوانين الخاصة ضد انماط معينة من الجريمة وإن نماذج السلوك غير الشرعية تدعم وتتغزز بمعايير ثقافية فرعية تمارس ضغوطاً على الفرد فتدفعه باتجاه الانحراف عن الثقافة العامة المقبولة اجتماعياً (معتوق، 2016: ص 213).

وبعبارة أخرى فإن أصحاب هذه النظرية يرون أن الثقافة الخاصة أو الفرعية التي تتولد من جراء التقاء بعض الأفراد والجماعات الذين يتماثلون في مواجهة مشكلات متشابهة هي التي تخلق لديهم الميل لممارسة الجريمة كنوع من الحل للتغلب على مشكلاتهم، وينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى الثقافة الخاصة أو الفرعية على أنه أسلوب متميز وطريقة خاصة للحياة يتبعها أفراد جماعة معينة في نطاق مجتمع أكبر يتسم بوجود ثقافة عامة مشتركة، وغالباً ما تتعارض هذه الثقافة الخاصة مع الثقافة العامة المشتركة (معتوق، 2016: ص 344).

غير أن أصحاب هذه النظريات الاجتماعية والثقافة الفرعية يعتقدون أن فقدان المعايير الاجتماعية واضطرابها وظهور ثقافات فرعية تشجع على ارتكاب الجريمة هي نتاج البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد.

وهذا يعني أن الجريمة لا تنمو في فراغ اجتماعي ويبدو أن علماء الاجتماع الاحصائي بشكل خاص قد اعتمدوا كثيراً على هذه الفرضية عندما أكدوا في خططهم الخاصة بمنع الجريمة على أهمية إعادة بناء الظروف الاقتصادية والاجتماعية على أساس أن العملية الإجرامية تنبعث أساساً من عدم كفاءة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر على شخصية الفرد فتدفعه إلى ممارسة السلوك الإجرامي بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة.

انعكاسات الأمن واللاتمردن:

بالنظر إلى طبيعة الحياة الاجتماعية في الوسط الحضري الجديد سواء كانت أحياء أو مدن جديدة، يعيش الفرد في ظل إخفاء الهوية وفي ظل الحياة الرتيبة حيث الكل لا يهتم بالكل، بل الاهتمام منصب على الذات، وهو ما يعطي الفردانية درجة الإفراط، وهي بدورها تضعف الضبط الاجتماعي ولا نبالغ إذا قلنا بأن الشارع له إثر قوي على الشباب في الوسط الحضري وقد يتفوق على مفعول الوسط المدرسي والأسرة بمحو القيم والمعايير التي تعلمها وتغرس بدورها قيم ومعايير أخرى تتماشى والثقافة الحضرية (كروط، 2012).

يشير الباحث الكندي في علم الاجرام موريس كيسون الى ان بعض العوامل الاجتماعية والايكولوجية تجعل من بعض احياء المدن الحضرية مناطق إجرامية بامتياز، وذلك لكون عوامل الضبط الاجتماعي لا يصبح لها مفعول واضحيتبعه

شيوخ الأمن والخوف من الجريمة وخضوع السكان للضبط الغير رسمي بمعنى سيطرة العصب الاجرامية على المحيط السكاني وبالتالي تتطور الى يؤر للإجرام (طالب، 2011: ص9).

التغير الاجتماعي في البيئة الحضرية:

يعتبر دونكان وشنور التوازن أداة تحليلية أكثر منها حقيقة اجتماعية في إشارة منه لتحقيق التوازن يشترط وجود انساق اجتماعية داخل بيئة ثابتة ومستقرة، بمعنى ان عمليات التكيف والتوافق مع ظروف البيئة السائدة والمسيطر، ولما يتحقق التوافق الكامل يصل الى حالة من التوازن تقف عندها كل عمليات التغير البنائي والديمقراطي، يرافقها الحجم السكاني والبناء التنظيمي للنسق في حالة من الثبات والاستقرار الى ان يضطرب بحدوث تغير في البيئة الاجتماعية او الفيزيائية للنسق (السيد، 2011: ص68).

الا ان دراسات التغير الاجتماعي كشفت هي الأخرى وبنفس القدر من الوضوح عن امثلة عديدة لانساق اجتماعية تبددت عزلتها التقليدية بظروف بيئية واجتماعية جديدة أطاحت بذلك الثبات والتوازن التقليدي.

طور دونكان وشنور اطارا يمكن من خلاله دراسة التنظيم من منظور ايكولوجي الذي يحوي أربعة متغيرات: البيئة، التكنولوجيا، السكان، التنظيم حيث ترتبط ارتباطا علميا ووظيفيا (السيد، 2011: ص69).

ضحايا التحضر:

تشير اغلب الدراسات حول المدينة ان اغلب ما يميز علاقات الجيرة والتفاعل فيما بين السكان تغلب عليه البرودة والسطحية كما أشار له كلينارد بعدم التجانس في المجتمع الحضري.

كما اخذ أنصار الاتجاه النقدي في علم الاجرام بتصور واسع لمفهوم الضحية يستند الى فكرة الظلم الاجتماعي، فكل وضع اجتماعي يخلف ضحايا.

ولعل لتصنيف العالمين سيلين وولف قانق 1964 حول تنميط الإضحاء الخماسي:

1. الإضحاء الاولي: ويشير الى ضحايا الجريمة من الافراد.
2. الإضحاء الثانوي: ويشير الى ضحايا الجريمة من الجماعات والمنظمات.
3. الإضحاء الثلاثي: ويشير الى المجتمع والى الجماهير كضحايا.
4. الإضحاء المتبادل: ويشير الى الضحايا الذين ارتكبوا الجريمة ضد أنفسهم مثل جرائم المخدرات.
5. اللاضحاء: ويشير الى موقف اجرامي لا تتحدد فيه معالم للضحية بشكل محدد.

كما ان هناك جرائم بلا ضحايا مثل الانتحار - القمار - الدعارة - الإدمان.

ونستخلص من هاته التصنيفات ان إمكانية اسقاطها على واقع المدن والاحياء الجزائرية الجديدة يتوافق وطبيعة العنف الممارس بشكل عام في البيئة الحضرية.

اما علم الضحايا من منظور تقليدي فانه يصنف مناطق المدينة الحضرية على انها لم تكن مصابة بالاعتداء والجرائم بشكل متساو او بصفة واحدة بل المناطق الفقيرة والعشوائية والمساكن الشعبية فقط (معن، 2009: ص133).
الا ان سياسة الإسكان في الجزائر متجهة في القضاء على الاحياء القصديرية وما يسمى بالعشوائيات ومن هاذ المنطلق فان ما افرزه الواقع من جراء الهجرة الداخلية في فترة التسعينات يعكس تماما الظاهرة الاجرامية في الاحياء والمدن الجديدة.

الضحية المتجنبة على نفسها:

هي ذلك الفرد الذي لا يلتزم بمسؤوليات الدور الاجتماعي المتوقع منه من قبل المجتمع فيعاقبه بالوصم او النبذ او عدم الاحترام فيسمى ضحية عدم التزام بالدور.

- عادة ما تكون مهنة الفرد او ممتلكاته سببا في وقوعه ضحية لشبكات الاجرام مثل مهنة التجارة او الشهرة والنجومية وحتى الأساتذة الجامعيين ومثالنا الأستاذ الجامعي في تيبازة الذي زهقت روحه.

- نمط العيش كذلك من اهم أسباب المؤدية للإضحاء، كالتباهي والمفاخرة او حتى بالنسبة للبخل حيث يضمن المجرم ان البخيل يخر المال.

عوامل الجذب لوقوع الضحايا في المدينة:

تلعب مصادر الحماية عاملا مهما في بسط الأمن ولغيابها تسمح بوقوع الجرائم والسرقات والاعتداء بأنواعه خاصة بعد أماكن عمل السكان عن منازلهم بالإضافة الى القانون الخاص الذي ينظم مدينة سيدي عبد الله يمنع استعمال الشبايك الحديدية على سبيل المثال لا الحصر.

كما للتفاوت الاجتماعي الذي يؤدي بشعور الافراد بالحرمان في تلبية الحاجات ونصيبهم من التنمية مما يؤدي بهم للانحراف، وبالعودة الى الاحياء المجاورة والمحاذية للمدينة الجديدة التي كانت ضمن المشروع ونظرا لظروف اقتصادية ومالية أدت الى الإبقاء عليها وإعادة تهيئتها فقط.

وكثرة جرائم القتل العمد والاعتداء العنيف والسطو والاختطاف والعنف المسلح المتصل بالعصب، يصعب من استراتيجيات منع الجريمة بل ويفقدها السيطرة على الأوضاع مما يشعر المواطنين الاستسلام الى حكم القدر، الكل منا يلاحظ القفزة التكنولوجية في ميدان الأمن وأبرزها كمرات المراقبة في المحلات والبيوت.

بالإضافة الى عامل من عوامل التهيب وهو وسائل الاعلام التي غالبا ما تفاقم الإحساس بعدم الأمان من نشر اخبار العنف والجريمة وتعزز التصورات النمطية عن المعتدين وضحاياهم.

الاقصاء والاضطرابات الحضرية:

ان عملية سد الطرق بإضرام النار والعجلات تعد الظاهرة الشائعة والابرز في العنف الممارس كرد فعل او كتعبير عن انشغالات فئة من المجتمع من اجل مطالب اجتماعية او تنموية في غالبها كالإسكان والماء ومرافق الصحة او وسائل النقل ولغياب ثقافة الحوار تتأزم الأوضاع لحد المساس بالأمن العام مما يشكل نوع من الاضطراب الحضري التي تمهد الى تكريس ثقافة العنف وتكوين افراد ذوي استعداد اجرامي وهو رد فعل شائع عند المحتجين قاطني الاحياء البائسة الذين يواجهون قرار الاجلاء لتنفيذ خطط تطوير المدن (الأمم المتحدة، 2010: ص13).

ومن ثمة فان الكثير من الاحتجاج وردة الفعل الاجرامية والعدوان تتصل مباشرة وفي الغالب بالسكان المستبعدين من عملية اتخاذ القرار والتشاور.

وهناك اقصاء من نوع اخر حيث تشجع سلوكيات لا تمدن من الشعور بلا امن من خلال عدم الميل للتفاعل مع الآخرين او بالأحرى بعدم اقحام أنفسهم في حل المشكلات او طلب المساعدة والحماية من الجهات الرسمية، يجد الضحايا من السكان أنفسهم مرغمين على التأقلم مع الوضع دون مجابهته.

التغير الوظيفي للمدينة:

بالنظر الى طبيعة الحياة الاجتماعية في الوسط الحضري يعيش الفرد في ظل إخفاء الهوية وفي ظل الحياة الرتيبة حيث الكل لا يهتم بالكل، بل الاهتمام منصب على الذات، وهو ما يعطي الفردانية درجة الافراط، وهي بدورها تضعف الضبط الاجتماعي ولا نبالغ إذا قلنا بان الشارع له إثر قوي على الشباب في الوسط الحضري وقد يتفوق على مفعول الوسط المدرسي والاسرة بمحو القيم والمعايير التي تعلمها وتغرس بدلها قيم ومعايير أخرى تتماشى والثقافة الحضرية ونلمح هنا الى الفراغ الذي يكتنف يوميات الشباب البطال ومنطلق الانحرافات البسيطة في سلوكيات اللا تمدن من السب والشتم والصراع الذي عادة يبدأ بالفوضى البسيطة الى حالات اكثر تعقيدا مما يؤدي الى تزايد الشعور بلا امن بل تقوي

أيضا الاعتقاد عند المنحرفين بأن هاته المنطقة لا توجد فيها ضوابط اجتماعية، وأن لا احد يتصل بالشرطة، هذا ما يعزز موقف المجرم ويتصرف بحرية أكثر.

يشير سيباستيان روشي أن الشعور بلا أمن يضعف علاقات الجيرة حيث يصبح الافراد غير متضامنين في حياتهم الاجتماعية ان لم نقل عدم الثقة ولعل طريقة معاملة المنحرفين في الفضاءات العامة، وخصوصا استخدام المكان.

فيلجأ الكثير الى معاملتهم بلطف لوعي منه على أنهم يعوضون الشعور بالنقص بممارسة العنف والعدوان او حتى لشراء ذمهم بطرق ملتوية.

بينما يلجأ الآخريين الى معاملة فئة المنحرفين في الوسط الحضري بمنطق الرفض الاجتماعي وتعزيز الوصم كمحاولة لعزلهم اجتماعيا.

وهاته الانحرافات البسيطة لا تقتصر على السلامة الجسدية للأفراد انما تشمل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمدينة كأسعار العقار وقيمة التأجير على سبيل المثال لا الحصر.

يشير الباحث الكندي في علم الاجرام موريس كيسون أن بعض العوامل الاجتماعية والايقولوجية تجعل من بعض احياء المدن الحضرية مناطق إجرامية بامتياز، وذلك لكون عوامل الضبط الاجتماعي لا يصبح لها مفعول واضح وهذا للتغطية المحتشمة للأجهزة الأمنية يتبعه شيوع اللأمن والخوف من الجريمة وخضوع السكان للضبط الغير رسمي بمعنى سيطرة العصب الاجرامية على المحيط السكني وبالتالي تتطور الى بؤر للإجرام (طالب، ن م: ص 8).

خاتمة:

ان المشكلات الاجتماعية بصفة عامة وتفشي ظاهرة الاجرام في المدن الجديدة لم تعد تؤرق الحياة اليومية للسكان فحسب بل حتى الباحثين لأنها ترسم ملامح ازمة حضرية متصاعدة سمتها القلق والخوف من العنف والعدوان. وعجز الجهات الرسمية عن احتوائها وضبطها في ظل الضغوطات الداخلية والخارجية من حركات الاحتجاج وموجات الاستياء من الأوضاع المعيشية ونقص في الخدمات.

وما أصبح يميز المدن الجزائرية الجديدة حالة الاغتراب واللامن وانتشار الانحراف والتفكك كإفراز لواقع حضري منعكس من أزمات واقتصادية واجتماعية.

ولعل الحلقة الأهم في دراسة الاجرام في المدينة لا ينحصر بالوقوف عند الأسباب وانما للإشارة لحجم التهديد على التماسك والامن الاجتماعي انطلاقا من نمط العلاقات الاجتماعية التي وصفت على انها غير متجانسة ومتباينة في

البيئة الحضرية الجديدة بالإضافة الى عنصر مهم وهي فكرة الاقصاء من الفضاء العام الذي سبق وتناوله سياستيان روشي من منظور اللاتمدن لم نحصل عليها كإجابة مباشرة من المبحوثين وانما تم التلميح اليها من خلال الإجابات باعتبار السكان يملكون فقط شققهم لا الفضاء العام او ما حوله من مرافق عامة.

ان نمط العلاقات الاجتماعية التي وصفت على انها غير متجانسة تعكس وظيفة المدينة في الإسكان او كما وصفها المختصين على انها محتشدات او مراقد بمعنى اخر تمليك المواطن بشقة سكنية مقابل اقصاء من الفضاء العام بطريقة غير مباشرة لان المدينة لم تعد افقية كالسابق ففي المدن العمودية الفردانية تتكلم عن نفسها وبالتالي عزز الوضع بظهور عصب وجماعات استحوذت على الفضاءات العامة ولنا في الحضائر العمومية للسيارات المثال الوافي.

خاتمة:

إن التفاعل إذا يمثل ضرورة مجتمعية ليس فقط لأن الفرد يحصل من خلاله على المعلومات والمعارف الخاصة بالقضايا والموضوعات اليومية التي تفيده في اتخاذ القرارات والخروج بأحكام صائبة في الموضوعات التي يتعرض لها، وليس فقط لأنه قد يسهم في تدعيم ما تبيناه من أفكار وقيم، بل تظهر أهميته في كونه العملية الأساسية التي يكتسب بها الفرد خصائص وسمات المجتمع الذي يعيش فيه وينتمي إليه.

وباختصار فإن التفاعل الاجتماعي عملية أساسية وحيوية أساسية لأن المجتمع الإنساني كله العصري منه أو البدائي مؤسس على قدرة الإنسان على نقل نواياه ورغباته وإحساساته و مواقفه وخبراته إلى الآخرين وحيوية بمعنى أن القدرة على ملاقة الآخرين تزيد من فرص الفرد على البقاء بينما تعد غيبة هذه القدرة على وجه العموم شكلا مرضيا خطيرا.

المراجع:

- أحسن مبارك طالب، الجرائم الحضرية والجرائم المستحدثة الماهية والتطور، محاضرة مقدمة في الحلقة العلمية تحليل الجرائم المستحدثة والسلوك الاجرامي، جامعة نايف للعلوم الأمنية، 2011.
- اميل دوركهايم، قواعد المنهج السوسيولوجي، تعريب سعيد سبعون، دار القصة للنشر، 2008.
- التيجاني بشير، التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.
- جان شازال، الطفولة الجانحة. (تر: أنطوان عبده)، منشورات عويدات، لبنان، ط 2، 1980.

- جمال معتوق، مدخل الى علم الاجتماع الجنائي اهم النظريات المفسرة للجريمة والانحراف، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2016.
- جمال معتوق، منهجية العلوم الاجتماعية والبحث الاجتماعي، دار بن مرابط للنشر والطباعة، الجزائر ط1، 2009.
- جمال معتوق، نظرية الانتقال للفعل الاجرامي: محاضرة من مقياس نظريات علم اجتماع العنف والعقاب" لسنة أولى دكتوراه 2013\2014، جامعة لوئيسي علي البلدية2.
- خليل العمر معن، علم ضحايا الجريمة. دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2009.
- سعيد سبعون، الدليل المنهجي في اعداد المذكرات، الرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2012.
- السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق ج2. دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 2011.
- علي سالم احمدان الشاورة، المدن تضخمها -سلبياتها -تخطيطها، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014.
- فؤاد بن غضبان، المدن الجديدة دوافع وممارسات، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015.
- فوزي بودقة، وجه مدينة الجزائر وجوانب من مسارها العمراني، مجلة انسانيات، عدد14-45، 2009، نشر في 11 جوان 2012.
- مازن عبد الرحمان الهيبي، جغرافيا المدن والتحضر أسس ومفاهيم، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.
- محمد الحسين كروط، حقوق ضحايا الجريمة، عرض مقدم في الندوة الجهوية السادسة للحوار الوطني حول الإصلاح الشامل لمنظومة العدالة، مراكش، المغرب، 24، 23 نوفمبر 2012.
- مورييس انجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية. (تر: بوزيد صحراوي وآخرون)، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006.
- محمد الرزاق، علم الاجرام والسياسة الجنائية، ط3، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004.

- مؤتمر الأمم المتحدة الثاني عشر لمنع الجريمة والعدالة الجنائية، سلفادور، البرازيل، 12_19 افريل 2010.

الزوجة في فكر ليوبولد سيدار سنغور.

أ: سلاماني نادية. جامعة البليدة-2-

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد الألوان المختلفة في شخصية ليوبولد سيدار سنغور من شاعرية، سياسة وتنظير فكري، انطلاقاً من طفولته التي شكلت عالماً بحد ذاته بالنسبة له في مسقط رأسه بالسنغال أين تلقى تعليمه الأولي في المدارس الفرنسية المسيحية، والتي ستؤثر بشكل كبير على شخصيته مستقبلاً، ثم سفره لفرنسا بهدف مواصلة الدراسة أين وجد نفسه وجهاً لوجه مع الحضارة الفرنسية التي استطاع الاندماج معها بسهولة، وكذلك التطرق إلى جانب آخر في شخصية سنغور وهي تجربته السياسية أين أصبح أول رئيس لجمهورية السنغال المستقلة، وإلى جانب كل هذا كان سنغور مفكراً وأديباً حيث خلف إنتاجاً معتبراً من دواوين وكتب ودراسات، وقد خصّ أغلب هذه الدراسات للزوجة التي اعتبر أكبر منظر وداعية لها ولمبادئها، فنجده فرغم تأثره باللغة والحضارة الفرنسية إلا أنه كان متمسكاً ومعتزاً بشدة بقيم وغنى الحضارة الإفريقية.

Abstract :

This study aims to detect the different traits in Leopold Sédar Senghor's personality, as a poet, politician, and a theoretician and the impact of his childhood which was in itself a detached world in his homeland Senegal, there, he received the french christian school teachings, an influence that will paint his foreworks, his travel to France as a student and being face to face with the french culture made his integration easy. Senghor was the first president of Senegal where he cumulated political experience . His works as a man of letters, book and numerous studies in which one may distinguish the notion of Negritude to which he founded principles. Though being influenced by both French language and civilization, he was defending and praising the African civilization, values and riches.

Keywords : Leopold Sédar Senghor, the Negritude movement, the Negritude literature, negroes, Aimé Césaire, Léon Damas.

مقدمة:

تعتبر الزنوجة عن الحركة الفكرية والرؤى النظرية التي قدمت من المفكرين الأفارقة الناطقين باللغة الفرنسية، وقد ظهرت تلك الرؤى وانتشرت في الثلاثينيات من القرن الماضي، ذلك من خلال النشاط الفكري والأدبي للعديد من الأدباء والزعماء والمؤرخين كرد فعل فكري على تأثيرات الممارسات الاستعمارية والسياسات الاستيعابية التي كانت تمارسها فرنسا مع مستعمراتها في إفريقيا والكاربي، لذا انتهج أنصار الزنوجة العديد من الرؤى والمجاور التي تركز على الأبعاد الثقافية والتاريخية والحضارية والفنية في حياة الزوج، ودافعوا عن تاريخ وفلسفة وموارث القارة، وحاولوا دفع الأسود للفخر به.

يعد سنغور من أهم المفكرين الذين أثروا في القرن العشرين، فبالإضافة إلى كونه رئيسا سابقا للسنغال، فقد كان شاعرا مميذا ومن قادة الفكر الذين تبنا قضايا الشتات الزنجي، فطالبوا بحقوقهم ودافعوا عنها وسعوا إلى مواجهة الإمبريالية الغربية من خلال محاولة تقويض مركزيتها، وإدانة مشاريعها الهادفة إلى الهيمنة قصد تهميش الآخر وإقصائه، فكان سنغور من مؤسسي حركة الزنوجة ومن الرعيل الأول الذي طالب بحقوق الزوج وحاول الرد على عملية التهميش التي يتعرضون لها، كما سعى إلى محاولة وضع حد لعملية الاستلاب الثقافي التي يتعرض لها الزنجي أينما كان. ومن هذا المنطلق سنحلل تحليلا دقيقا وعلميا شخصية ليوبولد سیدار سنغور من خلال مجموعة من التساؤلات الضرورية: ماهي أهم أبعاد شخصية سنغور؟ ماهو الدور الذي لعبه سنغور في رد الاعتبار للزوج من خلال حركة الزنوجة؟ كيف انعكست شخصية سنغور، تكوينه وأفكاره على حركة الزنوجة؟

1- مولده ونشأته:

ولد ليوبولد سیدار سنغور يوم 9 أكتوبر 1906م بجوال التي تقع على بعد 100 كلم من العاصمة السنغالية داکار، ينتمي سنغور إلى عائلة غنية من التجار وملاكي الأراضي¹، إذ كان والده يمتلك أكثر من ألف رأس من الماشية وحوالي 20 من الخيول و50 ألف رأس من الحمير²، وهو الابن الخامس من بين ستة أطفال لوالد يدعى باسيل ديوجوي سنغور (Basile Diogoye Sengho) المزارع والتاجر من زوجته الأخيرة جنيلان باكهوم)

¹- حسن الغربي: "في الشعر الإفريقي"، سلسلة شعاع، العدد 24، دار النشر المغربية، طنجة جانفي 1998م، ص 27.

²- Christian Roche : **L'Europe de Léopold Sédar Senghor**, Editions Private, Paris 2001, p 13 .

GnilaneBakhaum) وهو ينحدر من عائلة تنتمي اثنيا لجماعة سيرير (Serer) وهي عائلة كاثوليكية ناجحة¹، كبيرة العدد فتمتع بطفولة سعيدة جدا وهذا ما أطلق عليه في كتاباته "مملكة الطفولة"².

تنقل في صباه وسط المزارعين وصيادي الأسماك واستمتع إلى ملاحم الشعراء وحكايات كبار السن حول إفريقيا القديمة قبل مجيء الغزاة الفرنسيين، فرسخت فيه تلك الفترة من حياته صورة الأصالة الإفريقية وقيمها³، إذ جعلته هذه الطفولة يربط علاقات حميمة مع المهدي الإفريقي إلى حد تجذره فيه، كما جعلته جولاته في الدغل المجاورة، وسهراته القروية يبلي اهتماما بالغاً بأقوال السلف الحكماء وهو ما انعكس على كتاباته فيما بعد، ومن المعلوم أن سنغور وهو طفل لم يعان من الاضطهاد الاستعماري الذي طبع أعمال أغلب معاصريه⁴.

2-تعليمه:

عام 1913م أرسله والده إلى الجمعية الكاثوليكية في مدينة جوال، وفي عام 1914م دخل سنغور مدرسة داخلية في انجاسوبيل (N'gasobil)، ليبدأ الطفل سنغور مسيرته هنا، وكانت المدرسة الداخلية تحت إشراف أباء مجمع روح القدس، أين تعلم كل قواعد اللغة الفرنسية والعلوم الطبيعية كما تعلم اللاتينية، وقد كانت لديه قدرة كبيرة على الحفظ، فلم يكن يحب اللعب مثل غيره من الأطفال بل كان يميل كثيرا إلى قراءة الكتب، وخلال العطلة التي أمضاها لدى شقيقه في غامبيا كانت لديه الفرصة لتعلم بعض الكلمات بالانجليزية⁵.

تولدت لدى سنغور في هذه الفترة رغبة في أن يصبح كاهنا أو مدرسا، وبعد 8 سنوات في انجاسوبيل ترك سنغور مدرسته حيث ذهب إلى كلية اللاهوت وكلية ليبرمان (Liberian) في داكار، وقد عانى سنغور في البداية العزلة في داكار، وقد ظن أنه حقا قد التحق بالحياة الأسقفية، ولكن هذا الحلم توقف عندما أعلن مدير المدرسة الأب لاتوز (Latouze) له في عام 1926م أنه لا يمكنه المواصلة في دراسة اللاهوت وقد أصيب بخيبة أمل، وعلى الرغم من

¹ - باسم رزق عدلي مرزوق: الهوية الإفريقية في الفكر السياسي الإفريقي دراسة مقارنة، ط 1 2015م، المكتبة العربية للمعارف القاهرة، ص 300.

² - ليوبولد سیدار سنغور: "بذرة الأفريقية"، الرئيس ليوبولد سیدار سنغور الشاعر المناضل، رائد الزنجية ورجل الدولة، ندوة تمارة المغرب 16 جويلية 1984م، تنظيم بيت آل محمد عزيز الحبابي، سلسلة أبحاث وأعلام 11، المغرب 2006م، ص 33.

³ - ادريس بوخاري: ألوان الأدب الأسود، الكتابة الإفريقية الحديثة، سلسلة زهر الآداب، جمعية البيت للثقافة والفنون المغرب 2008م، ص 242.

⁴ - الغري: مرجع سابق، ص ص 27، 28.

⁵ - S . OkechukwuMezu : **Léopold Sédar Senghor et la défense et illustration de la civilisationnoire**, librairie marcel didier, Paris 1967, p p 22,23 .

ذلك فقد تركت 6 سنوات من التحضير للحياة الدينية بصماتها عليه في المستقبل¹. يقول في هذا الصدد سنغور: "كان مدير المدرسة خلالها يؤكد لنا قائلًا بأنه ليست لدينا حضارة، وأن مهمته في السنغال هي أن يجعل منا " مسيحيين فرنسيين ذوي جلد أسود"، لم أقبل قط مقولته، وعارضت بقوة أرائه التي كان يعمل على ترسيخها في أذهاننا، وكنت أتساءل في أعماق نفسي: كيف يسمح أباء الكنيسة لأنفسهم أن ينكروا وجود حضارة إفريقية؟. في ذلك الوقت لم تكن لي حجج أستدل بها على أصالة الحضارة الإفريقية سوى ما كانت تزخر به مملكة طفولتي التي كانت تملأ أفق حياتي، فأصر على رفض مقولتهم بأننا ليست لنا حضارة، بل حضارة جميلة وعريقة. أذكر أنني كلما أبدت رغبتي في أن أصبح قسيسا أخذ الأب مدير المدرسة يحذرنى مرددا: "أتعلم، لكي تصبح قسيسا يجب أن تكون على كامل الاستعداد للطاعة العمياء، والملاحظ أنك لست مطيعا بتاتا"². فإذا كان حلمه الأول في أن يصبح كاهنا قد فشل فقد تابع مشروعه الثاني أن يصبح معلما³.

3- سفره إلى فرنسا للدراسة:

حصل سنغور في 17 جويلية 1928م على شهادة الكفاءة، فتحصل على نصف منحة دراسية من الإدارة الاستعمارية للدراسة في فرنسا والتحق سنة 1928م بثانوية لويس لوقران (Louis le grand)⁴، وقد كانت أولى اتصالاته مع فرنسا محبة لآماله، فكانت الأشهر الأولى من الدراسة في السربون مؤهلة إلى حد ما والمعنويات ليست عالية⁵.

تحصل سنغور في عام 1931م على شهادة الليسانس في الآداب وفي عام 1932م تخرج من التعليم العالي بتقدير جيد، وفي عام 1935م تحصل على درجة Agrégation⁶ في النحو فعين مدرسا لهذه المادة في ثانوية "ديكارت" بمدينة تور حيث قضى سنتين قبل أن يعين في ثانوية "مرسلين بيرتولو" سنة 1938م، ولم تكن هذه السنوات الخصبة

¹-Mezu : op cit, p p 24,25 .

²-سنغور: مرجع سابق، ص 34.

³-Mezu : op cit, p 25 .

⁴ -Thierry Sinda : **Anthologie des poèmes d'amour des Afriques et d'Ailleurs** , Editions Orphie, p 164.

⁵-Christian Roche : **Léopold Sédar Senghor le président humaniste**, Editions Private Paris 2006,p 27.

⁶-Jean Rous : **Léopold Sédar Senghor, la vie d'un président de l'Afrique nouvelle**, Editions johndidier Paris 1967, p 17 .

مجالا لتألقه العلمي، بل كذلك مرتعا لصداقات نافعة ولاسيما صداقته لسيزير¹ وداماس²، وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية تم تجنيد سنغور سنة 1939م كجندي من الدرجة الثانية في فوج المشاة، وفي 20 جوان 1940م وقع في الأسر، وأثناءها تعلم اللغة الألمانية وقرأ للكتاب اليونانيين واللاتنيين وفي عام 1942 يتم تحريره بسبب مرضه⁴.

4- مسيرته السياسية:

مع نهاية الحرب العالمية الثانية كان سنغور مدرس ثانوي، يدرس تلاميذ أوروبيين واللاتنية واليونانية، يعيش مثل رجل فرنسي، ثياب على الطريقة الأوروبية، مندمج تماما مع الحياة الباريسية وكان يشعر بالراحة مع عالم الثقافة الأوروبية⁵، مع تزايد مطالب بلده للاستقلال السياسي كان من الطبيعي أن يحول سنغور انتباهه إلى الأمور السياسية على الرغم من أنه لم تكن لديه خبرة سياسية سابقة، إلا أن زعماء الحزب الاشتراكي السنغالي احتاجوا في عام 1945م إلى مترشح قوي للمنصب في المجلس وأصروا على ترشحه، فكانت سنة 1945م بداية مسيرته السياسية⁶ أين انتخب نائبا في المجلس الأوروبي، وظل انتخابه يتجدد من سنة 1945م إلى 1960م، وفي نفس الوقت ظل محافظا على كرسي الأستاذية في مادة الأفريقية بالمدرسة الوطنية لفرنسا ما وراء البحار⁷، وسرعان ما بدأ سنغور في التعرف على نفسه من وجهة نظر

¹-ايمي سيزير (Aimé Césaire) ولد يوم 26 جوان 1913م وتوفي 7 أفريل 2008م، سياسي وشاعر من المارتنيك التحق بالمدرسة الابتدائية سنة 1919م إلى غاية 1924م حيث انتقل إلى ثانوية Victor Schoelcher ب fort -de- France ، وفي سبتمبر 1931 انتقل إلى باريس بعد حصوله على منحة من الحكومة الفرنسية لمتابعة دراسته بثانوية لويس لوفران أين التقى فيها لأول مرة مع سنغور، أنظر:

-Pierre Akinwande : **Negritude et Francophonie, paradoxes culturels et politique**, Editions L'Harmattan, Paris 2011, pp 132- 128.

²- ليون قونتران داماس (Léon Gontran Damas) ولد يوم 28 مارس 1912م وتوفي يوم 22 جانفي 1978م بغويانا أين أنهى دراسته الابتدائية والثانوية، انتقل سنة 1929م إلى باريس لدراسة الحقوق والتقى بسنغور وسيزير، وهو من الأوائل الذين اقترحوا الأدب الفرنسي ومن أشهر قصائده الأصباغ (Pigments) سنة 1937م، أنظر:

-Léopold Sédar Senghor : **Anthologie de la Nouvelle Poésie Nègre et Malagache de langue française**, Presses Universitaires de France , Paris 1969, p 5.

³-الغربي: مرجع سابق، ص 29.

⁴-Rous : op cit, pp 20,21.

⁵-Roche : **L'europe** ..., op cit , p29 .

⁶-Thomas Patrick Melady : **Profiles of African leaders**, the makmilan company , New York 1962, p 76 .

⁷-فاطمة الجامعي الحبابي: "سنغور أو شغف إفريقيا"، ندوة تمارة، مرجع سابق، ص 66.

فلسفة سياسية، يصف نفسه بأنه اشتراكي، يريد أن يجد الطريق الإفريقي نحو الاشتراكية ويشعر أن الاستقلال هو الطريق الوحيد لتخلص إفريقيا من بقايا الاستعمار والتفاوت الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي والسياسي، ولكن من ناحية أخرى فإن استقلاله ليس في حد ذاته سوى الخطوة الأولى¹، وقام سنة 1948م بتكوين حزبه الخاص تحت اسم "الكتلة الديمقراطية السنغالية" الذي ضم عددا من النواب الأفارقة الذين كانوا قد انتخبوا كنواب في الجمعية الوطنية الفرنسية².

واجه سنغور عام 1951م معركة رئيسية في حياته السياسية أين اتجه إلى الأوساط الريفية في السنغال، وقد حصل على أكبر عدد من الأصوات في الانتخابات مما جعله أقوى زعيم سياسي في السنغال³، وعندما عين سنغور سنة 1955م كاتب الدولة مكلفا بشؤون ما وراء البحار، انتهاز فرصة مشاركته في تحرير الدستور فاقترح إدخال تعديل على صياغة نص يمكن الشعوب المستعمرة من الحصول على حقها في الاستقلال. هكذا جاء استفتاء 1958م ليؤكد رغبة السنغال في الحصول على الاستقلال الشيء الذي قاد فرنسا إلى الاعتراف به كدولة عضو في المجموعة الفرنسية تتمتع بدستور مستقل وإن كانت جل بنوده مستوحاة من الدستور الفرنسي⁴.

عاد سنغور إلى السنغال بدعوة من الرئيس والمحامي الكبير لمين غي والذي أصبح منافسه السياسي فيما بعد، حتى استطاع التغلب عليه بدعم من القيادة الدينية التقليدية، وذلك على الرغم من كون الثاني مسلما متدينا، وفي نهاية المطاف أُنْتُخِبَ رئيسا لجمهورية السنغال في 9 أكتوبر 1960م وبقي في هذا المنصب حتى استقالته يوم 30 ديسمبر 1980م خلفا وراءه رئيس وزراءه عبد جوف⁵.

¹ - Melady : op cit, p 77.

² - عدلي مرزوق: مرجع سابق، ص 302.

³ - Melady : op cit, pp 77,78.

⁴ - الحبايي: مرجع سابق، ص 67.

⁵ - عبد دوف (Abdou Diouf) ولد سنة 1935م بالسنغال من عائلة مسلمة، بعد الحصول على البكالوريا ذهب إلى فرنسا والتحق بالمدرسة الوطنية للإدارة وتخرج منها سنة 1960م، عاد إلى السنغال وتقلد عدة وظائف في فترة حكم سنغور، وفي 1981م تولى رئاسة جمهورية السنغال خلفا لسنغور وقد امتد حكمه إلى غاية 2000م، أنظر:

-Mongo Beti. OlideTobner : **Dictionnaire de la Negritude**, Editions L'Harmattan, Paris, 1989, pp 91,92.

⁶ - باه محمد السعيد: "سنغور... صراع السياسة، الفكر والدين وراء قناع الشاعرية"، مجلة قراءات إفريقية، العدد 11، المنتدى الإسلامي مارس 2012م، ص 102.

5-سنغور من الناحية الأدبية والفكرية:

قرر سنغور أن يمضي مع الشعر والكتابة وقد نجح عام 1947م في تأسيس مجلة الحضور الإفريقي (Présence Africaine) مع أليون ديوب¹ (Alioune Diop)، وهي أم مجلة ثقافية جامعة تعنى بإفريقيا في أوروبا وما تزال تصدر حتى اليوم، كما نجح في إصدار ديوانين هما أغاني الظل (Chants d'ombre) سنة 1945م والقرايين السوداء (Hoties noires) سنة 1948م².

أصدر في ذلك العام الأخير منتخبا عن الشعر الإفريقي والملاجاشي (Anthologie de la nouvelle poésie nègre et Malagache de langue Française) بمقدمة لجان بول سارتر³ جمع فيه نخبة مميزة من شعر زملائه الذين يكتبون بالفرنسية وفي العام التالي 1949م⁴ أصدر ديوانه الثالث أغنيات إلى نائيت (Chants pour Naett)، وأصدر ديوانه الرابع حبشيات (éthiopiennes) سنة 1956م، ورغم أعباء الحكم استطاع سنغور أن يصدر ديوانه الخامس الدياجير عام 1962م، وتلاه عام 1969م بديوان سادس تحت عنوان مرثيات الرياح الخفيفة، وفي عام 1973م أصدر ديوانه السابع رسالة من فصل شتوي، وديوانه الثامن والأخير صدر عام 1979م بعنوان مرثيات مرثيات جلييلة⁵.

في هذه الدواوين الثمانية يطالعنا شاعر غير عادي يبدأ رحلته بذكريات الطفولة والقرية التي شهدت مولده (جوال) حيث يبتدئ عالم البراءة، ثم تظهر الغربة والوحدة والحنين للماضي البريء أو ما سماه هو نفسه "مملكة الطفولة"

¹ - أليون ديوب: (1910-1980م) ولد بسان لويس بالسنغال من عائلة مسلمة تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1931م، درس العلوم الفيزيائية بجامعة الجزائر، انتقل إلى فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية أين درس الفلسفة والتقى بسنغور وسيزير وداماس، عمل في الإدارة الاستعمارية وفي نهاية الحرب أسس مجلة الحضور الإفريقي سنة 1947م وفي سنة 1949م أنشأ دارا للنشر، أنظر:

-Doughas Killan and Alicia, I, Kerfoot : **student encyclopaedia of Africa literature**, Greenwood pres, London 2008, p 107.

² -علي شلش: **الأدب الإفريقي، عالم المعرفة، الكويت، 1993م، ص 58.**

³ - جان بول سارتر: فيلسوف وأديب وناقد ومسرحي فرنسي ولد عام 1905م، وقد اقترن اسمه في أذهان الناس بالفلسفة الوجودية، ومن أهم المسرحيات التي كتبها "الأيدي الملونة" و"موتى بلا قبور"، أنظر:

-محمد عبد الغني سعودي: **قضايا إفريقيا، عالم المعرفة، الكويت، 1980م، ص 186.**

⁴ - شلش: مرجع سابق، ص 58، 59.

⁵ -Bouazza Benachir : " le siècle de Léopold Sédar Senghor, le savoir à l'épreuve de la diversité des cultures", **sirie : littérature et philosophie 1**, Institut des études Africaines , université Mohamed V-Souissi Rabat ,2006, p 107.

ولكن سرعان ما تخيم سحب الحرب على جو هذه المملكة ويكتشف الطفل الفرحة أنه منفي وحيد، أسير، وسط مملكة أخرى شريفة تعامله على أنه أسود ومحتقر، ولكنه يكتشف أيضا أنه متضامن مع أبناء جلدته، ملتزم بأشواقهم وقوده هذا الاكتشاف الأخير إلى إعادة اكتشاف إفريقيا التي رمز إليها بحبيبته نائيت¹.

وبالرغم من مظاهر التفرنس الواضحة في حياته الأدبية والخاصة فشعره من أكثر أشعار إفريقيا ارتباطا بالأرض الأم، أرض السرير التي تنتسب إليها قبيلته في السنغال، وهذا ما تكشف عنه دواوينه الثمانية مجتمعة، بل إن ديوانه الأخير "مراثيات جلييلة" امتداد لديوانه الأول من حيث التعلق الشديد بأرض الأجداد وثقافتهم²، وفي نهاية المطاف سنعور حياته الفكرية بما كان يحلم به طوال مسيرته العلمية، وذلك عندما انتخب ليصبح عضوا مدى الحياة في الأكاديمية الفرنسية التي دخلها يوم 29 مارس 1984م وانضم إلى عضوية لجنة القاموس الفرنسي، وهو أمر غير مستغرب حين ننظر إلى الموضوع انطلاقا من عطائه الفكري والخدمات الجليلة التي قدمها للغة والحضارة الفرنسية³.

6- سنعور وحركة الزنوجة:

خلف سنعور على المستوى الفكري ميراثا له وزنه خص معظمه للتظهير لقضيتين مركبتين هما:

- ما اصطلاح عليه "بالاشتراكية الإفريقية" وهي المهمة التي دفعته إلى القيام بقراءات معمقة لتنظيرات المدرسة الماركسية مع التركيز على أطروحات كارل ماركس نفسه، كما جاء في كتابه حرية(4) من سلسلة أعماله الفكرية التي تحمل عنوان "الحرية".

- الزنوجة التي ينسب إليه البعض أبوتها، لكنها ترجع في الحقيقة إلى الكاتب الكبير إيمي سيزير الذي استفاد منه سنعور كثيرا وهو ما يعترف به في كتاباته⁴.

أ- مفهوم الزنوجة:

تعددت وتنوعت تعاريف الزنوجة باعتبارها حركة فكرية، ثقافية، اجتماعية وسياسية، فالكاتب السنغالي أليون ديوب يعرفها في مجلة الحضور الإفريقي أنها ولدت كرفض للاندماج وكدعوة لشخصية إفريقية زنجية تتميز تماما عن شخصية المستعمر. في حين أعطاها الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر صفة رومانتيكية، إذ اعتبرها من علم الأساطير

¹- شلش: مرجع سابق، ص 59.

²- شلش: مرجع سابق، ص 62.

³- Janet G. Vaillant : **vie de Léopold Sédar Senghor noir, français et africain**

,Editions Karthala, Paris 2006,p 27.

⁴- باه: مرجع سابق، ص 105، 106.

القديمة بحيث يقول: "إن الزنوجة في الشعر الإفريقي هي عنصرية ضد العنصرية، إنها قوة السلبية كرد فعل ضد دعوى السيادة البيضاء، إنها تناقض في تسلسل فلسفي عام يؤدي في النهاية إلى بشرية عامة خالية من العنصرية..."¹.

كتب فرانز فانون (Frantz Fanon)² حول الزنوجة فيقول: "إن مفهوم الزنوجة هو النقيض العاطفي أو المنطقي للشتم الذي كان الرجل الأبيض يوجهه إلى الإنسانية وأن هذه الزنوجة التي أثّرت نتيجة للاحتقار الذي مارسه الرجل الأبيض اتجاه السود، ظهرت في بعض الحالات كتعامل وحيد قادر على إثارة التناقضات والشتائم"³. يوجد تعريف آخر لأحد رواد هذه الحركة وهو سيزير إذ يقول: "إن الزنوجة بكل بساطة هي الاعتراف بحقيقة زنجيتنا وقبول هذه الحقيقة، مصيرنا الزنجي، تاريخنا وثقافتنا الزنجية"⁴، ويعتبر سيزير أن الزنوجة أيضا حركة تمرد ونزاع من أجل التحرر ورد الاعتبار للرجل الأسود⁵ وأنها عملية رفض الأفارقة للقيم الثقافية الاستعمارية، أما الكاتب الأمريكي الزنجي ستانلي ألان فيقول بأنها تعبير الشاعر الإفريقي عن فخره بسلالته وثقته بنفسه، وهي تركيب ديليكتي يعني العنصرية ضد العنصرية التي تقود إلى إنسانية بدون عنصرية، والواضح أن الزنوجة تعني لدى الذين يدافعون عنها " شخصية إفريقية ثقافية" ماضيا وحاضرا وهي بهذا الاعتبار تقوم على دعامتين أساسيتين: الأولى دعامة التاريخ والتراث الحضاري، والثانية دعامة الوجود الفكري المعاصر ومحاولة دمج الروح الإفريقية في زحمة الصراع الإنساني العالمي⁶.

¹ - أمين اسير: إفريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ط1، دار دمشق 1985م، ص 115.

² - فرانز فانون (1925-1961م) ولد بالمارتنيك وتعود أصوله للعبيد الأفارقة في العالم الجديد، طبيب نفسي وكاتب، تأثر فانون بسيزير وحركة الزنوجة، وكان متأثرا أيضا بالحركات التحررية في إفريقيا، جاء إلى الجزائر أين عمل طبيبا بمستشفى البلدية في أوائل 1950م، وبعد اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954م انضم فانون إلى جبهة التحرير الوطني وأصبح مناضلا فيها، لديه العديد من المؤلفات منها: بشرة سوداء وأقنعة بيضاء (1952م) توفي بواشنطن سنة 1961م وتم دفنه بالجزائر، أنظر:

-Pranod K. Nayar: **Frantz Fanon**, Routledge, London and New York 2013, pp 16-25.

-Jacques Chevrier : **Littérature Africaine histoire et grands thèmes**, Hatier Paris 1990, pp 62,63.

³ -اسير: مرجع سابق، ص ص 115، 116.

⁴ -Alain ph.Blerald: **Negritude et politique aux Antilles**, Editions Caribéennes, Paris 1981, p 7.

⁵ - Yves- Emmanuel Dogbé: **Négritude, culture et civilization, essai sur la finalité des faits sociaux**, édition Akpagnon , France 1980, p 100.

⁶ - أبو القاسم سعد الله: "النغريتود أو الشخصية الإفريقية"، مجلة منطلقات فكرية، الدار العربي للكتاب، تونس، ص ص 176، 177.

لا أحد يستطيع أن يقدم لنا تعريفا دقيقا عن مفهوم الزنوجة غير سنغور الذي أدلى بالتصريح التالي: "عندما أتحدث عن الزنوجة فإنني أتحدث عن حضارة يتجلى الفن فيها تقنية ورؤيا..."¹ ويضيف قائلا: "إنها مجموع قيم حضارة العالم الأسود، وفق ما يتم التعبير عنها في حياة ومآثر السود... فهي ليست إلا إرادة لتحقيق ذاته وازدهارها"، وهي لا تقتصر على شعب من الشعوب السوداء دون آخر، بل تشمل السلالة السوداء بكاملها في إفريقيا وأمريكا وآسيا والأقيانوس، ويقول أيضا: "إن الزنوجة واقع، إنها ثقافة، وهي مجموع قيم اقتصادية، اجتماعية، سياسية، فكرية، معنوية، أخلاقية وفنية" لشعوب إفريقيا السوداء والأقليات التي أشرنا إليها²، وفي استجواب لسغور سئل فيه عن مفهوم الزنوجة يقول: "للكلمة معنى مركب: موضوعي وذاتي، موضوعي تعني الزنوجة مجموعة القيم الحضارية للعالم الأسود أما ذاتيا فهي تعني الطريقة التي يتخذها أي زنجي أو أية مجموعة سوداء في ممارسة القيم الآيلة إلى حضارتها"³.

ب- نشأة حركة الزنوجة:

شهدت باريس منذ أواخر العشرينيات وبداية الثلاثينات من القرن العشرين أعدادا من أبناء البحر الكاريبي وغرب إفريقيا جاؤوها للدراسة⁴ ولم يكونوا عابري سبيل في ذلك البلد أو ضيوفا زائرين فالذي لم يستقر منهم ويستوطنها مكث فيها عشر سنوات أو يزيد، ولكنهم كانوا يعيشون على هامش المجتمع الفرنسي، فأرادوا معرفة أوطانهم الأصلية التي هاجوا منها وذلك من خلال ما كتب في علوم الانثروبولوجيا والاجتماع، ولم يكن منهم من يشعر بالانتماء إلى قطر معين في فرنسا ما وراء البحار، كما كانت تسمى المستعمرات الفرنسية حينذاك، ولكنهم كانوا يشعرون بالانتماء إلى إفريقيا، فكان مفكروهم يتكلمون عن إفريقيا لا عن السنغال أو الغابون أو ساحل العاج فالأصل والقبيلة كانت أكثر أهمية وصدقا من تلك الحدود المصطنعة، فكانوا يمثلون أقلية أو نخبة من المتعلمين، ومن هؤلاء كان دعاة الزنوجة والمروجون لها⁵.

¹ - حسن المنيعي: "ملاحم من زنجية سنغور"، ندوة تمارة، مرجع سابق، ص 55.

³ - قاسم الزهيري: **الفكر الزنجي نشأته وتوجهاته**، سلسلة بحوث 3، ط 1، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، المغرب 1998م، ص 19.

³ - بنعيسى بوحالة: "السياق التاريخي والثقافي للشعر الزنجي الإفريقي - الأمريكي"، **مجلة عالم الفكر**، العدد 3، المجلد 20، وزارة الإعلام، الكويت، ديسمبر 1989م، ص 220.

⁴ - شلش: مرجع سابق، ص 56.

⁵ - سعودي: مرجع سابق، ص 162.

تعتبر ثانوية لويس لوغران في باريس مكان ميلاد حركة الزنوجة، إذ هي مكان التقاء داماس، سنغور وسيزير وتحدثوا لأول مرة عن الزنوجة وأنه لا يوجد طالب من غويانا أو الأنتيل أو غرب إفريقيا وإنما يوجد طالب أسود¹، وأما بالنسبة لمصطلح الزنوجة فقد كان من ابتكار إيمي سيزير والذي حدده في سنوات 1932-1934م في باريس²، حيث استعمل أول مرة لفظ الزنوجة في ديوانه الشعري "كراس العودة إلى الوطن الأم" (Cahier d'un retour au pays natal)³، والذي استغرق في كتابته من 3 إلى 4 سنوات، وإن هذا الكراس ظهر لأول مرة سنة 1939م، ظهر المصطلح أيضا في قصيدة لسنغور عام 1939م ثم في أخرى عام 1942م، ولكن استخدام المصطلح وبطاقة لم يكن إلا بعد عام 1948م في مقدمة لجان بول سارتر في مختارات شعرية لسنغور من الشعر السود والملاجشي باللغة الفرنسية، حيث تم وضع الزنوجة كمفهوم (مصطلح) ثم فيما بعد كإيديولوجية⁴.

عندما بدأت نظريات الزنوجة لأول مرة تأخذ شكلها في باريس في تلك الفترة كانت لها خصائص ثورية أول الأمر ثم اقتربت كونها مذهباً للاستعلاء العنصري قد يتخذ موقفا مضادا ويمنع الاتصال والتكيف مع الفرنسيين ولكن سرعان ما تعدلت هذه العوامل، وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية تحولت إلى مذهب يصلح للحوار مع الإدارة الاستعمارية، وقد ألقى سنغور محاضراته الشهيرة عن الزنوجة في جامعة إكس فورد عام 1961م ناقش فيها أصل وتطور الزنوجة من النواحي النفسية، التاريخية والاجتماعية فيقول: "... إذا أردت أن تفهم الزنوجة فلا بد للإنسان من العودة إلى الحي اللاتيني خلال فترة ما بين الحربين فقد نشأت بين طلاب ذلك الحي، بين المفكرين الزوج الذين كانوا يبحثون عن هويتهم الشخصية"⁵، فهكذا كانت الزنوجة باريسية الصنع حيث اجتمع فيها شباب من أقطار متعددة، من إفريقيا ومن العالم الجديد، ثقافتهم متنوعة ولكن يجمع بينهم ويؤلف أربعة أمور كانت بمثابة القاسم المشترك الأعظم وهي لون

¹-Léopold Sédar Senghor : **littérature Africaine**, Editions Fernand Nathan, Paris 1964, p 9.

²-Léopold Sédar Senghor : **Negritude Arabité ET Francité réflexion sur le problème de laculture**, Editions, Dar al KitabAllubnani Beyrouth, 1969, p 3.

³-Ernest Milcent . Monique Sordet: **Léopold Sédar Senghor et la naissance de l'Afrique moderne**, Editions Seghers, Paris 1969, p 237 .

⁴- LilyanKesteloot : **Histoire de la littérature Negro- Africaine** ,Editions Karthala, Paris 2004 , p 105.

⁵ - سعودي: مرجع سابق، ص ص 162، 170.

الجلد الأسود، اللغة الفرنسية، التراث الاستعماري والمعيشة في باريس، ولعل لون الجلد كان أهمها جميعا لأنه أصبح أساس الزنجي وعماده¹.

ج- الزنوجة في فكر سنغور:

إذا كان إيمي سيزير هو الذي ابتكر كلمة الزنوجة في ثلاثينيات القرن العشرين، فإن سنغور كان فيلسوفها وعقلها، وعلى يده اتخذت أبعادا متطورة وانتهت إلى احتضان الكون ورفض العنصرية والتعصب من أي نوع، دون التخلي عن أساسها الفكري الذي لخصه هو نفسه في قوله: "إنها-أي الزنوجة- إدراك القيم الثقافية الإفريقية والدفاع عنها وتطويرها، إنها المجموع الكلي لحضارة العالم الإفريقي فهي ليست عنصرية وإنما ثقافة"².

لقد تزوج سنغور قضية "الجنس المختقر" فأضحى يتغنى بإفريقيا محبته، إفريقيا التي بدأت ترى النور بعد قرون من العبودية، يعمل على إبراز أصالة الفكر الإفريقي وخصائص الفنون الزنجية، وإسهاماتها في الحضارة الإنسانية، كما أصبح مجندا من أجل إثبات هوية الإنسان الأسود³، ففي إحدى قصائده المشهورة المرأة السوداء (Femme Noire) يعرض سنغور جمال قيم الحضارة الزنجية واللفظة عبارة عن استعارة حيث شبه إفريقيا بالمرأة السوداء، فهو يمجّد إفريقيا هذه الأرض الموعودة من خلال صورة امرأة سوداء، فنجد سنغور في هذه القصيدة يعتبر إفريقيا أرض الميعاد والشعب الزنجي هو الشعب المختار، فنجدته يتغنى بالجمال الأسود الأبدي وهو ما تحدث عنه أيضا في مؤلفه "مختارات جديدة من الشعر الزنجي والملاحشي المكتوب باللغة الفرنسية"⁴.

يرى البعض أن كتابات سنغور هي التعبير الشامل والمتناسق عن الزنوجة، حيث سعى من خلالها إلى تكوين صورة جديدة للإنسان الأسود، وحاول أن يجعل من نشاط هذا الإنسان تعبيرا عن أفكاره ونظرياته، فالزنوجة في فكر سنغور تقوم بوظيفة دلالية في السياق الكامل للقومية السوداء حيث أنها عبارة عن حالة داخلية للإنسان الأسود، وهي تشكل الأساس لوجوده وكيونته، وهي التي تكون هويته الأساسية، وتأتي هذه الهوية -وفقا لسنغور- من تأثير العوامل الخارجية، وتتمثل هذه العوامل في المواقف والممارسات الاستعمارية التي مارسها الإنسان الأبيض، ويرى أنها كانت ممارسات تحمل في داخلها مضامين أخلاقية ونفسية، إلى جانب المضامين السياسية والاقتصادية، وهذا هو السبب في

¹- نفسه.

²- شلش: مرجع سابق، ص 62.

³- الحبابي : مرجع سابق، ص 68.

⁴-Pape Moussa Samba : **Léopold Sédar Senghor, philosophe de la culture**, Editions L'harmattan, Paris 2011, p 20.

نمو وعي اثني بسبب هذه الظروف التاريخية، لذا يرى سنغور أن هذا الوعي يمثل ثورة ضد التطبيقات العملية التي احتوتها العلاقة الاستعمارية، وأكد أن كافة الشعوب السوداء على مستوى العالم يكونون جماعة واحدة بحكم خبرتهم وعلاقتهم الخاصة بالعالم الغربي¹.

كما حاول سنغور من خلال كتاباته وأعماله أن يعبر عن الزنوجة وعن رفض العنصرية البيضاء، وإبراز تفوق العنصر الأسود في بعض الجوانب، لكنه ظل بعيدا عن فكرة نقاء اللون وانتقد تجارة الرقيق، والعنصرية البيضاء، لكنه كان يرى أن الاستعمار أفاد القارة، وحقق لها العديد من المكاسب، بل وأكد على أن الثقافة الإفريقية هي روح التقدم الغربي، فقد كان سنغور يرى أن تنمية السنغال تتم في ظل الزنوجة والقومية الإفريقية، ولكن باستخدام أنساق وأدوات فرنسية، حيث أن مفهوم الزنوجة عنده يجمع بين اللون والقومية الإفريقية مع الإرث والخبرات والتأثيرات الاستعمارية، لكنه يرى أن هناك إمكانية الاستفادة من الغرب وأدواته وآلياته، لذا لم يمانع في التعاون معه، وهو ما يجب أن يحدث في ظل الزنوجة التي تحفظ التوازن بين الأبعاد الاقتصادية وبين الأبعاد الثقافية في علاقة القارة بالقوى الغربية².

حين نمنع النظر بوعي في إنتاج سنغور الفكري والأدبي يصدمنا أنه كان يعاني حيرة حادة بين جذوره الاجتماعية أو القومية وبين روافده الفكرية، لكن ربما كانت هذه الحيرة الحادة هي التي تكمن وراء تذبذب طرحه الفكري، بخصوص المشترك الإنساني الذي حاول أن يشكل منه مختزلا أو نسقا فكريا لما سماه " الحضارة الكونية" والتي تكاد ألا ترى لها قسمات محددة للهوية والانتماء، وقد عالج هذا الموضوع في كتابه " الإفريقية، العربية والفرنساوية" Negritude، (Arabité et Francité)، لكن هذا التعلق بالحضارة واللغة الفرنسية من سنغور أمرا لا يستغرب إذا نظرنا للموضوع من زاوية مسيرته العلمية والثقافية والتي ظلت تخضع لعملية غسيل المخ التي كانت المدرسة الكنسية تنفذها بحماس³.

ومع أن سنغور من رواد حركة الزنوجة التي تقوم على أسس حضارية وثقافية تعلي من قيمة كل ما هو أسود، لكن كان له رأي يخالف معظم رواد هذه الحركة- وربما يخالف المنطلقات الأساسية للزنوجة- عند النظر للاستعمار، فقد كان يرى أن الاستعمار هو مدخل إفريقيا للحداثة، وأن أوروبا قد حملت لإفريقيا نور الحضارة المسيحية والحداثة، ويرى أنه كان لذلك تكلفة تمثلت في تحويل أجزاء من القارة لمجرد تابع، وتم أيضا هدم ممالك كانت قائمة بالفعل، وتحولت بعض قوى القارة لمجرد تابع للاستعمار، ولكن وصف سنغور كل ذلك بأنه "الأم ولادة حداثة إفريقيا"، ويرى

¹-عدي مرزوق: مرجع سابق، ص ص 305، 306.

²-عدي مرزوق: مرجع سابق، ص ص 306، 307.

³-باه: مرجع سابق، ص 106.

أن الاستعمار الأداة الأساسية التي سارعت بإدماج إفريقيا في التاريخ العالمي، لذلك أكد على أن مميزات الاستعمار تفوق تأثيرات العنصرية والعنف والممارسات السلبية التي قامت بها القوى الاستعمارية، وسعى من خلال إنتاجه الفكري إلى تقديم قراءة مختلفة للممارسات الاستعمارية الأوروبية، ويؤكد على أن أوروبا هي سبيل القارة الإفريقية للحدثة¹.

إذن حاول سنغور من خلال رؤيته أن يعيد وصف فرنسا بحيث يسهل علاقات الصداقة بينها وبين القارة، بل ويجعل من الممكن تبني الحلول الوسط، لذا أكد على أن ما تحتاجه إفريقيا الآن هو أن تستمر في "إغلاق عينيها عن الوجه العنصري لفرنسا"، وأن يتم تفعيل علاقات الصداقة الفرنسية-إفريقية، والتي يراها كثيرون أنها التعبير الحديث عن علاقة الخادم والسيد التي سادت في مرحلة تجارة الرقيق، وهي التعبير الحديث عن علاقة الاستعماري بالمستعمر، ولكن تأخذ شكل الصداقة، فقد كان سنغور من القلائل الذين لهم انتماء إفريقي، و ولاء فرنسي، لذا سعى إلى خدمة الطرفين من خلال علاقة مستقبلية تأخذ أبعاداً أو أشكالاً جديدة².

خاتمة:

يعتبر ليوبولد سيدار سنغور من الشخصيات الإفريقية التي برزت على الساحة وحظيت بشهرة عالمية مدوية خلال القرن الماضي، بقدر ما كانت مثيرة للجدل، ومنه وفي نهاية هذا البحث يمكن الخروج بجملة من الخلاصات ومجموعة من الاستنتاجات أهمها:

- ليوبولد سيدار سنغور شخصية استثنائية في إفريقيا السوداء في القرن العشرين، وهو واحد من الرجال القلائل في إفريقيا الذين تركوا السلطة بإرادتهم الخاصة في سن 75 سنة بعد حياة سياسية مزدحمة تاركا السلطة لمن هو أصغر منه، وهو من شخصيات الأدب العالمي من خلال مساهمة أصيلة بفكره وكتاباته.

- نجد مجموع أعمال سنغور، بما فيها النظرية والتطبيقية يعكس نسيجاً خلفياً لشخصية موزعة تتجاذبها تيارات متعددة، هذا التوزع دفع سنغور لأن يصرح بولائه للفرنسية أو ما يطلق عليه "مجموع قيم لغة وثقافة تنطلق من الحضارة الفرنسية" ولا يتناقض تبنيه لهذا الاختيار مع الزنوجة، التي ظل يحمل ولاءها.

- من وجهة نظر خصوم سنغور، السياسيين منهم والمفكرين على حد سواء، لم يكن الرجل إلا مجرد حاكم فرنسي في إهاب أسمر يمثل دولة فرنسا وحضارتها ورسالتها الثقافية لدى الأمة السنغالية تحت لافتة "الاستقلال" المطلقة، ولإسناد هذه الدعوة يقدمون عدداً من الشواهد والإثباتات التاريخية مأخوذة من أقوال سنغور وأفعاله على الصعيد الأدبي والسياسي.

¹ - عدلي مرزوق: مرجع سابق، ص 311، 312.

² - نفسه: ص 314.

- رغم أن سنغور لم يكن أول داعية للزوجة، فقد تعرف عليها من رفاقه أدباء جزر الهند الغربية أمثال سيزير وداماس، إلا أنه أصبح الداعية الأكبر لها، حتى لا تذكر الزوجة إلا مصحوبة بسنغور والعكس صحيح.
- كانت لدى سنغور مهمة مزدوجة فهو كاتب ورجل سياسة ورغم ذلك فهو يعتبر دون أدنى شك كأكثر منظر للزوجة، وبالأخص من خلال تحديد القيم الثقافية للزوجة الأفارقة ودورهم في الكفاح من أجل حرية إفريقيا، وهذا من خلال عدد ضخم من المؤلفات، وطوال مشواره المتعدد الالتزامات فقد كان دائما يؤكد على ثراء الحضارة الإفريقية السوداء والثقافة الإفريقية، وكذلك الإنسان الزنجي وما مدى مساهمته في الحضارة العالمية.
- حاول سنغور من خلال إنتاجه الأدبي أن يؤكد على الوحدة الثقافية للعالم الأسود، وأكد على مفهوم "الروح الزنجية" الذي كان دائم الطرح له، وبالرغم من إعلائه لقيمة الثقافة والحضارة الإفريقية، إلا أنه لم يخف ولاءه لفرنسا، وبالرغم من بحثه في أسس الهوية الإفريقية، وسبل الحفاظ عليها في مراحل التقدم والتطور المختلفة، لكنه كان يرى أن السبل والأدوات الأوروبية-وبخاصة الفرنسية- هي الوحيدة التي يمكن من خلالها تحقيق التقدم والتطور.

قائمة الببليوغرافيا:

المراجع العربية:

1-الكتب.

- 1-اسبر أمين: إفريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ط1، دار دمشق 1985م.
 - 2- بوخاري إدريس: ألوان الأدب الأسود، الكتابة الإفريقية الحديثة، سلسلة زهر الآداب، جمعية البيت للثقافة والفنون المغرب 2008.
 - 3-رزق عدلي مرزوق باسم: الهوية الإفريقية في الفكر السياسي الإفريقي دراسة مقارنة، ط1 2015م، المكتب العربي للمعارف القاهرة 1998 م.
 - 4- الزهيري قاسم: الفكر الزنجي نشأته وتوجهاته، سلسلة بحوث، ط 1، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، المغرب 1998م.
 - 5-شلس علي: الأدب الإفريقي، عالم المعرفة، الكويت، 1993م.
 - 6-عبد الغني سعودي محمد: قضايا إفريقيا، عالم المعرفة، الكويت، 1980م.
- 2-المجلات:

- 1- بوحالة بنعيسى: "السياق التاريخي والثقافي للشعر الزنوجي الإفريقي - الأمريكي"، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 20، وزارة الإعلام، الكويت، ديسمبر 1989م.
- 2- سعد الله أبو القاسم: "النيغريتود أو الشخصية الإفريقية"، مجلة منطلقات فكرية، الدار العربي للكتاب، تونس.
- 3- الغري حسن: "في الشعر الإفريقي"، سلسلة شراع، العدد 24، طنجة جانفي 1998م.
- 4- محمد السعيد باه: "سغور... صراع السياسة، الفكر والدين وراء قناع الشاعرية"، مجلة قراءات إفريقية، العدد 11، المنتدى الإسلامي مارس 2012م.

3- الندوات:

- 1- الجامعي الحبابي فاطمة: "سغور أو شغف إفريقيا"، ندوة تمارة، الرئيس ليوبولد سيدار سغور الشاعر المناضل، رائد الزنجية ورجل الدولة، سلسلة أبحاث وأعلام 11، المغرب 2006م.
- 2- سيدار سغور ليوبولد: "بذرة الأفريقانية"، ندوة تمارة الرئيس ليوبولد سيدار سغور الشاعر المناضل، رائد الزنجية ورجل الدولة، سلسلة أبحاث وأعلام 11، المغرب 2006م.
- 3- المنيعي حسن: "ملاحم من زنجية سغور"، ندوة تمارة، الرئيس ليوبولد سيدار سغور الشاعر المناضل، رائد الزنجية ورجل الدولة، سلسلة أبحاث وأعلام 11، المغرب 2006م.

ب- الأجنبية:

1- الكتب:

- 1-Akinwande Pierre : **Negritude et Francophonie, paradoxes culturels et politique**, Editions L'Harmattan, Paris 2011.
- 2-Beti Mongo. Tobner Olide: **Dictionnaire de la Negritude**, Editions L'Harmattan, Paris, 1989.
- 3-Chevrier Jacques : **Littérature Africaine histoire et grands thèmes**, Hatier Paris 1990.
- 4-Dogbe Yres- Emmanwel : **Négritude culture et civilization, essai sur la finalité des faits sociaux**, édition Akpagnon , France 1980.

- 5-G –Vaillant Janet : **vie de Léopold Sédar Senghor noir, français et africain** ,Editions Karthala, Paris 2006.
- 6- K. Nayar Pramod: **Frantz Fanon**, Routledge, London and New York 2013.
- 7-KestelootLilyan : **Histoire de la littérature Negro– Africain**,Editions Karthala, Paris 2004.
- 8- MeladyTomas Patrick : **Profiles of African leaders**, the makmilan company , New York 1962.
- 9- Mezu S . Okechukwun : **Léopold Sédar Senghor et la défense et illustration de la civilisationnoire**, librairie marcel didier, Paris 1967.
- 10- Milcent Ernest . Sordet Monique : **Léopold Sédar Senghor et la naissance de l’Afriquemoderne**, Editions Seghers, Paris 1969.
- 11- Moussa Samba Pape : **Léopold Sédar Senghor, philosophe de la culture**, Editions L’harmattan, Paris 2011.
- 12-ph.Blerald Alain : **Negritude et politique aux Antilles**, Editions Caribeennes, Paris 1981.
- 13- Roche Christiane : **L’ europe de Léopold Sédar Senghor**, Editions Private, Paris 2001.
- 14--Roche Christiane : **Léopold Sédar Senghor le président humaniste**, Editions Private Paris 2006.
- 15- Rous Jean : **Léopold Sédar Senghor, la vie d’un président de l’Afrique nouvelle**, Editions johndidier Paris 1967.
- 16-Sédar Senghor Léopold :**littérature Africaine**, Editions Fernand Nathan, Paris 1964.

17-Sédar Senghor Léopold: **Negritude Arabité ET Francité réflexion sur le problème de laculture**, Editions, Dar al KitabAllubnani Beyrouth, 1969.

18 -Sédar Senghor Léopold : **Anthologie de la Nouvelle Poésie Nègre et Malagache de languefrançais** ,Presses Universitaires de France , Paris 1969.

19-Sinda Thierry : **Anthologie des poèmes d'amour des Afriques et d'ailleurs** , Editions Orphie.

2-المجلات:

-BenachirBouazza : le siècle de Léopold Sédar Senghor, le savoir à l'épreuvede la diversité des cultures, **sirie : littérature et philosophie**¹,Institut des étude Africaines, université MohamedV-Souissi Rabat ,2006.

3-الموسوعات:

-KillanDoughasand,IKerfoot. Alicia: **studentencyclopedia of Africaliterature**, Greenwood pres, London 2008.

مجلة متيجة للدراسات الإنسانية

مجلة دورية علمية محكمة يصدرها

قسم العلوم الإنسانية

العدد التاسع ماي 2018

منشورات جامعة البليدة 2 "علي لونيسي"

مجلة متيجة للدراسات الإنسانية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة البليدة 2



مجلة دورية علمية محكمة تصدر عن قسم العلوم الإنسانية

Issn: 2602-5639

رقم الإيداع القانوني 2014/1597

العدد التاسع ماي 2018

جميع حقوق الطبع محفوظة.